

العمل غير المنجز لغزة

تقرير الشرق الأوسط رقم 85 – 23 نيسان/ أبريل 2009

جدول المحتويات

i	الملخص التنفيذي والتوصيات
1	I. الحرب في غزة
1	أ. أضرار الحرب
5	ب. المضامين السياسية
7	ج. سياسة المساعدة
10	د. مسألة انقسامات حماس – مرة أخرى
11	II. التبعات على الضفة الغربية
11	أ. الحكم على السلطة الفلسطينية
13	ب. الحكم على فتح
15	III. إسرائيل والحرب
15	أ. تقييم النتائج
18	ب. الانتخابات: الضربة الى اليمين
19	ج. ما الذي يمكن أن تفعله الحكومة الجديدة؟
23	IV. العمل الغير منجز للحرب
23	أ. وقف إطلاق النار
24	ب. إعادة البناء
27	ج. المصالحة الفلسطينية
29	1. الحكومة
29	2. الانتخابات
29	3. الإصلاح الأمني
30	4. إصلاح منظمة التحرير الفلسطينية
30	5. المصالحة
31	V. دور الأطراف الخارجية
31	أ. مصر
31	1. الخلفية
33	2. مصر، حماس والحرب
34	3. مسألة سيناء
36	4. الحرب الإقليمية الباردة
38	ب. الولايات المتحدة
39	ج. الاتحاد الأوروبي
40	VI. الاستنتاج: ماذا بعد؟
	الملاحق
43	أ. خارطة قطاع غزة

العمل الغير منجز لغزة الملخص التنفيذي والتوصيات

للحرب. إن هذا الوضع يمكن تفهمه واعتباره معقولاً فقط إذا ما اعتبرت السياسات السابقة والتي تستهدف إضعاف حماس من خلال عزلها ودعم عباس من خلال التركيز على الضفة الغربية، قد نجحت. ولكنها لم تتجح، وينبغي عدم الخطأ في الظن بأن تصحيح السياسات المضللة هو ضعف أو تنازل غير مجدٍ. إن التحدي ليس إنسانياً، بالرغم من أن فتح التجارة إلى غزة سيساعد سكانها كثيراً. إن المسألة سياسية ولقد كانت هكذا على الدوام، ولذلك فيجب اتخاذ خيارات سياسية حول كيفية التعامل مع غزة، حماس وإمكانية قيام حكومة فلسطينية جديدة.

لطالما كانت معادلة وقف إطلاق النار يسيرة. إن على حماس التوقف عن إطلاق الصواريخ وإيقاف الآخرين عن فعل الأمر ذاته، بينما يتوجب على إسرائيل أن ترفع الحصار. إن تبادل الأسرى صار متأخراً، ولكن إصرار إسرائيل على جعله جزءاً من اتفاقية وقف إطلاق النار يعقد كلا الأمرين ويباعد احتمال التوصل إلى نتيجة ل كليهما. إن كسر هذا الترابط من قبل بنيامين نتنياهو، رئيس وزراء إسرائيل الجديد، سيكلفه سياسياً، فإنه سيكون كارهاً للظهور أكثر لينا مع حماس من سلفه. ولكن هذا أساسي، وعلى الولايات المتحدة وحلفاء إسرائيل الآخرين أن يعرضوه بوضوح. إن الدلائل من غزة تشير إلى تصاعد الغضب مع نمو وعي السكان بأن ظروفهم لن تتحسن. قد يتمنى البعض توجيه غضبهم نحو حماس. ولكن الأكثر احتمالاً هو أن تقوم حماس بتوجيه غضبها نحو إسرائيل.

وأما إعادة البناء، فإذا لم يتم إيجاد حل وسط بين إصرار حماس على إشراكها ورغبة المانحين الدوليين بتجاهلها، وإذا لم يتم إقناع إسرائيل بفتح المعابر، فإن الالتزامات الكبيرة ستظل حير على ورق. هنالك حاجة لمقايضة جماعية يسيطر الإسلاميون في الواقع على المرور، الأمن، استخدام الأراضي وتراخيص البناء. وبذلك لا ينبغي عليهم التخوف من آليات يديرها الآخرون، كالسلطة الفلسطينية أو أية كيانات أخرى، طالما يجري استشارتهم. وينطبق الأمر ذاته على كل من المانحين والسلطة الفلسطينية والذين ينبغي أن يتقبلوا بأنهم إذا أرادوا اشتراط إعادة البناء بمنع الاتصال بحماس وحرمانها أي دور في إعادة النهوض، فمن الأفضل عدم التفكير بالعملية إطلاقاً. وفي حين تمتلك إسرائيل قلقاً أمنياً مشروعاً من تحويل حماس المواد المستوردة للاستخدام العسكري، فإن احتجاز سكان غزة كرهائن لا يمثل رداً مشروعاً. وهذا ما يستوجب توفيره بتوثيق الاستخدام النهائي من قبل هيئة مستقلة ذات عضوية دولية.

انتهت حرب إسرائيل وحماس ولكن لم يتم تحديد أي من العوامل التي أشعلتها. فبعد مرور ثلاثة أشهر على وقف إطلاق النار الأحادي الجانب ما زالت معابر غزة مغلقة بشكل عام، ولم يباشر بإعادة التأهيل و الإعمار، وما زال إطلاق الصواريخ إلى داخل إسرائيل بين الحين والآخر وتهريب الأسلحة مستمراً، والعريف شاليط ما زال أسيراً، والفلسطينيون في انقسام عميق. لا يمكن الاعتبار أن الحرب لم تغير شيئاً فقد خسر المئات حياتهم وقد الآلاف أسباب رزقهم، وانبثق مشهد سياسي جديد. ولكن الحرب لم تحدث تغييراً نحو الأفضل. إن الأمر الواقع غير مستدام، وعادت غزة مرة أخرى لتكون انفجاراً مرتقياً. ومع أن المصالحة الفلسطينية الحقيقية والتدابير المرضية بشكل وافٍ في غزة ليست من ضمن الأوراق المطروحة، قد يمكن اتخاذ خطوات محدودة للتقليل من خطر التصعيد، الاستجابة لأكثر الحاجات الملحة لغزة وتحقيق بعض التفاهم الداخلي للفلسطيني. إن ذلك يتطلب مرونة أكبر من الأطراف المحلية، وشجاعة سياسية أكبر من قبل الأطراف الخارجية.

هناك سبب وجيه للقلق. إذا لم يرفع الحصار، فقد تخاطر حماس في شن هجمات موسعة. وإذا لم يتوقف نقل الأسلحة واستمرت الهجمات الصاروخية فقد نشن إسرائيل هجوماً آخر. وبدون شكل ما من أشكال التفاهم الفلسطيني، يبقى من غير المحتمل أن يسمح المجتمع الدولي لغزة بالنهوض خشية أن تستعيد حماس. إن استمرار التوتر المحيط بغزة قد يسخن الحرب الإقليمية الباردة. فبدون وقف إطلاق نار مستقر وقيادة فلسطينية واسعة التمثيل فإن مستقبل السلام، والذي صار أصعب نتيجة لطبيعة الحكومة الإسرائيلية الجديدة، سيظل أكثر تهرباً.

من النتائج المباشرة للصراع، إدراك العديد في المنطقة وخارجها لهذه الرهانات أخيراً. فقد توسطت مصر بين إسرائيل وحماس من أجل التوصل إلى وقف إطلاق نار واضح ومحدد. وقام المانحون في شرم الشيخ بالتعهد بمبالغ كبيرة للمساعدة في إعادة بناء غزة. لقد قام الفلسطينيون، بحث من ذات الدول الغربية التي سحبت البساط في عام 2007 من تحت آخر حكومة وحدة فلسطينية، بالبحث عن تفاهم جديد بين كل من فتح وحماس. ومع ذلك وبانقضاء الوقت وعدم ظهور أية نتائج في الأفق، تراجعت الضرورة أمام الرضا الذاتي والذي تراجع بدوره أمام الإهمال لتؤول النتيجة بغزة انفجاراً يوشك أن يحدث.

إن لهذه المعضلة تفسيرات عدة ولعل الرئيسية فيها تردد كل من السلطة الفلسطينية في رام الله، الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل من منح حماس أي شئ قد يشابه مكافأة على التحريض

إذا لا يتحرك شئ حالياً، فهذا يعود إلى أن كل الأنظار متجهة إلى الرئيس أوباما. إن العديد في المنطقة وخارجها راضيون بما يرونه. وإن خطوات إدارته الأولية تشير إلى محاولة لتشكيل بيئة مناسبة لمبادرة دبلوماسية - الالتزام المتكرر بحل الدولتين؛ الانتباه للوقائع على الأرض، المستوطنات بالذات؛ وقرار التواصل مع سوريا، وقريباً مع إيران.

ولكن هذا يترك فجوة ملحوظة: ماذا عن المشهد الفلسطيني المحلي والحاجة لقيادة ممثلة موثوقة؟ لم تقدم الإدارة الأمريكية الجديدة غير مفاتيح حلول قليلة ومحددة، ناهيك عن إشارة إلى تغيير حقيقي. هنالك قيوداً سياسية بالإضافة إلى التخوف من أن اللين في الموقف تجاه حماس قد يوجه ضربة قاضية للقوى البراغمية. ومع ذلك فحتى رفض التعامل مع الإسلاميين إذا لم يوافقوا على شروط اللجنة الرباعية لا ينبغي أن يفرض على واشنطن كيفية تصرفه في حال قيام حكومة وحدة وطنية ملتزمة بوقف إطلاق النار وتخويل عباس بالتفاوض مع إسرائيل - وخاصة إذا، خلافاً لما حدث في عام 2007، طالب كل من الحلفاء العرب والأوروبيين بليوننة أكثر. قد يكون موقف الولايات المتحدة مرتبباً بمواقف كل من قيادة السلطة الفلسطينية، الاتحاد الأوروبي والعالم العربي وما تريد فعله. فإنه مثبط للهمة أنهم على ما يبدو، مختبئين وراء افتراض عدم مرونة الولايات المتحدة، قرروا عدم القيام بأي شئ في الحال الحاضر.

التوصيات

إلى حركة التحرير الفلسطينية (فتح) وحركة المقاومة الإسلامية (حماس):

1. تشكيل حكومة موحدة مؤلفة من تكنوقراط تختارهم الفصائل وتقوم بالتالي:
 - أ. تلتزم بتطبيق وقف إطلاق نار متبادل بين إسرائيل والفلسطينيين، و
 - ب. الموافقة على تفويض رئيس منظمة التحرير الفلسطينية للتفاوض مع إسرائيل وأن أي اتفاق سيقدم للاستفتاء وأنها ستحترم نتيجته.
2. تأسيس، بانتظار حكومة موحدة، لجنة في غزة مؤلفة من مستقلين معينين من قبل الفصائل السياسية وممثلين من المنظمات الدولية، القطاع الخاص والمجتمع المدني من أجل:
 - أ. التنسيق بين السلطة الفلسطينية وجهود المانحين لإعادة البناء، وجعل السلطات في كل من الضفة الغربية وغزة على اطلاع تام، و
 - ب. التأكيد على استخدام المواد المستوردة في المجالات المخصصة لها.

بدأت الفرص، للهولة الأولى، واعدة في القضية الأخيرة وهي المصالحة الفلسطينية. ازداد الضجر بين شرائح واسعة للرأي العام نتيجة الانقسام، الذي بدت كفه - ومن أبرزها عدم القابلية على التصرف بشكل متناسق قبل، خلال وبعد النزاع الأخير - أكثر وضوحاً. ومع ذلك فإن ثلاث جولات تفاوضية بوساطة مصرية قد فشلت ويتمنى القليل في الجولة الرابعة. لا يبدو كل من فتح وحماس راغباً في التنازل عن ما لديه، موقعها في الضفة الغربية ومنظمة التحرير الفلسطينية بالنسبة للأولى والسيطرة على غزة بالنسبة للأخيرة. إن اتفاق شامل على إعادة توحيد الأراضي جغرافياً وسياسياً وتوحيد الأجهزة الأمنية وإلغاء التحزب فيها وتوسيع منظمة التحرير الفلسطينية يبدو بعيد المنال. ولكن هذا يجب أن لا يمنع نوعاً من التفاهم المحدود.

إن بإمكان الإسلاميين أن يفتخروا بعزمهم وصمودهم ومداهم الإقليمي المتزايد: إنهم مقتنعين بأن الحرب - معركتهم الأولى الحقيقية والتي تغيب عنها فتح - قد عززت شرعيتهم وصانت طريقهم. ولكنهم اصطدموا أيضاً بالحقائق المؤلمة، والمتمثلة في عدم رغبة المجتمع الدولي في التعامل مع حماس ولو على حساب ترك الغزاويين وحدهم في الدفاع عن أنفسهم. إن عدم الاتفاق مع فتح و السلطة الفلسطينية سنبقي معايير غزة مغلقة، ولن يستلم الغزاويون أية معونات، وسيزيد الاستياء الشعبي من حماس.

لقد تجلت الوقائع على منافسي حماس أيضاً. بالرغم من غيابهما عن الحرب، فليست السلطة الفلسطينية في رام الله أو فتح بمنأى من ارتداداتها. باستمرار القتال، فإن الرئيس الذي رعى العلاقات مع إسرائيل والولايات المتحدة لم يستطع إقناع الأولى بالتوقف ولا الأخيرة بالمساعدة في هذه المهمة. إن عدم مقدرة عباس على منع الحرب أضيفت إلى عدم قدرته في جلب السلام. أدرك العديد من قادة فتح، تلاحقهم ردود الفعل السلبية الشعبية، وجوب التوصل إلى نوع من الاتفاق مع حماس من أجل تحسين الصورة والعودة بالنتيجة إلى غزة.

إن هذه فرصة. ينبغي تركيز الجهود على إيجاد حل يلبي الحاجات الملحة للطرفين. فإذا يرفض كل منهما التخلي عن سيطرته على الأراضي، فليبقى الحال على ما هو عليه في الوقت الحاضر. ينبغي أن لا يعيق ذلك تشكيل حكومة تساعد في بناء غزة وتعطي رام الله موطاً قدم في غزة وتمنح لعباس شرعية أكبر من أجل التعامل بشكل فعال مع إسرائيل - ومع شعبه. إن المعضلة الأساسية هي البرنامج السياسي. ترفض حماس برنامجاً يعترف بإسرائيل، بينما تعتبر فتح ذلك ثمن الشرعية الدولية، وتصر عليه. ولقد اقترحت بدائل عدة من ضمنها برنامج غامض ولا برنامج على الإطلاق ولكن هذا نقاش عقيم.

إن الكلمات مهمة ولكن الأفعال أهم بكثير. إن على المجتمع الدولي تقييم الحكومة على ما ينبغي القيام به من أجل الوصول إلى تسوية سلمية، وهو وجود الرغبة لفرض وقف إطلاق نار متبادل مع إسرائيل، القبول بصلاحيات عباس في التفاوض للتوصل إلى اتفاقية مع إسرائيل والاحترام لنتائج استفتاء حول هذه الاتفاقية. إن موقف حماس حول اعتراف دولة فلسطينية بإسرائيل يؤخذ بالاعتبار في حال وجود تلك الدولة فقط، أما قبل ذلك فإن الأمر أكاديمي محض.

إلى حكومة إسرائيل:

11. السماح ، بانتظار الفتح الشامل لمعابر غزة:
- أ. بمرور المواد اللازمة لتحديد أماكن المواد الحربية الغير المفجرة وتدميرها،
- ب. بمرور المال اللازم لتسهيل عمل النظام المصرفي في غزة ودفع رواتب السلطة الفلسطينية والإعانات الاجتماعية ومشاريع المانحين،
- ج. إعادة إمدادات الطاقة والوقود والطعام إلى مستويات ما قبل حزيران 2007.

إلى مجتمع المانحين:

12. الحفاظ على التعهدات للمساعدة في إعادة بناء غزة والموافقة على العمل مع لجنة غزة المذكورة آنفاً ومنظمات الأمم المتحدة المعنية.

إلى حكومة إسرائيل وحماس:

13. التفاوض بشكل منفصل لاتفاقية تبادل الأسرى و وقف إطلاق النار بدون اشتراط أحدهما على الآخر.
14. الاتفاق على وقف إطلاق نار مدون والذي يوفر ما يلي:
- أ. آلية للمراقبة وتقديم التقارير وفض الخلافات بإشراف دولي مقبول من قبل الطرفين، و
- ب. قائمة سوداء لبعض المنتجات التي لن يسمح بدخولها إلى غزة تماشياً مع القلق الأمني الإسرائيلي المعقول، ودون أي قيود على المواد والمنتجات الأخرى.

إلى اللجنة الرباعية (الولايات المتحدة، الاتحاد الأوروبي، الاتحاد الروسي، الأمين العام للأمم المتحدة):

15. التوضيح بأنها ستقيم حكومة فلسطينية موحدة على:
- أ. فرضها وقف إطلاق نار متبادل مع إسرائيل، و
- ب. موافقتها على تفويض رئيس منظمة التحرير الفلسطينية بالتفاوض مع إسرائيل، وأن أية اتفاقية ستقدم للاستفتاء وأنها ستلتزم بنتيجته، و
16. تشجيع المبعوث الخاص لكل من اللجنة الرباعية والأمم المتحدة على الاجتماع مع أعضاء حماس في الحكومة الموحدة.
17. الضغط على الأطراف المعنية من أجل التوصل إلى اتفاق حول فتح المعابر، وقف إطلاق النار، تبادل الأسرى، وحكومة موحدة.

إلى أعضاء الجامعة العربية:

18. التوضيح لأعضاء اللجنة الرباعية بأنها ستدعم حكومة موحدة على الشكل المذكور آنفاً وتشجيع الآخرين في المجتمع الدولي بالتعامل معها.

مدينة غزة/ رام الله/ القدس/ واشنطن/ بروكسل،

23 نيسان/ أبريل 2009

3. تأسيس، بانتظار حكومة موحدة، لجنة مكونة من تكنوقراط لغرض محافظة وتطوير التنسيق بين الوزارات المعنية في غزة ورام الله بخصوص قضايا الكوادر والمشاريع الممولة من قبل المانحين والقضايا الأخرى ذات الاهتمام المشترك.

4. اتخاذ الخطوات اللازمة، بانتظار تشكيل حكومة موحدة، من أجل تحسين الوضع في الضفة الغربية وغزة من خلال:

أ. إيقاف العنف غير القانوني وحملات الاعتقال ضد حماس في الضفة الغربية وضد فتح في غزة، محاكمة الموقوفين في محاكم مدنية وإطلاق سراح هؤلاء الذين لم توجه إليهم أية تهمة،

ب. إعادة فتح المنظمات الغير الحكومية والسياسية والسماح لهم بالعمل من غير عراقيل، و

ج. المساعدة على الحفاظ على المؤسسات الحكومية الغير الحزبية والسماح لها بالعمل من غير تدخل قوات الأمن ومن غير تمييز سياسي.

إلى حماس:

5. التأكيد على الموقف السابق بتحويل رئيس منظمة التحرير الفلسطينية بالتفاوض مع إسرائيل وأن أية اتفاقية ستقدم للاستفتاء وأنها ستحترم نتائجها.

6. السماح بمشاريع إعادة الإعمار التي تديرها السلطة الفلسطينية في رام الله أو المجموعات الدولية من غير قيود والتنازل عن جمع الضرائب على هذه المشاريع.

إلى السلطة الفلسطينية في رام الله:

7. المحافظة على دفع رواتب الموظفين المدنيين وموظفي القطاع العام في غزة.
8. الاستمرار بدفع المستحقات للاحتياجات والخدمات الأساسية في غزة.
9. تنسيق مشاريع إعادة الإعمار في غزة مع سلطات حماس.

إلى حكومات إسرائيل، مصر، السلطة الفلسطينية وحماس:

10. التنسيق مع سلطات غزة من أجل السماح بفتح مستمر للمعابر مع كل من إسرائيل ومصر، وبضمنه:

- أ. عودة قوات الحدود للسلطة الفلسطينية لمعابر غزة حسب التعليمات النافذة،
- ب. عودة قوات السلطة الفلسطينية إلى داخل المعابر ومحيطها، و، بانتظار إصلاح قوات الأمن الفلسطينية، إعادة نشر قوات حماس بعيداً عن المعابر والتنسيق فيما بينهما،

ج. عودة لجنة المساعدة الحدودية للاتحاد الأوروبي إلى العمل في غزة من غير تدخل،

د. النقل العاجل للسكان الذين هم بحاجة للعلاج الطبي.

العمل الغير منجز لغزة

تركوا المناطق القريبة من المناطق الحكومية، جوامع وبيوت قادة حماس.⁷ ولكن الموجودين في المناطق النائية للشريط الحدودي لغزة لم يتمكنوا من مغادرة المناطق الحربية وتأمين الملجأ.⁸

لقد حصر الجيش الاسرائيلي خسائره الى الحد الادنى، والذي ادى بالمقابل الى زيادة الخسائر في صفوف الفلسطينيين. تجنبت اسرائيل استخدام الطرق الرئيسية في غزة وخاصة الطريق الشمالي - الجنوبي الرئيسي، طريق صلاح الدين خوفا من قيام حماس بوضع الكمائن، وبدلا من ذلك وحسب تعليق احد سكان بيت لاهيا فان اسرائيل "مشت فوق بيوتنا"،⁹ اي ان دباباتها وقواتها تحركت عبر الحقول الزراعية والمناطق السكنية، والقيام بضرب وتفجير البيوت التي اعتبرتها مشكوك بها مجبرة السكان على الفرار. وعند رفض السكان المغادرة قامت اسرائيل باستخدام القصف الثقيل او الدخول من الخلف من اجل تفتادى اية كمائن محتملة.¹⁰ اما المنازل التي تمت السيطرة عليها من قبل اسرائيل لاستخدامها كمراكز مراقبة او ادارة فقد تعرضت الى اضرار ثانوية. " انني اتفهم تناولهم لطعامي ولكنني لافهم تيرزهم في ادواتي المطبخية؟"، حسب قول احد سكان بيت لاهيا.¹¹

ادعى سكان غزة بان الايام الاخيرة للحرب كانت الاكثر خطورة وذلك لتزايد القصف الاسرائيلي العشوائي المستمر. في بادئ الامر كان الوضع مجرد الابتعاد عن كل ما له صلة بحماس.¹²

⁷مقابلة مجموعة الازمات، سكان غزة، غزة، ديسمبر 2008 ويناير 2009.
⁸حتى الذين كانوا في الملاجئ لم يسلموا من النيران في بعض الاحيان، وان العشرات من الفلسطينيين قتلوا خارج مدرسة وكالة الامم المتحدة للغوث والتشغيل (UNRWA) في 6 يناير. أشارت مقابلات مجموعة الازمات الى ان الجيش الاسرائيلي قام بفتح النار عند مرور ابو خالد ابو عسكر، قائد كتائب القسام في منطقة جباليا، بالقرب منها. ان محاولة الاغتيال فشلت ولكن قتلوا اثنين من اولاده، والذي واحد منهم على الاقل كان عضو في كتائب القسام. مقابلات مجموعة الازمات، جباليا، يناير 2009.
⁹مقابلة مجموعة الازمات، بيت لاهيا، يناير 2009.
¹⁰مقابلات مجموعة الازمات، سكان مدينتي بيت لاهيا وجباليا، يناير 2009.
¹¹مقابلة مجموعة الازمات، بيت لاهيا، يناير 2009.
¹²وجود الطائرات كان مستمرا في السماء. لم يكن من الممكن ان تعرف من المطلوب من حولك، ولم يكن باستطاعتك التكهون متى ستقوم الطائرات بفتح النار، وبذلك تشك بالجميع، والجيران في اغلب الوقت. " سكان غزة عند التأكيد على البعد الجماعي للحملة الاسرائيلية، ابعدها بعض التفهم لاستهداف اسرائيل للمسلحين : ساكون صريحا: انني لا اعرف ماذا كان يفعل جيراني في الليل. كنت اصل من اجل ان لايقوم احد باطلاق الصواريخ من الحديقة خلف شقتي. لقد قامت اسرائيل بتدمير مبنى باكملة حولنا، وفيه العديد من الناس الابرياء بسبب مقام به افراد اخرين". مقابلات مجموعة الازمات، مدينة غزة، يناير - مارس 2009.

I. الحرب في غزة

أ. أضرار الحرب¹

ان الهدف من الحرب بالنسبة لحماس يتجاوز وجودها كحركة او حكومة وهو في فتح المعابر وكسر الحصار على غزة. فحسب قول احد قادة حماس فان الحركة كانت مستعدة لمواجهة مدتها اسبوعين وتتضمن اجتياحات اسرائيلية محدودة على طول الخطوط التي شهدت الانتفاضة الثانية،² وبدلا من ذلك فقد واجهت اسبوعاً من الحملات الجوية تلاه اسبوعين من الهجمات الجوية والبرية. عند ذلك تم اعلان وقف أحادي الجانب لاطلاق النار في 18 يناير 2009 بعد أن قتل 1430 غزوي وجرح اكثر من 5300³ وتشرد حوالي 90000.⁴ ويتوقع مسؤول البرنامج الانمائي للامم المتحدة (UNDP) بانه في حال اعادة فتح معابر غزة وبصورة دائمة فانها ستحتاج الى خمسة سنوات من اجل اصلاح الضرر - اي العودة الى الحالة المتهالكة التي وجدت نفسها فيها بعد ثمانية عشر شهرا من الحصار العقابي.⁵

بينما ادعت اسرائيل انها استهدفت الحد الادنى من المدنيين، فهي " اعتبرت كل موقع او محل اقامة لحماس منطقة عمليات محتملة وجزء من قيادة حماس وبنيتها التحتية العسكرية".⁶ ان الفلسطينيين كانوا على علم بان اي بنى لها علاقة بحماس تعتبر مستهدفة، حتى قبل ان تصدر اسرائيل التحذيرات فان العديد من الفلسطينيين

¹التفاصيل اكثر حول المراحل الاولى للحرب والاحداث المعنية، انظر ملخص الشرق الاوسط للمجموعة الازمات رقم 26، انهاء الحرب في غزة، 5 يناير 2009.
²مقابلة مجموعة الازمات، احد قادة حماس، مدينة غزة، يناير 2009.
³بيان المركز الفلسطيني لحقوق الانسان، 12 مارس 2009.
⁴بالاضافة الى ذلك، فقد تم تدمير 4100 بيت بشكل كامل، وأصابة 17000 هيكل بالاضرار - اي اكثر من 14% من اجمالي غزة. وتم تدمير 8 مدارس بشكل كامل وتعرض 179 مدرسة اخرى الى اضرار ملحوظة، وتعرض 92 جامع الى تدمير كلي أو جزئي، ان الضرر الذي لحق بالمؤسسات غير الحكومية لوحدتها يقدر بـ 10 ملايين دولار. مقابلة مجموعة الازمات. وزارة التعليم في غزة ومسؤولي البرنامج الانمائي للامم المتحدة، 4 فبراير و16 مارس 2009، " الخسائر المباشرة في البنى التحتية" المكتب الفلسطيني للاحصاء.
⁵مقابلة مجموعة الازمات، مسؤول في البرنامج الانمائي للامم المتحدة UNDP، مدينة غزة، 4 فبراير 2009.
⁶انتوني كوردسمان "الحرب على غزة: التحليل الاستراتيجي"، مركز الدراسات الدولية والاستراتيجية، 2 فبراير 2009، ص 16. شهادة جندي في مؤتمر عسكري حول عدم الالتزام بالقوانين وتعهد التخريب يختلف عن تصريحات المسؤولين الاسرائيليين. هاربيتر 19 مارس 2009.

مجموع المتوفر وهذا حسب احد القادة²⁰ وهكذا فان عدد محدود من المقاتلين قد قتلوا²¹ وحسب قول احد اعضاء كتائب القسام بان المقاتلين ابدوا روح معنوية عالية خلال الحرب، "مثلما مات النبي محمد واستمر الاسلام فان دماء قادتنا تعتبر الوقود لاستمرار طريقنا وزيادة عزمننا. نحن لسنا مثل هؤلاء في فتح، الذين يقاتلون باسم دحلان او ابو مازن، نحن لانقاتل من اجل هنية او صيام وانما في سبيل الله"²².

بدلا من مواجهة الجنود الاسرائيليين، كان لحماس اولويتان. الاولى، التركيز على اطلاق الصواريخ، والذي استمر الى نهاية الحرب وبعدها من اجل "احراج اسرائيل" وابرار "عدم قدرتها على تحقيق اهدافها"²³ وبالرغم من ان اعداد الصواريخ قل على مر ايام القتال، فان حماس كانت مازالت تطلق من 10 الى 20 صاروخ في اليوم الى وقت اعلان وقف اطلاق النار²⁴ ثانيا، حاولت حماس جر القوات الاسرائيلية الى المناطق المدنية المكتظة بالسكان، وخاصة في المناطق التي تسيطر عليها حماس والتي كانت مستعدة لهجمات مضادة. وكما وصف مقاتل للمعارك على انها قاتلة "العبه الغميضة"²⁵ والتي تسعى فيها اسرائيل الى اغواء المقاتلين الى المناطق المفتوحة، بينما كانت تسعى حماس الى جر القوات الاسرائيلية الى مواقعها المفضلة. لكن الجنود رفضوا الطعم²⁶ مما اغضب مقاتلو حماس لافتقارهم القابلية على الالتحام في حرب شوارع²⁷.

لقد كانت وحدات الصواريخ تقاتل من المراكز السكنية، وخاصة بعد ان سيطرت اسرائيل على المواقع الاكثر ملائمة لاطلاق الصواريخ. وغالبا ما يقوم المقاتلين باطلاق الصواريخ من اماكن قريبة من المنازل ومن الازقة على امل ان يمنع وجود المدنيين اسرائيل من القيام بالرد عليهم²⁸. ومع ذلك فان الهجمات المضادة

لكن عند اقتراب النهاية، كان من الواضح الى ان ليس هناك اي منطوق للهجمات¹³ خلال تلك الفترة، فان الكثير من المنطقة الصناعية بالقرب من الحدود الشرقية لغزة تم تدميرها. وحسب قول سكان المناطق المحيطة بانه تم تدمير الكثير من المصانع، التي بقيت غير مدمرة ولكن القوات الاسرائيلية قامت بتدميرها عند انسحابها¹⁴. ان العديد من الزيارات التي قامت بها مجموعة الازمات الى المناطق التي تعرضت الى القصف العنيف خلال وبعد الحرب، بينت انه في حين كان التدمير في المناطق الشمالية من القطاع واسعا، فان التدمير في المناطق الشرقية منظماً وشاملاً، وكانت المنطقة من الحدود الاسرائيلية الى منطقة اطلاق الصواريخ في منطقة جبل الريس - اي مسافة ما يقارب 1.5 كم من ضمنها مناطق المزارع، المصانع والمنازل - قد دمرت تدمير كاملاً¹⁵.

ان الاستخدام الساحق للقوة دفع حماس الى اتباع استراتيجية عسكرية محافظة¹⁶ حيث تقادى المقاتلون في اغلب الاحيان المواجهات المباشرة مع القوات الاسرائيلية¹⁷ وحسب قول احدهم من وسط المعركة، "المجرد اننا على استعداد للموت في سبيل الله لا يعني وجوب ان يحدث ذلك اليوم"¹⁸. بدلا من نشر "المئات" لمواجهة اسرائيل في مناطق مفتوحة، قامت كتائب القسام بارسال مقاتلين اقل - حسب تقدير احدهم عشرة في كل مرة¹⁹ ويتم استبدالهم فقط عند مقتلهم. ولم تقوم كتائب القسام بنشر كل وحداتها، وقامت بالتركيز بدلا من ذلك على الصواريخ، المتفجرات، الاتصالات ووحدات الدعم - اي حوالي العشر من

¹³مقابلة مجموعة الازمات، سكان مدينة غزة، يناير 2009.

¹⁴مقابلات مجموعة الازمات، بيت لاهيا، جبل الكاشف، فبراير ومارس

2009

¹⁵بالقرب من الحدود الشرقية لغزة، علق احد السكان ببساطة، "لقد قاموا بتطهير المنطقة الحدودية". مقابلة مجموعة الازمات، بيت لاهيا، مارس 2009. وحسب خبير عسكري دولي قام بزيارة الموقع فقد اخبر مجموعة الازمات لقد تم تدمير المنازل في المنطقة بتنسيق بين بلدوزرات 9 والغام مضادة للدبابات. وقد قال الخبير بان "التدمير المنظم والمدروس للمنطقة استمر لمدة يومين على الاقل من العمل الشاق". البريد الالكتروني لمجموعة الازمات، 19 مارس 2009.

¹⁶لقد قامت حماس بتنسيق الميليشيات الاخرى المقاتلة، من ضمنها كتائب القدس (الجناح العسكري للجهاد الاسلامي) وكتائب علي ابو مصطفى (الجناح العسكري للجهبة الشعبية لتحرير فلسطين). جردت كتائب شهداء الأقصى - التيار الرئيسي - من سلاحها من قبل حماس، بالرغم من ان بعضهم قام بالانضمام لكتائب القدس بعد ان سيطرت حماس على غزة في 2007، وقاتلوا تحت لوأهم، اما اثنين من مجاميع الأقصى الاخرى، كتائب المجاهدين وايمان جودة، فقد قاتلوا بموافقة حماس. وحسب قول قائد عسكري، "تركيزنا انصب على العناصر الجيدة في فتح، هؤلاء الذين يؤمنون بالمقاومة". مقابلة مجموعة الازمات، مدينة غزة، يناير 2009. وكما ادعى احد قادة فتح بان 47 عضو قتلوا خلال القتال. مقابلة مجموعة الازمات، ابراهيم ابو النجاح، مدينة غزة، يناير 2009.

¹⁷لقد اكد مسؤولين اسرائيليين بصورة خاصة هذا التقييم. مقابلات مجموعة الازمات، مسؤولين اسرائيليين، تل ابيب والقدس، يناير 2009. لقد ابدى احد قادة حماس اندهائش من اعتقاد البعض بامكانية حماس مواجهة اسرائيل مباشرة، والتي "لديها العديد من السبل. الثبات هو الاحتمال الوحيد". مقابلة مجموعة الازمات، احد قادة حماس، مدينة غزة، 14 مارس 2009.

¹⁸مقابلة مجموعة الازمات، يناير 2009. في بداية 2008، قامت حماس بتعديل استراتيجيتها، بتعرض اقل لمقاتليها. وقد جاء هذا التغيير بعد ان كلفتها اسرائيل كثيرا عندما قتل في 15 يناير 2008، ابن محمود الزهار احد قادة حماس مع 12 مقاتل اخر في يوم واحد. مقابلة مجموعة الازمات، احد قادة حماس، ديسمبر 2008

¹⁹مقابلة مجموعة الازمات، مقاتلي حماس، مدينة غزة، يناير 2009.

²⁰مقابلة مجموعة الازمات، مدينة غزة، فبراير 2009. لقد تم الحد من الخسائر من قبل كتائب القسام عن طريق الحفاظ على اتصالات امنية نسبية، تقليل استخدام الهوائيات النقالة من قبل المقاتلين، بعدما تم استهداف البعض منهم حتى بعد رفع البطاريات والشرائح عنها. مقابلات مجموعة الازمات، يناير 2009.

²¹في نهاية الحرب قدرت حماس عدد القتلى كان 48، بالرغم من ان مصادر من الحركة اخبرت مجموعة الازمات ان التقديرات تشير الى 150. مقابلة مجموعة الازمات، احد قادة حماس، مدينة غزة، فبراير 2009. اسرائيل تدعي انه تم قتل 709 من "العمليات الارهابية لحماس"، والذي معظمهم لم يكونوا اعضاء في كتائب القسام. البيان الصحفي لـ IDF، 26 مارس 2009. ان التناقض جلي لكون اسرائيل اعلنت عن عن قتل 250 عنصر من عناصر الشرطة في اليوم الاول من الهجوم، والذين عرفتهم حماس على انهم من المدنيين. حتى لو قامت حماس بالتصريح عن خسائر اقل مما هو عليه في الواقع فان الضرر الحاصل لجناحها العسكري - والذي يقدر ب 7000 الى 10000 من القوات الدائمة و 20000 اذا احتسبنا القوات الاحتياطية - سيبقى طفيفا. تقدر اسرائيل الضرر الحاصل لكادر الحركة على انه متوسط، وخاصة

لخبراء المتفجرات، كوردسمان، نفس المصدر، ص 58.

²²مقابلة مجموعة الازمات، مقاتل من القسام، مدينة غزة، يناير 2009.

²³مقابلة مجموعة الازمات، مقاتل من القسام، مدينة غزة، يناير 2009.

²⁴ملخص عمليات IDF، 27 ديسمبر 2008-18 يناير 2009.

²⁵مقابلة مجموعة الازمات، مقاتل من القسام، مدينة غزة، يناير 2009.

²⁶حسب تعليق احد سكان مدينة غزة: "كل يوم من الايام الخمسة الماضية سمعت ان اسرائيل تتجه نحو الزيتون (منطقة واقعة في محيط مدينة غزة). لابد انهم يتقدمون مترا كل يوم". مقابلة مجموعة الازمات، مدينة غزة، يناير 2009.

²⁷مقابلات مجموعة الازمات، مدينة غزة وجباليا، يناير وفبراير 2009.

²⁸مقابلة مجموعة الازمات، مقاتلي حماس، مدينة غزة، يناير 2009.

بالرغم من شدة الحملة فان سيطرة حماس على الضفة لم تكن موضع شك ابدأ. بعد تدمير مراكز الشرطة الـ 62 لمدينة غزة في اليوم الاول،³⁶ اجتمع وزير الداخلية سعيد صيام مع كل رؤساء الامن واعاد تنظيم مهماتهم لمواجهة التهديدات والامن الداخلي وحكم حماس.³⁷ ووفقاً لمسؤول أمني رفيع المستوى من حماس عرض بعض القادة خلال الاجتماعات امكانية قتل بعض الذين المتهمين بالتعاون مع العدو من اجل ردع الآخرين.³⁸ تم وضع تقريبا 1200 شخص من فتح - من ضمنهم عضو من مجلس القيادة العليا في غزة تحت الإقامة الجبرية، لمنعهم تسريب اية معلومات الى اسرائيل عن أماكن تواجد قادة ومقاتلي حماس،³⁹ وتم احتجاز البعض الآخر وقامت حماس باعدام من اعتبرتهم "الأكثر خطورة".⁴⁰ وحسب تعليق سياسي فلسطيني مستقل على تصرفات حماس، في حين يعتبر قتل المتعاونين في وقت الحرب مساو "للدفاع عن النفس"، فقد قام بعض المقاتلين باغتنام الفرصة للقيام بتصفية الحسابات بشكل وحشي.⁴¹

تولت كتائب القسم القيادة في الامن الداخلي و، بالتعاون مع بعض الشرطة المدنيين، قاموا باعمال الدورية. اما اطفال الجامع وهم الشباب الذين يطمحون الانضمام الى الجناح العسكري لحماس مستقبلاً - فقد تم تكليفهم بمهمة التبليغ عن اية اعمال

جاءت قاتلة وسريعة حتى على الاماكن المكتضة بالسكان. وفي بعض الاحيان يقوم السكان بتحذير المقاتلين بوجود الابتعاد ولكن من دون جدوى،²⁹ وبعد الحرب قام البعض بطلب فتح التحقيق ومحاسبة المقاتلين الذين قاموا بتعريض حياة المدنيين للخطر عن طريق "اساءة استخدام اسلحتهم".³⁰ وقد برر المقاتلين نتائج تصرفاتهم - "اذا قتل الناس فسوف يعتبرون شهداء"³¹ - واصروا على ان انعدام توازن القوة لم يترك لهم خيار اخر. وحسب قول احدهم "ان اهم شئ هو تحقيق اهدافنا العسكرية. سنبتعد قدر الامكان عن المنازل ولو انه غالباً ما يكون اقرب الى المستحيل".³² وقد بين احد ممثلي حماس في البرلمان استراتيجية الحركة في المعركة، والتي تضع العديد من المدنيين في خطر: "هكذا هو الحال مع كل الحركات. نعم بعض الناس يموتون ولكن كله من اجل تقادي خسائر اكبر".³³

ان الخسائر المدنية رافقتها اضرار كبيرة للقطاع الخاص، مما يؤدي الى تعقيد مستقبل النهوض الاقتصادي اذا ما تم رفع الحصار. وحتى قبل اندلاع القتال فقد أدت 18 شهرا من الحصار الى اغلاق 95% من مؤسسات وتسريح 94% من عمال القطاع الخاص، ثم جاءت الحرب بالضربة شبه القاضية. ليس مفاجئاً الاستهداف المكثف لورش ومعامل الحديد المشتبه بكونها وراء تجهيز الصواريخ، وبالمثل عانت كل القطاعات من التدمير الواسع. لقد اصاب الضرر سبعة من معامل غزة الرئيسية للنسيج وتم اغلاقها، وتم تدمير 22 من 29 معمل من معامل الكونكريت، وتضررت 60% من الاراضي الزراعية الواقعة قرب الحدود مع اسرائيل مما ادى نظريا الى ايقاف العمل الزراعي.³⁴ اما في المنطقة الشرقية الصناعية فقد تم استهداف معامل الكونكريت، البلاط، الطحين، المشروبات الغازية والاجبان، وبعد الضربات الاولى لمعامل الكونكريت، قامت اسرائيل بتدمير ما تبقى من الخلطات الكونكريتية واحدة تلو الاخرى. اما في بيت حانون، فقد تلقى معملاً للادوية ضربة مباشرة، وكذلك ضربت المجازر وتم تدمير كل الموجود من المواشي والدواجن.³⁵

³⁶ يقدر الضرر الحاصل لمراكز الشرطة بـ 46 مليون دولار. مقابلة مجموعة الازمات، مسؤول البرنامج الانمائي للامم المتحدة UNDP، مدينة غزة، 6 فبراير 2009. وكما اوردت مجموعة الازمات انفا، فان الهجمات المنسقة ادت الى قتل 300 شخص، من بينهم رئيس الشرطة توفيق جابر. بينما قام قادة حماس بالاختباء ليومين تحسبا لاية هجمات اسرائيلية، رفض جابر الاصغاء الى نصيحة بعض المسؤولين الكبار - تأجيل حفل التخرج. مقابلة مجموعة الازمات، قائد الشرطة، مدينة غزة، فبراير 2009.
³⁷ مقابلة مجموعة الازمات، قائد امن غزة، مدينة غزة، فبراير 2009.
³⁸ مقابلة مجموعة الازمات، مدينة غزة، فبراير 2009.
³⁹ في ديسمبر وقبل انتهاء وقف اطلاق النار ادعى وزير داخلية غزة، سعيد صيام (من غير اثبات)، بان اعضاء فتح قاموا بانزال معلومات عن هويات مقاتلي حماس واماكن وجودهم على المواقع الخاصة بفتح على الانترنت. ولقد قام قائد عسكري من حماس بتوجيه نفس الاتهامات بعد انتهاء القتال في يناير لتبرير الاجراءات الصارمة التي اتخذت بحق فتح. مقابلة مجموعة الازمات، مدينة غزة، ديسمبر 2008 ويناير 2009.

⁴⁰ حسب قول مسؤول امني لحماس والذي اعطى مثلاً، لشخص تم اللقاء القبض عليه وهو يقوم بالتبليغ على موقع سري خلال الحرب لمكان اجتماع وزراء الحكومة. وقد قامت كتائب القسم بقتله، ومن ثم تم الاتصال بعائلته وشرح الظروف لهم. "العائلة لم تفعل شئ وابتقت الامر سرا. ان الامر يعد بالنسبة لهم احراج اجتماعي، فهم يفضلون تجنب الامر لان ابنائهم لن يجدوا عملاً وبناتهم لن يتمكنوا من الزواج". مقابلة مجموعة الازمات، احد قادة القسم، مدينة غزة، فبراير 2009. قدر المركز المستقل لحقوق الانسان، شبه الحكومي للسلطة الفلسطينية، عدد المتعاونين بـ 22. قدمت قائمة بالاسماء الى مجموعة الازمات. قتل معظمهم من قبل منفذين ملتزمين غير معرفين. نشرت فتح قائمة بـ 181 اسم تدعي قتل منهم 11، اطلق النار على 58 في الارجل والاذرع، وكسرت أرجل 112 منهم. 2 فبراير 2009. ونشرت منظمة العفو الدولية في 10 فبراير 2009 دراستها التي وضعت عدد اللذين قتلوا " على الاقل 24"، مع " أعداد" عوقوا عمداً. أُنكر متحدث باسم حماس الاعدامات غير القضائية، ولكنه اعترف بضرب أعضاء فتح اللذين وزعوا الحلوى عند اندلاع القتال وعندما قتل وزير الداخلية سعيد صيام، عضو بارز في انقلاب 2007 ومعروف بالقسوة على أعضاء فتح. الحياة- 26 يناير 2009. أقر محمود الزهار بخروقات أكبر " لقد كنا في حالة حرب عندما حيث هرب المتعاونين مع العدو من السجون عندما دمرتها اسرائيل للعمل ضد الفلسطينيين. عندما تغيب الوزارات والمحاكم، يسمح بتطبيق الاحكام القضائية في الميدان، وهناك مواقف حدث فيها مثل هذا ولكننا لانتعامل بذلك في وقت السلم". الاخبار 21 فبراير 2009.
⁴¹ مقابلة مجموعة الازمات، مدينة غزة، 15 مارس 2009.

²⁹ في العام الماضي، حاولنا طرد المقاتلين ولكنهم قاموا باطلاق النار على ابي واصابوه في رجله. بعد ذلك قمنا بقطع الاشجار وزرعنا بدلا منها الفول بدلا منها من اجل ان نمنعهم من الاختباء بينها. قمنا بالصراخ عليهم لكي يغادروا ولكنهم لم يفعلوا". مقابلة مجموعة الازمات، بيت لاهيا، يناير 2009.
³⁰ وردا على ذلك، اجاب مسؤول امني حكومي له صلات مع كل من الشرطة والجناح العسكري. ان الحرب لم تنته بعد والى ذلك الحين فانه من المبكر التكلم عن المحاسبة". مقابلة مجموعة الازمات، مدينة غزة، فبراير 2009.
³¹ مقابلة مجموعة الازمات، مقاتل من القسم، مدينة غزة، يناير 2009.
³² مقابلة مجموعة الازمات، مقاتل من الجهاد الاسلامي، مدينة غزة، يناير 2009.

³³ مقابلة مجموعة الازمات، الضفة الغربية، يناير 2009. بالرغم من تعريض المدنيين لنيران الاسرائيليين ولكن المقاتلين انكروا زرعهم للقتال في الاماكن المكتظة بالمنازل، ولكن زرعوها في منازل مهجورة او انها مازالت تحت الانشاء، تحسبا لقيام اسرائيل بتحويلها الى مواقع عسكرية. برر بعض المقاتلين ذلك على أسس أخلاقية (عدم تعريض المدنيين لأي خطر غير ضروري)، وسياسية (فعل غير ذلك سيؤدي الى ردة فعل شعبية)، وموضوعية (سترى اسرائيل الساكنين يغادرون وهذا سييطل مفعول الفخاخ)، مقابلات مجموعة الازمات، مقاتلي حماس، مدينة غزة، يناير 2009.
³⁴ واقع وحاجات القطاع الخاص مابعد الحرب في غزة، 23 فبراير 2009.
³⁵ مقابلات مجموعة الازمات، سكان مدينة غزة وبيت حانون، يناير وفبراير 2009، اقتصادي فلسطيني، مدينة غزة، فبراير 2009، مسؤولي السلطة الفلسطينية، رام الله، فبراير 2009.

القيادة سليمة بشكل كبير.⁵¹ ولكن باستمرار تحليق الطائرات في سماء غزة فان الشخصيات المهمة في الحركة مازات مختبئة تحسبا لاية عمليات اغتيال، ولذلك فان توقف العمليات يعتبر امرا صعبا. بالرغم من السيطرة المحكمة لحماس فان الوضع لم يرجع الى ماكان عليه قبل الحرب. ان العديد من افراد الشرطة وخاصة ذوي الرتب العالية مازالوا يرتدون الملابس المدنية، وسيارات الشرطة بالكاد تشاهد في الشارع، ولا تسمع اية صافرات انذار، ولقد تمت اعادة صبغ السيارات باللون الابيض بدلا من لونها الازرق الخاص بهم. وكذلك اعطاء اوامر للكوادر الامنية بتجنب التجمعات لاكثر من اثنين في الشوارع.⁵²

لقد قامت المكاتب الحكومية باستبدال الاماكن المدمرة، باعادة استخدام البنايات الحكومية الغير متضررة، بالإضافة الى النوادي الرياضية والمؤسسات الغير حكومية الاخرى⁵³. اما بالنسبة لوزارة الداخلية فقد ارتحلت الى خيم امام المبنى الذي تم تدميره.⁵⁴ من ناحية اخرى لقد تم تدمير مكتب الضرائب في

⁵¹ ان اثنين من كبار قادة حماس الذين تم قتلهم هم نزار ريان، والذي حسبما أوردت مجموعة الازمات، تم اقصائه من القيادة السياسية لحماس- و سعيد صيام. بالإضافة الى ذلك فان القادة الثلاثة الكبار في وحدة الحماية وهم من نخب حماس (وحدة الامن والحماية) تم قتلهم في اليوم الاول من الحرب، كما هو الحال مع رئيس شرطة غزة، توفيق جابر. ان كل من الرئيس الجديد للشرطة ووزير الداخلية لم يتم الاعلان عن اسميهما، لغيبان وقف اطلاق نار مستقر الذي قد يعرض حياتيهما الى الخطر، ولن يكون بإمكانهما العمل بحرية. وحسب قول احد قادة كتائب القسام، بان صيام وقيل مقتله قام بتعيين ابو عبيدة الجراح، نائب توفيق جابر، كرئيس جديد. مقابلة مجموعة الازمات، مدينة غزة، فبراير 2009. ان الجدل يدور حول الجراح (والذي كان سابقا أمر متنفذ ضمن القوات التنفيذية، وحدة حماية تحت ادارة حكومة حماس وبعد ذلك تم دمجها بشرطة غزة المدنية) والذي كان يعتبر القوة الحقيقية ضمن الشرطة حتى قيل قتل جابر. مقابلة مجموعة الازمات، مسؤول امني دولي، القدس، مارس 2009. ان المسؤولين الامنيين لا يتوقعون عقوبات كبيرة في ايجاد بديل لصيام لوزارة الداخلية. ان علاقته الجيدة الغير مألوفة مع كل من الجناح العسكري والصفوف السياسية ساعدته على تأسيس نظام الامن الداخلي لغزة، ولكن وحسب قول احد قادة حماس، "ان النظام فعال والعمل جاري، وان اغتياله يعتبر خسارة، ولكن بإمكان الاخرى ملئ المحراب الذي خلقه لنفسه".

مقابلة مجموعة الازمات، احد قادة كتائب القسام، مدينة غزة، يناير 2009.⁵² ملاحظات ومقابلات مجموعة الازمات، ضابط شرطة، مدينة غزة، 15 مارس 2009. العديد من رجال الشرطة بالزي الرسمي مكلفين بمراقبة السير، والذين تم تشغيلهم من قبل الحكومة كجزء من برنامج التشغيل. لوحظت مباشرة بعد الحرب، بضعة حوادث سرقة من قبل اشخاص ادعوا انهم جزء من الجهاز الامني الداخلي، وحسب قول احد الضحايا، والذي تم خداعه وسرقة سيارته، والذي قال له احد قادة الشرطة "ليس من الأمن ان تسمح لناس يدعون انتمائهم الى الامن الداخلي الى الدخول الى بيتك". مقابلة مجموعة الازمات، احد سكان مدينة غزة، مدينة غزة، فبراير 2009. لقد نشرت الاعلانات في الصحف المحلية منبهة الغزويين بطلب اوراق تعريف وطلب الاجتماعات في اماكن رسمية. ان مثل هذه الحوادث على ما يبدو انتهت بعد شهر او اكثر من انتهاء الحرب. مقابلة مجموعة الازمات، مدير بنك، مدينة غزة، 16 مارس 2009.

⁵³ مثلا، ان قسم الشؤون المدنية في وزارة الداخلية سيطر على اتحاد الخياطين. مقابلة مجموعة الازمات، احد اصحاب الاعمال في غزة، مدينة غزة، 16 مارس 2009. الوزارات المتضررة جزئيا يتم اعادة ترميمها، وفي وزارة التعليم في غزة، فلقد تم استخدام الزجاج الذي جلب عبر الانفاق من اجل اصلاح الشبائبيك، ملاحظات مجموعة الازمات، مدينة غزة، 16 مارس 2009.

⁵⁴ ملاحظات مجموعة الازمات، مدينة غزة، 17 مارس 2009.

شغب. ولقد التزم معظم الغزويين وعيا منهم بالعواقب ولم يتم التبليغ الا عن بضعة حوادث سرقة او جرائم.⁴²

برفض كل من اسرائيل وحماس قرار مجلس الامن رقم 1860،⁴³ فان القتال الاسوء انتهى في 18 يناير بوقفين لاطلاق النار الاحادي الجانب. ولكن مصر قامت بالوساطة من اجل مفاوضات مطولة ومباشرة في القاهرة لتحقيق سلام مستدام، فان القتال لم يتوقف تماما. بل على العكس عاد الى الضربات المتبادلة والمتقابلة والتي نجمت عن قتل اسرائيلي واحد واطلاق اكثر من 180 صاروخ وهاون الى داخل اسرائيل،⁴⁴ وقتل 18 من الفلسطينيين (من بينهم 3 مدنيين عزل) وجرح 43 منذ اعلان وقف اطلاق النار الرسمي.⁴⁵

في الايام الاولى لوقف اطلاق النار الاحادي الجانب، أستمرت فصائل صغيرة - وخاصة كتائب شهداء الأقصى التابعة لفتح - باطلاق الصواريخ⁴⁶ ولكن حماس لم تفعل شئ لابقافهم. وتعتبر الحركة الاسلامية ذلك ضغطاً مضافاً على المفاوضات.⁴⁷ وحسب تعليق احد قادة حماس "لماذا يتوجب علينا إيقاف اطلاق الصواريخ"، "فاسرائيل لم توافق على وقف اطلاق النار".⁴⁸ وتساءل البعض عندما تم اطلاق صواريخ غراد البعيدة المدى، فيما اذا كانت حماس وراء هذا الفعل، ولكن خلال محادثات المصالحة في القاهرة، قامت حكومة حماس بادانة قوية وغير مسبوقة لاستمرار الهجمات.⁴⁹

لقد باشرت الحكومة عمليات الامن الداخلي مباشرة بعد القتال، بعودة الضباط للقيام بواجباتهم ولو أنها اقتصرت على ملاحقة الشباب المتسكع في المنتزهات واخلاء الباعة الغير مرخصين من الارصفة.⁵⁰ لقد أستؤنفت الخدمات الحكومية الاساسية، وكانت

⁴² حسب قول المركز المستقل لشبه حكومي لحقوق الانسان، بان هناك عدد كبير من الحالات التي قامت بها العوائل باستغلال الحرب للاخذ بثأرها. المقالة الهاتفية لمجموعة الازمات.

⁴³ لقد دعي القرار الى "احترام تام، مستديم ومباشر لوقف اطلاق النار" والجهود التولية "لمنع التهريب المحظور للأسلحة والذخيرة والتأكيد على ادامة فتح المعابر على اسس اتفاق 2005 حول الحركة والمرور بين السلطة الفلسطينية".

⁴⁴ مقابلة مجموعة الازمات، قوات الدفاع الاسرائيلية (IDF) مكتب الناطق الرسمي، 20 ابريل 2009.

⁴⁵ مقابلة مجموعة الازمات، مسؤول الامم المتحدة، 20 ابريل 2009.⁴⁶ حسب تأكيد احد قادة فتح على ان حركة حماس اصرت على قيادة المفاوضات لوحدها: "في غياب اي اتفاق وطني لا يمكن ان يلام احد على استمرار القتال. ان الحوار الذي يقوده حزب واحد سوف لن يكسب التزام البقية، ولذا فان الحصول على موافقة الاحزاب الاخرى، يجب ان يكون هناك وقف اطلاق نار شامل. ان مصر والعرب يقومون بالاتصال مع حماس فقط. فنحن حميما لنا شهدائنا ويجب ان نكون جزء من الاتفاق". مقابلة مجموعة الازمات، مدينة غزة، فبراير 2009. لقد ايد احد قادة حماس الحاجة الى اتفاق شامل ولكنه لام اسرائيل على استمرار القتال: " لم باستطاعتنا انهاء كل العمليات القتالية لان اسرائيل قامت باتخاذ وقف اطلاق القتال كخطوة احادية الجانب ومازال هناك مجموعات صغيرة رغبة بتعزيز مصالحها عن طريق التصعيد". مقابلة مجموعة الازمات، مدينة غزة، 3 فبراير 2009.

⁴⁷ مقابلة مجموعة الازمات، احد قادة حماس، مدينة غزة، يناير 2009.⁴⁸ مقابلة مجموعة الازمات، مدينة غزة، فبراير 2009.

⁴⁹ لقد اكدت وزارة داخلية غزة، "بان لاعلاقة لحماس باطلاق هذه الصواريخ من غزة. حيث انها اطلقت في الوقت الخطأ، ونحن نؤكد ان قوات الامن تقوم بملاحقة من قام باطلاق هذه الصواريخ". وكالة الانباء الالمانية، 12 مارس 2009.

⁵⁰ ملاحظات مجموعة الازمات، مدينة غزة، يناير 2009.

الطريق الوحيد للتعامل مع الاحتلال هو بالبنديقية. عندما ستمسك فتح بالبنديقية مرة اخرى فانها سوف تستعيد شعبيتها".⁶³ وأشار آخر الى أن حشد الناس حولها يدل على الدعم الشعبي الواسع.⁶⁴ باستخدامها لمؤهلات المقاومة تظهر حماس بان خطابها الحالي يختلف بشكل كبير عن ايام حملتها الانتخابية في 2006 والتي كانت تعتمد على محاربة الفساد والاساس الصحيح للحكم. اما اليوم فانها تعمل ضمن اطار خيار "منطق المقاومة والاعتماد على النفس" مقابل عملية سلام وهمية معتمد بشكل بحت على حسن نية الولايات المتحدة.⁶⁵

بالرغم من المعاناة الجزئية الناتجة عن القتال فان قادة الحركة مقتنعين بان الشكوك التي تدور حول استراتيجيتهم ستبخر حالما يتم فتح المعابر، وهم مؤمنين ان هذا سيحصل قريبا.⁶⁶ وحتى لو حصل ان بقيت المعابر مغلقة فان القادة في الحركة يدعون انهم لا يخشون اية حركة ارتجاعية. وحسب تعليق احد المسؤولين في حماس، "ان الناس لا و لن يلومونا. لانهم يعلمون من المسؤول عن الحصار. وعند اجراء الانتخابات فانهم سيعلمون انه لم يتم اعطاء حماس الفرصة اللازمة. بدلا من ذلك فانهم سيفقدون الايمان بالعملية الانتخابية والتي لم تحترم ارادتهم وبدلا من ذلك تمت معاقبتهم لممارستهم حقوقهم الديمقراطية".⁶⁷

في غضون ذلك، فان الحرب استنزفت قوة فتح في غزة واهتز الايمان بالقيادة في داخل الحركة، وان مسانديها يعترفون بان اية هفوة تعتري شعبية حماس لن ينتج عنه اي فوز مقابل للمنافس.⁶⁸ وكما هو حال الجميع وحسب قول احد اعضاء حركة فتح، "لقد اصبت بخيبة امل من الحركة. قاد عباس بهجرنا وباقي غزة".⁶⁹

البريطانية في 1935 الهام الثورة الكبرى التي بدأت في فلسطين في السنة التالية وجعلت منه رمز للمقاومة العربية.

⁶³مقابلة مجموعة الازمات، احد قادة حماس، مدينة غزة، 14 مارس 2009. قام احد القادة بمقارنة حماس بفتح: "سوف يقوم الناس بمقارنة كيف ان معظم عوائل قادة منظمة التحرير الفلسطينية يعيشون خارج فلسطين، بينما قلة قادة حماس مع عوائلهم، كما هو الحال ما حصل لنزار ريان". مقابلة مجموعة الازمات، احد قادة حماس في المنفى، يناير 2009.

⁶⁴مقابلة مجموعة الازمات، احد قادة حماس، مدينة غزة، 15 مارس 2009. ان احد الفلسطينيين المستقلين سياسيا لم يناقش هذا التوصيف للدعم في وقت الحرب: "خلال الحرب، وخلال الهجوم الاسرائيلي، لم يكن من الممكن الوقوف ضد حماس كما هي، وانما ضد بعض افكارهم". مقابلة مجموعة الازمات، مدينة غزة، 14 مارس 2009.

⁶⁵الناطق باسم حماس، سامي ابو زهري، الفضائية السورية، 2 فبراير 2009، ولقد عبر قادة حماس الاخرين عن هذا الشعور. "لقد حققت المقاومة نجاحات، اما محاولات فتح بالتفاوض للوصول الى تسوية سياسية لم يثمر عنه شئ لحد الان". مقابلة مجموعة الازمات، احد قادة حماس الكبار، القاهرة، فبراير 2009.

⁶⁶مقابلة مجموعة الازمات، احد قادة حماس الكبار، القاهرة، مارس 2009.
⁶⁷مقابلة مجموعة الازمات، احد قادة حماس الكبار، القاهرة، مارس 2009، في غزة، قال احد القادة، " ان اي شعب يسعى لان يكون حر يتوجب عليه ان يقدم التضحيات. هل رضخت اوروبا لهتلر؟ هل رضخ الفيتناميون للولايات المتحدة؟ من الممكن ان تعبتني غير شخص غير منطقي، او ان تصرفي هو عبارة عن رد فعل، او انني لانتقم الواقع. ولكن هذا الوضع هو ليس اصعب ماتحملة الشعب الفلسطيني منذ 1948. اذا كنا سنموت فاننا سنفعل ذلك بكرامة". مقابلة مجموعة الازمات، احد قادة حماس، مدينة غزة، 15 مارس 2009.

⁶⁸مقابلة مجموعة الازمات، مساند لحركة فتح، مدينة غزة، 16 مارس 2009.

⁶⁹مقابلة مجموعة الازمات، احد اعضاء فتح، مدينة غزة، يناير 2009، ان الاستفتاءات متضاربة حول ما اذا كانت فتح او حماس قد استفادت من الحرب

الوقت الذي لم يتم جبي الضرائب المتوجب دفعها.⁵⁵ اما بالنسبة للاطعمة المتبقية في المخازن فقد اقتربت من مواعيد انتهائها وذلك لتدني الجولات التفتيشية العشوائية.⁵⁶

ب. المضامين السياسية

في خطاب متلفز في 19 يناير، صرح اسماعيل هنية رئيس وزراء حكومة غزة: "لقد من الله تعالى علينا بالنصر العظيم، ليس لجزء او لحزب او لمنطقة وانما لكل شعبنا".⁵⁷ ولقد قام قادة حماس الاخرين بتريديد نفس الشعار: "لقد انتصرت غزة. لقد انهزم العدو، وانتصرت المقاومة في كل من المعركة والسياسة. ان هذه الحرب هي الاولى التي يفوز بها شعبنا على ارضه".⁵⁸ ولكن تقبل مثل هذه الشعارات كان صعبا في غزة. ان حجم الدمار الذي طال اغلب مناطق غزة مقابل قلة خسائر اسرائيل وبقاء المعابر مغلقة، مما ادى الى فقدان مصداقية ادعاءات حماس وفقدان الامل في اجنتها ايضا.

ان هذا لايعني ان الحركة الاسلامية لم يكن لها اساس لادعائها النصر. فبالنسبة لحماس فان النصر يعني في الاول والاخر، الصمود كحركة وحكومة بوجه عدو اقوى. ان العديد من قادة حماس، بقناعتهم على ان اسرائيل كانت تأمل بسقوط حكم الحركة،⁵⁹ مؤمنين بانهم منعوا اسرائيل من تحقيق اهدافها والتغلغل الى عمق المدن.⁶⁰ لقد بين احد قادة حماس مشيرا من نافذته الى المسافة القصيرة بين المساحة المفتوحة لجبل الريس، المسيطر عليها من قبل الجيش الاسرائيلي، وحي التفاح المكتظ بالسكان تحت: ان اسرائيل لم تكن مستعدة للخسائر التي كانت ستلقاها لو مضت أبعد من ذلك".⁶¹

وكما يرى العديد في حماس، ان الحرب اعادت صياغة الوضع الدولي، الاقليمي والمحلي لمصلحة الحركة. لقد اكدوا على ان صمودهم في وجه الهجوم الاسرائيلي اثبت ان المقاومة وحدها كفيلة باعادة الحقوق الفلسطينية. وحسب قول احد قادة حماس في غزة، "قبل فتح وحماس، كان هناك عز الدين القسام".⁶² وان

⁵⁵ان جميع التجار المستوردين للسلع في مدينة غزة يقومون بدفع الضرائب للسلطة الفلسطينية في رام الله ولكن وكما هو حال كل التجار فانهم يقومون بدفع ضريبة الدخل لحكومة غزة. خارج معبر كيريم شالوم تقوم نقطة تفتيش حماس بتسجيل السلع الداخلة الى غزة وكذلك تقوم بالتأكد من اوراق التجار للتأكد من انهم قاموا بدفع ضريبة الدخل الخاصة بهم، وعلى هذا الاساس يتم حساب المبيعات لسلطات مدينة غزة. ويتدبير مكتب الضرائب لم يدفع التجار اية ضرائب منذ الحرب ولكنهم يحتفظون بالوصول الخاصة من اجل الدفع لاحقا. مقابلة مجموعة الازمات، مدينة غزة، 16 مارس 2009.

⁵⁶مقابلات مجموعة الازمات، احد سكان مدينة غزة، مارس 2009.

⁵⁷albwaba.com 19 يناير 2009.
⁵⁸خالد مشعل، تلفزيون القدس، 21 يناير 2009. وكذلك قائد حماس مشير المصري قال، " بكل ايمان وثقة، اقول لقد فاز كل من الشعب الفلسطيني والمقاومة الباسلة بهذه المعركة". 20 يناير 2009.

⁵⁹مقابلات مجموعة الازمات، قادة حماس الكبار، القاهرة وبيروت، يناير 2009.

⁶⁰مقابلة مجموعة الازمات، احد قادة حماس الكبار، مدينة غزة، يناير 2009.

⁶¹مقابلة مجموعة الازمات، مدينة غزة، 15 مارس 2009.

⁶²عز الدين القسام والذي سمي الجناح العسكري لحماس باسمه، كان واعظا من ما يعتبر اليوم شمال سوريا. لقد قاد بضعة ثورات ضد الحكم البريطاني والفرنسي في العشرينات والثلاثينات، ولقد ساعد مقتله على يد القوات

وسننتهي"⁷⁶، حتى انه البعض من قادة حماس اعترف بصورة خاصة بان معادلتهم بالنصر الراسخ "لم تعد تجدي"⁷⁷ ومن الواضح بان خطاب النصر خمد بشكل ملحوظ منذ نهاية الحرب. لقد بلغ الحد بالجناح العسكري للحركة بالقيام بالتحقيق الداخلي وحسبما اعترف احد قادتها: "لقد كان هناك اخطاء تكتيكية، وبدونها لانحسرت خسائرنا الى حد كبير"⁷⁸ لقد قارن الكثير كتائب القسام بحزب الله ووجد اداء حماس ناقصاً.⁷⁹

وحسب قول امرأة في جبل الريس والتي تعرض منزلها للتدمير، "انني اوّمن بالمقاومة، ان الجهاد مذكور في القرآن الكريم ولكن اذا لم يكن بإمكان حماس حماية الناس فلماذا لم تقوم بتمديد وقف اطلاق النار؟ اذا كان بإمكاننا اعتقاد ان بإمكان حماس تحرير فلسطين فسوف اساندها من كل قلبي ولكنني اعلم انه ليس بإمكانها فعل ذلك"⁸⁰ وكما اشار جون هولمز، مساعد الامين العام للامم المتحدة للشؤون الانسانية ومنسق الاغاثة الطارئة، لقد عانى الكثير في غزة وبشكل كبير، فحوالي واحد من بين كل 225 غزاوي قتل او جرح،⁸¹ وهذا ثمن كبير يدفع لمكاسب غير اكيده في افضل حال.

ان الموت والدمار واضح في غزة كما هو الضرر الكبير لشعبية حماس هناك. من الممكن القول ان حماس حققت نجاحات سياسية على المستوى الاقليمي والدولي ولكنه ليس من السهل اقناع الغزاويين الذين هدمت منازلهم وقتل او جرح عوائلهم واصدقائهم، باعتبار ذلك نصراً.⁸² ان عدم قدرة حماس على تحقيق هدفها الرئيسي المتمثل بفتح المعابر لقرابة ثلاثة اشهر بعد توقف الهجمات دفع العديد الى التشكيك بقرار خوض الحرب. لقد تغير المزاج العام بعد الحرب مباشرةً من (لننتظر ونرى) الى نفاذ الصبر، وخاصة ان اعادة البناء لا يبدو منه شيء في الافق.⁸³ وكما قال احد الغزاويين المستقلين والعارض لكلاً من حماس وفتح على حد سواء، "لقد وعدت حماس بالاصلاح والتغيير، ولكنها جلبت الخراب والدمار"⁸⁴.

لقد سلم موظفي وكالة الامم المتحدة لغوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين (UNRWA) الانتصار لفتح وقوى منظمة التحرير

حتى اولئك الذين يودون عودة السلطة الفلسطينية (PA) يعترفون بان الحرب جعلت الموقف اكثر صعوبة. وحسب قول احد قادة حماس، "لم تترك اسرائيل اي شيء لنا. لقد دمرت كل قواعد القوة المستقبلية الممكنة التي كنا نمتلكها. يجب ان نتذكر ان كل مؤسسات غزة، الامنية والمدنية، كانت ملكا لفتح قبل ان يساء استخدامها من قبل حماس"⁷⁰. لقد تضرر قادة فتح هم الاخرين شخصياً - حيث انهم خسروا بيوتهم في القتال⁷¹ - وحتى موظفي السلطة الفلسطينية PA والذين يشعرون بالضياع وان امكانية عودتهم الى وظائفهم تعتبر ضعيفة. "ان كل شيء غير موجود الان سوف يتحول الى الضفة الغربية. الى متى سوف يدفعون لنا مقابل البقاء في البيت؟ مالذي سيحصل لي بعد ذلك؟ كيف سيمكنني ان احمي عائلتي"⁷²

لقد قامت حماس بتحقيق علاقات اقليمية ودولية مهمة حيث يشير المسؤولون الى أحتجاجات واسعة وخاصة في الاردن ولبنان بالاضافة الى ابعد من ذلك في العالم الاسلامي،⁷³ من ضمنها دعوة خالد مشعل لحضور القمة الطارئة حول غزة في الدوحة، والزيارات الرفيعة المستوى والمتكررة لمسؤولين اجانب الى غزة من اجل مشاهدة الدمار الحاصل خلال الحرب وزيادة عدد لقاءات الوفود البرلمانية الاوروبية مع حماس في دمشق ودعوة الامين العام للامم المتحدة بان كي مون، والمبعوثين الاوروبيين ووفود الكونغرس الامريكي لزيارة غزة - بالاضافة الى الدعوات لفتح المعابر - فلقد صرح الناطق باسم حماس "ان الجميع الان يقف ضد الحصار"⁷⁴. هنالك احساس بقيام القادة الغربيين بالاعتراف بفشل الجهود السابقة التي تقضي باضعاف حماس عن طريق عزلها. واخيراً فان الحركة مقتنعة بان صورة اسرائيل قد تشوهت لحد ما حتى قبل ان تظهر التقارير الاسرائيلية والدولية جرائم الحرب المحتملة، ومثلما اشار احد القادة الكبار، "لقد امضت اسرائيل 60 عاماً ببناء صورتها كدولة ديمقراطية وجيش متحضر. اما الان فقد خسروا هذه الصورة حول العالم. وسيواجهون مشاكل قانونية في كل مكان"⁷⁵.

ومع ذلك فان بين الاغلبية الصامتة في غزة فان القصة تختلف. فان العديد لا يمكنه ان يتفهم كيف يمكن ان يفسر دمار بهذا الشكل الواسع بصورة ايجابية. وكما عبر احد قادة فتح عن وجهة نظره التي يشاطره الآخرون بها، "ان أنتصاراً اخر أو اثنين مثل هذا

⁷⁶ مقابلة مجموعة الازمات، ابراهيم ابو النجاح، مدينة غزة، فبراير 2009.

⁷⁷ مقابلة مجموعة الازمات، احد اعضاء حماس، مدينة غزة، فبراير 2009.

⁷⁸ مقابلة مجموعة الازمات، احد مسؤولي حماس في المنفى، يناير 2009.

خابت آمال كتائب القسام بادائها وخاصة في تل الهوى، والذي وصفه احد اعضاء حماس مقرب للجناح العسكري على انه "فشل". لقد دخلت اسرائيل من خلال طرق واتجاهات غير متوقعة حيث انها لم يتم لغمها بالمتفجرات، مما ادى الى خوف وهروب بعض المقاتلين. ولقد تم استبدال كتيبة تل الحوى بسرعة باخرى اكثر خبرة. مقابلات مجموعة الازمات، مدينة غزة، فبراير 2009.

⁷⁹ مقابلة مجموعة الازمات، سكان غزة، مدينة غزة، جباليا، بيت لاهيا، خان يونس، يناير و فبراير 2009.

⁸⁰ مقابلة مجموعة الازمات، يناير 2009.

⁸¹ "تصريح جون هولمز، مساعد الامين العام للامم المتحدة، منسق الاغاثة الطارئة، لمجلس الامن في الامم المتحدة حول الوضع في الشرق الاوسط، من ضمنها المسألة الفلسطينية"، 27 يناير 2009.

⁸² "لم يكن هناك اية مقاومة. لقد هربت حماس، ولم تقايل". مقابلة مجموعة الازمات، مراقب سياسي دولي، مدينة غزة، 15 مارس 2009. تردد الشعور نفسه بين مراقبين اخرين غير منتمين سياسياً.

⁸³ مقابلة مجموعة الازمات، غزة، ابريل 2009.

⁸⁴ مقابلة مجموعة الازمات، مدينة غزة، مارس 2009.

على غزة: راجع مركز الاعلام والاتصالات في القدس، احصاء رقم 67، يناير 2009، www.jmmc.org/public

والمرکز الفلسطيني للراي poll/results/2009/67_janenglish.pdf، العام، احصاء رقم 167، 4 فبراير 2009، وان تقارير الشرق الأدنى تبين ان حماس خسرت اساسها في غزة ولكن الحجم الذي اكتسبته في الضفة الغربية يعتبر اكثر مما تستحقه. مقابلة مجموعة الازمات، جميل رباح، رام الله، فبراير 2009.

⁷⁰ مقابلة مجموعة الازمات، مدينة غزة، يناير 2009. المصدر نفسه، من المنازل التي دمرت في غزة، منزل محمد دحلان، رئيس الامن السابق لفتح، والذي يعتبر المعارض الاكبر لحماس هناك.

⁷² مقابلة مجموعة الازمات، موظف للسلطة الفلسطينية مدينة غزة، فبراير 2009. ان معظم موظفي السلطة الفلسطينية يستلمون رواتبهم حتى خلال مكوثهم في بيوتهم، بسبب انه اما ان مدرائهم في رام الله طلبوا هذا او بسبب ان سلطات غزة قامت بتشغيل بدلاء عنهم.

⁷³ مقابلة مجموعة الازمات، قادة حماس، مدينة غزة، يناير وفبراير 2009.

⁷⁴ مقابلة مجموعة الازمات، فوزي برهوم، مدينة غزة، 21 يناير 2009.

⁷⁵ مقابلة مجموعة الازمات، احد كبار قادة حماس في المنفى، يناير 2009.

وتبدو حماس، لحد الان، في المقدمة، وبسخرية يمكن القول بان الحصار ساعدها في حرمان منافسيها من الموارد وسهل سيطرتها.⁹⁰ ولقد ادعت حكومة غزة انها ولحد نهاية شهر مارس، قامت بتوزيع 65 مليون دولار على ثلاث مجاميع: الناس الذين دمرت منازلهم او تضررت بشكل كبير، الجرحى أو أولئك الذين فقدوا افراداً من عوائلهم، و80,000 غزوي اخريين من الذين فقدوا وظائفهم بسبب تضرر اماكن عملهم أو مزارعهم.⁹¹ كما انها قامت بتوزيع حوالي 5 مليون دولار الى البلديات لاجل دعم الخدمات والمساعدات العينية (مثل الافرشة، الاغطية، الطعام، الخيم، والماء) للمحتاجين.⁹²

اما بالنسبة للمدارس التي تم تحويلها الى ملاجئ خلال الحرب فقط تم اخلائها حالما قامت الحكومة بترتيب شقق بديلة في الداخل للايجار، وفي بعض الاحيان مصادرة الشقق الفارغة - ومن ضمنها تلك العائدة لعوائل اعضاء فتح الذين هربوا في حزيران 2007 وما بعد ذلك.⁹³ اما الاخرين فقد وجدوا ملاجئ مع عوائلهم⁹⁴، وتنتظر حماس حالياً 1000 وحدة سكنية جاهزة، والتي تقوم

الفلسطينية في الانتخابات النيابية لاقسام الحرفيين والعمال الاداريين في مارس. بينما فازت حماس بنقابة المعلمين والتي تعتبر الاكبر بين الثلاثة، فأنت فتح وقوى منظمة التحرير الفلسطينية سوف تحصل على رئاسة الاتحاد وفقاً لما معمول به في نظام التمثيل النسبي.⁸⁵ ان الاتهام الاكبر لحكم حماس لن يأتي مما سيتداوله الناس حول الحرب وانما مما لن يصرحوا به، خوفاً من العقاب، ان العديد يتخوفون من الكلام عن حماس وادائها ويرفضون التكلم الا لمن يتقون به وبصورة خاصة. لايزال الامن الداخلي انجازاً مبهوراً،⁸⁶ ويتندر احد المحللين السياسيين بقوله "ان حماس تقوم بحراسة مقبرة".⁸⁷

ان حوار فتح وحماس في القاهرة اوجد تركيز بديلاً جديداً لانتباه الناس وطرفاً محتملة لفتح الحدود ولكن الحوارات لازالت متأزمة وأن هذا النوع من الالهاء سوف لن يدوم طويلاً. ويبدو ان الغزويين وبشكل متزايد غير متوهمين بكلتا الحركتين.⁸⁸ وحيث ان حماس مازالت تسيطر وبقوة على غزة ولا حديث عن الانتخابات، فان عدم الرضا الشعبي يحمل تبعات سياسية او عملية محدودة.

ج. سياسة المساعدة

ان تقديم المساعدات للناخبين يعتبر ذات اهمية كبير جدا بالنسبة لحماس لأن ذلك تاريخياً هو المحرك الرئيسي لتقدمها السياسي ولان الكثير من مصداقيتها اليوم يعتمد على الحكم الفعلي في غزة. وبعد الحرب اصبح هذا التحدي أكثر أهمية - وصعوبة - فيانتشار الدمار قامت اسرائيل بفرض قيود قاسية حتى على دخول الحاجات الاساسية بالإضافة الى دخول اطراف اخرى الى سباق توزيع المساعدات. وترى حماس بان المهمة تقتضي الفوز بالسباق من دون التضحية بالمبادئ الايديولوجية. وحسب قول وزير الشؤون الاجتماعية في غزة، احمد الكرد، "يعتقد البعض انه بالامكان استخدام المساعدات الانسانية كاداء ضدنا، مثل الحرب والحصار. ولكننا لن نسمح بان تكون دافع لاجبارنا على المقايضة. ان الذي لم يحصلوا عليه من حماس بالحرب والحصار لن يحصلوا عليه بكيس من الطحين".⁸⁹

⁹⁰ وفي مسار مشابه، منعت اسرائيل المعدات الخاصة بالكشف عن المتفجرات لغرض تجبيرها، أدى ذلك الى قتل مالا يقل عن 7 اشخاص وجرح 23 اخرين وتركت الامر لحماس للاستيلاء على المتفجرات. رفضت اسرائيل طلب الامم المتحدة بخصوص ادخال معدات من لبنان خلال اسرائيل الى غزة، واصرت ان يتم ذلك من خلال بلد ثالث اخر لئلا وافق جيش الدفاع الاسرائيلي على ادخال معدات الكشف الى غزة ولكن لم يسمح بادخال المتفجرات اللازمة لعملية التفجير. بالإضافة الى ذلك فان كل من حماس واسرائيل لم تسمح بموقع خاص بالتفجيرات في غزة. بوجود مشروعين في الطريق بخصوص ازالة النفايات الحربية، والتي من المتوقع ان تبدأ قريباً، واحد من قبل السلطات المحلية والثاني من قبل برنامج الامم المتحدة الانماني، فان الحاجة لازالة المواد الغير متفجرة باتت ضرورة ملحة. اليوم، تقوم الامم المتحدة بابلاغ حماس بالمواقع التي تحتوي على مواد غير متفجرة من اجل تنبيه وحماية المدنيين مما قد يؤدي الى امكانية تحويل الامر والذي لايعتبر بسيط من الناحية التقنية، ولكن "بالامكان اعادة استخدام اي شئ لو توفرت المعرفة بذلك". المكاملة الهاتفية لمجموعة الازمات، مسؤول امني دولي، ابريل 2009. لقد قامت حماس با لبلاغ لحد الان عن حوالي 7 اطنان من المواد الغير متفجرة والتي لم يتم تفجيرها لعدم توفر المتفجرات اللازمة. هاريتز، 18 فبراير 2009.

⁹¹ لقد فسر وزير الشؤون الاجتماعية تقسيم الاموال كما يلي: اصحاب المنازل المدمرة كلياً يستلمون 4000 يورو من اجل ايجار ملجئ مؤقت، اما اللذين تضررت منازلهم جزئياً فيستلمون 2000 يورو. اما اذا كان المنزل قابل للسكن بشكل مؤقت فان اصحابه لا يستلمون اي شئ في المرحلة الاولى، بما ان الهدف هو ايجاد الملاجئ للمحتاجين وفي المراحل المستقبلية سيتم توزيع الاموال لغرض الاعمار والتصلح. اما عوائل الشهداء فيستلمون 1000 يورو وبعدها يبدؤون باستلام راتب شهري، اما الجرحى فلهم 500 يورو. مقابلة مجموعة الازمات، احمد الكرد، وزير الشؤون الاجتماعية في غزة، مدينة غزة، يناير 2009.

⁹² مقابلة مجموعة الازمات، احمد الكرد، مدينة غزة، 15 مارس 2009.
⁹³ ان العديد من مالكي العقارات مترددين من الايجار خوفاً من ان يصبح المستأجرون مقيمين دائمين. IRIN، 9 فبراير 2009. وعند السؤال عن ما اذا تم استخدام القوة، قال احد قادة حماس، "نفضل تجنبها، ولكن من الافضل اجبار الناس على الاستئجار من بقائهم مشردين في الشوارع". مقابلة مجموعة الازمات، احد قادة حماس، مدينة غزة، يناير 2009.

⁹⁴ تشير دراسات مجموعة الازمات الى ان هنالك بعض العوائل التي مازالت تعيش في الخيم. وان اقلية المشردين الذين لم يستطيعوا ايجاد اماكن للايجار او انهم لا يريدون الدفع للايجار يعيشون مع عوائلهم، على الرغم من ان النتيجة كانت ازدحام المكان والتي دفعت العديد الى العودة الى الخيم ولو لوقت معين وخاصة خلال النهار. مقابلات مجموعة الازمات، شمال غزة، فبراير 2009.

⁸⁵ قال مسؤول كبير في (UNRWA)، "نحن لانحب التقارير التي تبين فوز هذا الفريق او ذاك"، بما ان المرشحين لا يترشحون ضمن قوائم انتخابية او ضمن ارتباطات معلنة رسمياً وان مثل هذه الارتباطات تعتبر معلومات عادية. مقابلة مجموعة الازمات، ابريل 2009. ولكن ومع ذلك فان الشعور السائد هو ان حماس فقدت من قاعدتها.

⁸⁶ لقد عبر مدير مصرف مستقل، بانه يفضل ان تكون حماس مسؤولة عن الامن الداخلي، "ولكن ان لاثملي سياسياً"، فقيل ان تسيطر حماس، "اعتدنا انا واصدقائي على ان نقرر من منا تعتبر سيارته رخيصة الثمن من اجل ان يكون بامكاننا قيادتها في الليل، وذلك لانه من المؤكد انه سيتم سرقة السيارة. ولكن ومنذ مجئ حماس، لم يحدث هذا قط". مقابلة مجموعة الازمات، مدينة غزة، 16 مارس 2009.

⁸⁷ مقابلة مجموعة الازمات، مدينة غزة، 16 مارس 2009.
⁸⁸ علق جميل رباح بان نسبة الفلسطينيين الذين لم يعبروا عن ثقتهم باي من الاحزاب بقيت تتراوح بين 38-39% قبل الحرب، فلقد بقيت أكثر من 50% منذ ذلك الحين. مقابلة مجموعة الازمات، رام الله، ابريل 2009.

⁸⁹ مقابلة مجموعة الازمات، وزير الشؤون الاجتماعية في غزة، احمد الكرد، مدينة غزة، 15 مارس 2009.

والذي يفوق الحد الأدنى من المعونات الاجتماعية التي تقدمها¹⁰³ اما البعض الآخر من مالكي العقارات فقد كانوا اوفر حظا حيث تمكنوا من الحصول على المساعدات من حكومتي رام الله وغزة.¹⁰⁴

يدور الكثير من شد الحبل الذي أعقب الاعلان الرسمي لوقف القتال حول مدى قدرة حماس على ممارسة سيطرتها ونفوذها على نشاطات المساعدات. بالرغم من دعوة وزارة الشؤون الاجتماعية في غزة القوى ومجاميع المجتمع المدني للمشاركة في اللجنة الوطنية العليا للمساعدات الطارئة، ولكن فتح والاحزاب اليسارية رفضت المشاركة، بحجة انها "الجنة حكومية، وليست لجنة مستقلة او وطنية"¹⁰⁵ ونتيجة لذلك، فقد بقيت اللجنة غير فعالة بشكل كبير.¹⁰⁶ ولقد اعلنت الوزارة بانها وافقت على السماح للمنظمات الدولية بالعمل في حال قيامها بالتنسيق مع الحكومة فقط¹⁰⁷ بهدف، على ما يبدو، منع الفساد والناس من الاستفادة من أكثر من مصدر للمساعدات ولكن الهدف المنشود من وراء ذلك هو انتزاع الاعتراف بحكومة غزة، او على الأقل سيطرتها على ارض الواقع. قال وزير الشؤون الاجتماعية، "عندما تدخل الى بيت ما، تسلم على مالكة" وهو يشير الى وثيقة لوكالة الامم المتحدة تبين استقلالية الوكالة، واذاف معنفاً، "على الامم المتحدة ان تعرف ان هنا توجد حكومة. انت لاتدخل البيت من النافذة"¹⁰⁸.

ان معركة السيطرة نشبت على عدة جبهات. فبعد نهاية الحرب مباشرة سمحت حكومة غزة للصليب الاحمر، الامم المتحدة، والوحدات الحكومية المحلية - ليس السلطة الفلسطينية¹⁰⁹ - بالقيام

مصر بمنعها من الدخول.⁹⁵ ولقد قامت البلديات باداء دورها ايضا: عن طريق تنظيف الشوارع التي لم تكن صالحة للمرور خلال الحرب ومازالت الجرافات تعمل على ازالة النفايات.⁹⁶ اما اللجان في المساجد فتقوم بالتركيز على احياء معينة في توزيع المال الاضافي و المساعدات العينية⁹⁷

يتهم النقاد الحكومة بانها تقوم بمساعدة من هم مخلصين لحماس فقط⁹⁸ وبالرغم من انه من المستحيل تحديد الحقائق ولكن ما بينته دراسات مجموعة الازمات هو ان هذه ليست القضية لان المساعدات توزع وبشكل واسع وبغض النظر عن الانتماء الحزبي.⁹⁹ ويشاع ايضا ان امثلة التفضيل موجودة وان لجان الجوامع تنتقي في عملها وبشكل واضح¹⁰⁰ وان حماس لاتخفي رغبتها في الانتفاع السياسي حيث يعرض تلفزيون الاقصى مشاهد لاعضاء حماس في البرلمان وهم يقومون بازالة النفايات من الشوارع في حي الزيتون في مدينة غزة على خلفية اعلام حماس المرفرة وموسيقى القسام وخطاب رسمي يمجد المقاومة قبل توزيع الاعانات المالية.¹⁰¹

وعلى العكس من ذلك فقد تلكى الاخرين لعدم قدرتهم على جلب المال. قامت السلطة الفلسطينية ومن خلال مشروع منفذ من قبل برنامج الامم المتحدة الانمائي (UNDP)، بتوزيع 20 مليون دولار للمساعدة الطارئة، ولكن عن طريق تحويل المال من الاموال التي اساسا ادخلت الى غزة لغرض دفع رواتب السلطة الفلسطينية.¹⁰² وحتى الوكالة الدولية لغوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين (UNRWA) - والتي تأسست عام 1949 لمساعدة اللاجئين الفلسطينيين، والذين يشكلون اليوم قرابة 70% من سكان غزة- تمكنت من توفير كمية محدودة من المساعدات المالية

⁹⁵المكالمة الهاتفية لمجموعة الازمات، وزير الشؤون الاجتماعية احمد الكرد، ابريل 2009.

⁹⁶مقابلة مجموعة الازمات، مالك شركة نقل، مدينة غزة، 17 مارس 2009.

⁹⁷مقابلة مجموعة الازمات، مسؤول اغاثة دولي، مدينة غزة، 16 مارس 2009.

⁹⁸مقابلة مجموعة الازمات، مسؤول في السلطة الفلسطينية، مارس 2009.

⁹⁹لقد تحدثت مجموعة الازمات الى العديد من اعضاء فتح من الذين استلموا اعانات حكومية - من ضمنهم المعلمين المضربين ضد حكومة غزة - بالاضافة الى مسؤولي الامم المتحدة المشتركين بتوفير الاعانات الطارئة والذين شهدوا عدم التحيز خلال التوزيع. مقابلات مجموعة الازمات، مدينة غزة، فبراير ومارس 2009. لقد قامت مجموعة الازمات بمواجهة مسؤولي وزارة الشؤون الاجتماعية بامثلة حول ادعاءات التحيز وفي بعض الحالات قاموا بتقديم اصحاب الطلبات، والذين أقرروا بعدها باتباع الوزارة للاجراءات القياسية. مقابلات مجموعة الازمات، مدينة غزة، بيت حانون، فبراير 2009.

¹⁰⁰مقابلة مجموعة الازمات، متلقي مساعدات، مدينة غزة، بيت حانون، 16 مارس 2009.

¹⁰¹ملاحظات مجموعة الازمات، مدينة غزة، يناير 2009.

¹⁰²ان حكومة غزة لم تتدخل في برنامج السلطة الفلسطينية. وحسب قول مسؤول البرنامج الانمائي للامم المتحدة (UNDP) في الادارة، "لقد توقعنا المشاكل ولم نواجه اي منها. الحكومة لم تتدخل ولا مرة". مقابلة مجموعة الازمات، مدينة غزة، 15 مارس 2009. يتم تقييم كل منزل بدقة، يعوض الى حد 5000 دولار، اما بالنسبة للمنازل التي يزيد ضررها عن هذا الحد من التعويض فتعطى 5000 دولار الى يتم البدء باعادة البناء. واذا ما توفرت السيولة النقدية فان السلطة الفلسطينية ستوفر المساعدة لخمسة الالاف عائلة اخرى. مقابلة مجموعة الازمات، مسؤول السلطة الفلسطينية، ابريل 2009. ان القيود الاسرائيلية على ادخال العملة تؤثر على المانحين ولكن بشكل أكبر على المصارف، والتي تواجه ازمة شهرية في دفع رواتب السلطة الفلسطينية والذي يفقدون الثقة الشعبية. مقابلة مجموعة الازمات، مسؤولي المصارف الفلسطينية، مارس 2009.

¹⁰³تقدر وكالة الامم المتحدة (UNRWA) ان 33000 عائلة لاجئة تحتاج الى المساعدة لتضرر منازلهم، ولكن القيود على ادخال العملة تمنع الوكالة من جلب الاموال الكافية لمساعدتهم جميعا. مقابلة مجموعة الازمات، مسؤول وكالة الامم المتحدة (UNRWA)، القدس، 9 مارس 2009.

¹⁰⁴لم يلق مسؤول اعادة الاعمار في برنامج الامم المتحدة الانمائي (UNDP) بشأن الدفعات المالية المتعددة، بما انه الدفعات من كلا البرنامجين لاتغطي الاضرار كلها، خاصة اذا تضمنت الاثاث والممتلكات الاخرى. مقابلة مجموعة الازمات، مدينة غزة، 15 مارس 2009. ولم يعترض ايضا وزير الشؤون الاجتماعية في رام الله مناشدا الغزاويين الحصول على الاعانات باي طريقة واي وقت ممكن. مقابلة مجموعة الازمات، محمود حبش، رام الله، فبراير 2009.

¹⁰⁵مقابلة مجموعة الازمات، مدينة غزة، يناير 2009. عندما طلبت حماس من فتح ان تشارك، فقد اتصلت بعضو مجموعة ايمن جودة من كتائب شهداء الأقصى والذي انضم اليها للقتال ضد اسرائيل. وبعد ذلك قال احد قادة فتح، "ان مجموعة ايمن جودة لاتمثل فتح". مقابلة مجموعة الازمات، مدينة غزة، يناير 2009. وقد برر احد قادة حماس الكبار تركيبة اللجنة: اذا ما توجب علينا تشكيل ميكانيكية مواقع مقسمة حسب الانتماء الحزبي، سوف تنتهي بكل سهولة مقسمين الى 18 حزب، وهو عدد يضم مجاميع صغيرة من غزة مثل لجان المقاومة الشعبية والتي يعتبرها الاخرين ميليشيات. مقابلة مجموعة الازمات، احد قادة حماس الكبار، بيروت، يناير 2009.

¹⁰⁶مقابلة مجموعة الازمات، مسؤول في الامم المتحدة، مدينة غزة، 15 مارس 2009.

¹⁰⁷مقابلة مجموعة الازمات، وزير الشؤون الاجتماعية في غزة احمد الكرد، مدينة غزة، 15 مارس

نفس المصدر.

¹⁰⁸ادعى موظفي السلطة الفلسطينية بانهم لوحقوا من قبل حماس عند تقييم الاحتياجات. مقابلات مجموعة الازمات، موظفي السلطة الفلسطينية، مدينة غزة، فبراير 2009. وقد عزى احد رجال اعمال غزة هذا الى رغبة حماس باحباط محاولات السلطة الفلسطينية بوضع معا خطة اعادة الاعمار. مقابلة مجموعة الازمات، مدينة غزة، فبراير 2009. ونتيجة لذلك فقد قامت السلطة

يتم تأديبهم . حسب قول احدهم، "يجب ان نبذو كلاعبين محايدين. والا سنرتن سياسيا. ان اعادة الاعمار يجب ان لايعتبر تلطيف للحرب الاقتصادية"¹¹⁷.

ان شد الحبل داخل غزة يعتبر عامل صغير نسبيا في طريق دخول المساعدات. فان اسرائيل تمنع دخول المواد الانسانية الاساسية¹¹⁸. اما القاهرة فتسمح مباشرة بدخول الدواء فقط، اما باقي المواد فيجب ان تمر من خلال معبر العوجة الى اسرائيل ومن هناك الى معبر كرم سالم ومنه الى غزة، وهو طريق غير مباشر معرض لمراقبة الامن الاسرائيلي¹¹⁹. ووفقا لدبلوماسيين غربيين فان مسؤولي السلطة الفلسطينية مترددين ايضا في فتح غزة كثيرا وبسرعة، حيث انهم لايصرون على فتح المعابر خلف الكواليس مثله مثل ما يبدو امام الكاميرات¹²⁰. اما في داخل غزة فان الوضع غير مؤهل لتوزيع المساعدات حيث ان القتال دمر الطرق، المخازن، والشاحنات¹²¹.

لقد تم تجنب الكارثة، لحد الان، وذلك للجهود الملحوظة التي قامت بها منظمات الغوث الدولية خلال وبعد الحرب، عارضا، فان تجار غزة يقومون ببيع المواد الغذائية اقل مما كانوا عليه قبل الحرب¹²² حيث يتم بيع مواد الاعانات من قبل المستفيدين منها مباشرة وفي نفس المكان¹²³. ومع ذلك، وحسبما اوضح احد

بتقييم الاحتياجات. ولقد قامت الوزارة بالطلب من المنظمات الدولية بتسليمها اسماء المستفيدين من اجل مراجعة القوائم قبل التوزيع¹¹⁰. بالرغم من ان المنظمات اعترضت على هذا التصرف¹¹¹ فقد وافق البعض على اعطاء اسماء الشركاء المحليين محذرين من اية محاولة للتلاعب بالعملية¹¹².

لم تمض العملية من غير خلافات حيث قامت وزارة الشؤون الاجتماعية وفي عدة مرات بمصادرة سلع اعتبرت ملكا لها، وعلى الاغلب من الوكالة الدولية لغوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين (UNRWA)¹¹³. لقد كان رد الفعل لكل من الحكومة ووكالة الغوث عنيفا تجاه هذه الاستفزازات - الاول اصر على ان هذا لايمكن تجاوزه والآخر من اجل ان يثبت استقلاليته ونزاهته، وخاصة في ضوء الاتهامات المتجددة بالتحيز¹¹⁴. واخيرا قام كل من الطرفين بتهدئة الامور. وسعى قادة حماس لتوضيح اي "سوء فهم" واعادة كل المساعدات المتنازع عليها، ومنذ ذلك الحين تغير خطاب قادة حماس الى اسلوب اكثر مرونة وقل الاصرار على التنسيق الذي طالبوا به في بادئ الامر من منظمات الاغاثة¹¹⁵ وقام منتسبي وكالة الدولية لغوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين (UNRWA) بتجاوز الخلاف¹¹⁶. وبالرغم من ذلك فان عمال الاغاثة الدوليين

الفلسطينية باستخدام المعلومات الخاصة بالبرنامج الانمائي للامم المتحدة (UNDP). مقابلة مجموعة الازمات، مسؤول دولي، القدس، فبراير 2009.¹¹⁰ ان التعبير هو لوزير الشؤون الاجتماعية في غزة والذي ادعى انه يملك الدليل على وجود الفساد في بعض الشركاء المنفذين المحليين المتعاونين مع المنظمات الدولية الكبيرة. واذاف: "ان المنظمات الدولية تصر على انها مستقلة. وانا اوجب بان المنظمات المحلية الغير حكومية والتي يعملون معها ليست كذلك. لايسمح للمنظمات المحلية العمل الا اذا تم تسجيلهم عند الحكومة، والا يتم اغلاقها". مقابلة مجموعة الازمات، مدينة غزة، 15 مارس 2009.¹¹¹ مقابلة مجموعة الازمات، مسؤول اغاثة دولي، القدس، فبراير 2009.¹¹² مقابلة مجموعة الازمات، مسؤول اغاثة دولي، القدس، 9 فبراير 2009. الاخرين في مجتمع الاغاثة يتسألون عنما اذا كان ممكنا رسم خطا بين الصح والخطا: " حتى لو لم تتدخل الحكومة بشكل مباشر في عملنا، فان محددات الحكومة من الممكن ان تعطي انطباعا خاطئا. هذا هو السيناريو الكابوس: لاتقوم الحكومة بعبور الخط الاحمر ولكنها تقوم بشئ صارخ يدفعنا الى الانسحاب خارجا، ولكنها تسيطر علينا بطريقة تصور علمنا كعمل سياسي. مقابلة مجموعة الازمات و مسؤولي الاغاثة الدوليين، القدس، فبراير 2009.¹¹³ تشير ابحاث مجموعة الازمات الى ان وزارة الشؤون الاجتماعية قامت بمصادرة المعونات من وكالة الدولية لغوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين (UNRWA) وفي اربعة مناسبات، مرتين مباشرة بعد الحرب ومرتين في بداية فبراير. عرض وزير الشؤون الاجتماعية لمجموعة الازمات رسالة توضح اهداء المعونات المتجادل عليها لـ "الشعب الفلسطيني"، وعرض سائق شاحنة صورة لمجموعة الازمات لبعض مواد الاغاثة المختلف عليها، أكياس طحين مكتوب عليها " جمعية الرضوان، الاخوان المسلمين في البحيرة- مصر لمساعدة اخواننا في غزة. النصر للاسلام" مقابلات مجموعة الازمات، مدينة غزة، يناير و فبراير 2009.¹¹⁴ الوكالة التلغرافية اليهودية، 9 فبراير 2009.¹¹⁵ في نهاية يناير، عندما رفضت الوكالة الدولية لغوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين (UNRWA)، استيراد المساعدات وتسليمها الى وزارة الشؤون الاجتماعية في غزة، اتهمت من قبل الوزير على ان الوكالة "جزء من الحصار" وبعد بضعة اشهر وفي مقابلة اعلن الوزير عن رغبته بالقبول الحد "الادنى" من التنسيق مع مجتمع المانحين. مقابلات مجموعة الازمات، مدينة غزة، يناير و ابريل 2009. لقد شهد عمال الاغاثة في غزة على ان هذا التصرف المرن ادى الى خلق بيئة مناسبة اكثر للعمل وان مشاكل التنسيق ما لبثت ان تبددت. مقابلات مجموعة الازمات، غزة، رام الله، ابريل 2009.¹¹⁶ كان الوضع مرتبك على الحدود، خاصة مع تشابه المساعدات التي تم توزيعها ومن الواضح ان الحكومة اعتقدت ان المساعدات لها. ولكن حتى لو كان هذا اعتقادهم، فقد تم اخذ المساعدات في منتصف الليل وتم كسر المخازن

حتى قبل تحديد ملكيتها". مقابلة مجموعة الازمات، مسؤول كبير في (UNRWA)، مدينة غزة، فبراير 2009. لم يكن هناك اية حوادث اخرى وحكومة غزة لم تطلب مرة اخرى التنسيق من (UNRWA). الى حد ما، فان الجدل نتج عن الخلافات بين وزارة الشؤون الاجتماعية (ذات الموقف المتصلب) وكبار قادة حماس. مقابلات مجموعة الازمات، عمال الاغاثة، ومراقبين سياسيين محليين، مدينة غزة، فبراير ومارس 2009.¹¹⁷ مقابلة مجموعة الازمات، عمال اغاثة، القدس، 18 يناير 2009.¹¹⁸ في 23 مارس 2009، أعلن مكتب الامم المتحدة لتنسيق الشؤون الانسانية (OCHA) "ان الكميات واشكال المواد التي تدخل غزة مازالت تخضع لقيود مستمرة و اجراءات تخلص غير متوقعة. ان محدودية السلع التي تسمح اسرائيل بادخالها الى غزة يتغير باستمرار، وبما يشكل مشاكل احصائية كبيرة للوكالات الانسانية مما يصعب عليهم الامر في تنفيذ برامجهم". في 22 مارس اعلنت اسرائيل انه من الان فصاعدا ستسمح بدخول كل المعونات الغذائية مادامت توافق على المصدر، ولهذا، فان المواد التي يمكن رؤيتها في غزة هي الشاي، الخميرة، الملح، ورقائق البطاطا. راجع "التحديث الميداني حول غزة من المنسق الانساني" و "المراقب الانساني: مارس 2009، مكتب الامم المتحدة لتنسيق الشؤون الانسانية (OCHA)، 23 مارس و 5 ابريل 2009. ولقد اثار تقرير اللجنة الاوروبية الداخلية الشكوك حول هبة 34,2 مليون يورو "للمساعدات الانسانية الاساسية"، من ضمنها امدادات الوقود، والتي منعها اسرائيل منذ عملية الرصاص المنهمر. Financial Times، 21 ابريل 2009.

¹¹⁹ وفقا لمسؤول كبير في السلطة الفلسطينية، فان اسرائيل توافق على مرور 60 شحنة اسبوعيا. مقابلة مجموعة الازمات، رام الله 21 ابريل 2009. لقد اتهمت اسرائيل مصر بسوء التنسيق من جانبها، وخاصة الفشل في تغليف المواد التي تقتش من قبل الماسحات الصورية الاسرائيلية. The New York Times، 28 يناير 2009.¹²⁰ مقابلات مجموعة الازمات، تل ابيب، فبراير 2009.¹²¹ مقابلة مجموعة الازمات، مسؤول وكالة الدولية لغوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين (UNRWA)، مدينة غزة، ابريل 2009.¹²² ادعى تاجر على انه قام ببيع 20 طن من الرز قبل الحرب ولكنه باع اقل من طن واحد في الشهرين الاخيرين منذ نهاية الحرب. مقابلة مجموعة الازمات، مدينة غزة، 17 مارس 2009.¹²³ ملاحظات مجموعة الازمات، مدينة غزة، مارس 2009. نقلا عن مسؤول للامم المتحدة، بيع المساعدات محتوم، وذلك لان الناس غالبا مايحترجون المال - للدواء، او بكل بساطة لتغيير نوعية غذائهم - اكثر من

القاهرة بينت ان هناك خلافات بين قادة المنفى انفسهم، وظهرت المقابلات في غزة خلافات بين الاجنحة السياسية والعسكرية، وان البعض في الاخير لا يبدو متحمسا لامكانية المصالحة.¹²⁸ ان قادة حماس يعترفون بوجود هذا الاختلاف في الرأي، ولكنهم في الوقت نفسه يؤكدون انها تعكس نزعات شخصية وتنافسية اكثر من كونها مواقف عقائدية.¹²⁹

ثانيا، السؤال الحرج هو ليس ما اذا كانت هناك اختلافات في وجهات النظر، لانها موجودة حالها حال اي منظمة سياسية. ولكن ما اذا كانت هذه الخلافات قد ترجمت الى فرقة حقيقية وما اذا كان قد حصل كسر في منظومة صنع القرار. ان الشواهد لاتدل على ذلك لحد الان. وان الحركة وبشكل مشترك توصلت الى قرار بانهاء وقف اطلاق النار الساري منذ 6 اشهر في ديسمبر 2008.¹³⁰ ان شروط وقف اطلاق النار التي سمعتها مجموعة الازمات خلال الحرب من قيادات الداخل والخارج كانت وبشكل عام متشابهة على الرغم من صعوبة الاتصال بين الطرفين.¹³¹ وان الحركة توصلت الى قرار وقف اطلاق النار احادي الجانب بسرعة تثير الانتباه بعد اتخاذ اسرائيل قرارها بذلك.¹³² عندما ذهبت قيادة الصف الاول في غزة الى دمشق في فبراير 2009 ظهرت الحركة بموقف موحد لصفقة وقف اطلاق نار مستدام مع اسرائيل.¹³³ ولقد كان وفد حماس جيد التنظيم والانضباط وبالاخص مقارنة مع وفد فتح خلال المحادثات الفلسطينية الفلسطينية في القاهرة، وفي حوارات متكررة مع مجموعة الازمات على هامش الندوات مع قادة الداخل والخارج والتي عكست مواقف متشابهة الى حد كبير.¹³⁴

وجه الخصوص الذي اصيب بشعور اهميته الذاتية)، ولكن اخرين يعتبرونها اكثر واقعية من قيادة المنفى لانها تواجه متطلبات الحكم. ان هاتان النظريتين قد تم تداولهما ليس فقط بالتعليقات العامة ولكن اعتمدتا من قبل محلي السلطة الوطنية، اسرائيل وصانعي القرار الغربيين.

¹²⁸ حسب قول احد اعضاء القسام لمجموعة الازمات: "هناك السي والجيد من البشر في هذا العالم، وانا لاريد السينين منهم العودة". مقابلة مجموعة الازمات، مدينة غزة، مارس 2009.

¹²⁹ مقابلات مجموعة الازمات، مدينة غزة، مارس 2009.
¹³⁰ ملخص الشرق الاوسط لمجموعة الازمات رقم 25، فلسطين مقسمة، 17 ديسمبر 2008، مقابلات مجموعة الازمات، قادة حماس، غزة، دمشق، ديسمبر 2008.

¹³¹ مقابلات مجموعة الازمات، قادة حماس، مدينة غزة، بيروت، دمشق، يناير 2009. طوال الحرب، فان الشروط المعلنة من قبل حماس لوقف اطلاق النار والتي نقلت الى مجموعة الازمات لا تختلف بدرجة كبيرة بين غزة ودمشق وتنص على انتهاء العمليات العسكرية الاسرائيلية، رفع الحصار وفتح المعابر. وقد رفض القادة وبالإجماع كل من المراقبين الدوليين ونهاية مفتوحة لوقف اطلاق النار. مقابلات مجموعة الازمات، بيروت ومدينة غزة، يناير 2009.

¹³² ادعت حماس بانها استطاعت الحفاظ على قنوات اتصالاتها آمنة والتي سمحت لها بالبقاء على اتصال مع شركائها في الخارج حتى خلال الحرب. مقابلة مجموعة الازمات، قاعد قادة حماس، مدينة غزة، يناير 2009.

¹³³ تفاصيل هذه الصفقة موضحة في القسم الرابع أ تحت.
¹³⁴ حول موقف حماس خلال محادثات المصالحة، راجع 4 س تحت. يعكس الاختلاف في الآراء في بعض الاحيان التأخير في التوصل الى اتفاق فيما يخص القضايا ذات التوقيت الحرج حينما يتعذر الاتصال. وعلى العكس من ذلك، حالما تجري المشاورات ويتخذ القرار فان الحركة تبين الانضباط الجدير بالملاحظة.

مسؤولي السلطة الفلسطينية المدركين والمشاركين في عملية الاغاثة، "ان الاسرائيليين يقومون باقصى امكانياتهم لتحديد ما يدخل الى غزة، والسلطة الفلسطينية وعباس لم يقوموا باي شئ والمصريين لا يعلمون كيف يتعاملوا مع الموقف".¹²⁴

د. مسألة انقسامات حماس - مرة أخرى

بين المحللين والمراقبين فان الحرب قامت باحياء قضية الانقسامات الداخلية لحماس. يرى المسؤولون في اسرائيل والولايات المتحدة ومصر بان هذه الانقسامات ساعدت على أشغال الحرب واطالتها وتشكيل نتائجها. استنادا الى مصادر مختلفة، فقد استنتجوا ان القيادة في دمشق - بعيدة عن غزة، والتي تتذرع بانها تحت حماية وتأثير مضيفيها وانها محمية من آثار الحرب - هي التي روجت لقرار عدم تجديد وقف اطلاق النار واتخذت على الدوام الموقف المتشدد من مفاوضات وقف اطلاق النار. وعلى نفس المنحى، فانها لطالما ابدت قسوة اكبر في التعامل مع اسرائيل بخصوص تبادل الاسرى، كما هو الحال مع فتح حول امكانية المصالحة وكانت على الدوام مستعدة لابعاد مصر والتقرب من طهران.¹²⁵

نظراً لعدم شفافية حماس والعقبات التي تواجه قادتها في التجمع والتداول، فان من الصعب تقييم مثل هذه التحليلات. ان الاختلافات بالرأي موجودة بالتأكيد بين قادة حماس ولطالما تفاقمت كلما واجهت حماس أقرارات المصيرية. وان مثل هذه التناقضات اصبح التعامل معها صعبا خاصة في اطار حملات الاعتقال المستمرة في الضفة الغربية بالإضافة الى الحصار والحرب على غزة. يجب على القيادة في غزة مواجهة أدامة حكمها ويجاد طرق الاستجابة لمتطلبات الناس، وأعطاء الاولوية لعلاقاتها مع مصر وذلك للحاجة اليها جغرافيا ولان بامكان القاهرة ان تغلق مايربط غزة بالعالم الخارجي. وعلى العكس من ذلك، فبامكان القيادة في المنفى التركيز على اهتمامات واهداف اوسع وبضمنها دور حماس في الحركة الوطنية الفلسطينية ومنظمة التحرير الفلسطينية، وهي اكثر حرية في التعبير عن غضبها تجاه تصرفات القاهرة.¹²⁶ ان البقاء تحت حكم السلطة الفلسطينية يلوح بشكل كبير لفرع الضفة الغربية، ولهذا السبب، مثلاً، الاصرار على ان اية عملية مع فتح تتضمن اطلاق سراح جميع السجناء في رام الله وحرية اكبر للتحرك.

هناك محذوران دقيقان. اولهما التصور المضلل بأن "الداخل" هو اكثر واقعية في حين "الخارج" اكثر تشدداً، او ان كلا منهما موحداً متراصلاً.¹²⁷ ان مقابلات مجموعة الازمات خلال محادثات

الغذاء، وخاصة بتوفر الاحتياجات الاخرى بشكل واسع. مقابلة مجموعة الازمات، القدس، 19 مارس 2009.

¹²⁴ مقابلة مجموعة الازمات، مسؤول فلسطيني كبير، القاهرة، فبراير 2009.

¹²⁵ مقابلات مجموعة الازمات، مسؤولي الولايات المتحدة، مصر واسرائيل، واشنطن وتل ابيب، يناير - فبراير 2009.

¹²⁶ مثلاً، عندما قام المتحدث باسم حماس، فوزي بروهوم، بمهاجمة مصر خلال الحرب، تم تحجيمه بسرعة. اما عضو البرلمان عن حماس مشير المصري فلم يستطيع مغادرة غزة لتصريحاته التي لم ترضي المسؤولين المصريين.

¹²⁷ مقابلات مجموعة الازمات، مدينة غزة والقاهرة، 2008-2009. وفقاً لبعض التفسيرات فان قيادة غزة هي اكثر تصلباً (وجناحها العسكري على

II. التبعات على الضفة الغربية

أ. الحكم على السلطة الفلسطينية

على شاشات التلفزة، لام المستشار الرئاسي نمر حماد حماس على بدء القتال.¹³⁹

لقد كان من الصعب أصلاً الانطباع الهدام لليوم الاول، ولكن الاخطاء استمرت. لقد كرر عباس قوله بأنه طلب من حماس تمديد وقف اطلاق النار¹⁴⁰ والذي -ان صح- فانه خارج سياق الشعور العام بان اسرائيل هي التي تقوم بمهاجمة غزة وليس حماس. ثم اكد لاحقاً بان "اذا كانت المقاومة تسبب اراقة دماء الشعب الفلسطيني، فاننا لانريدها"¹⁴¹ وهذا كان صعباً على البعض فهمه نتيجة لوضع "المقاومة" بين الثقافة السياسية الفلسطينية، ناهيك عنها خلال الحرب.¹⁴² وعندما تكلم الرئيس عن الهجوم الاسرائيلي - فانه اسماه "ابادة جماعية"¹⁴³ فلقد بدت كلماته لا تتفق مع تصريحاته الاخرى وتم رفضها كدوافع تكتيكية، وعلى اساس محدودة تأثيرها فقد بدت وكأنها لمراقبة اجنبية.¹⁴⁴ لم تقوم السلطة الفلسطينية بالبدء باية مبادرة ملموسة ولم تضع نفسها في مركز العملية. لقد نادى عباس قوى دولية وبدون أية نتيجة وكذلك دعى الى الوحدة بدون أن يدعو قادة حماس لصياغة اتفاق.

اما في داخل فتح، فقد اشتكى كبار الشخصيات بان مثل هذه التصريحات لم تكن "مناسبة"، وتوفر "الشعور بالراحة للعدو" وتعطي لاسرائيل "الذريعة والغطاء" لعمليتها.¹⁴⁵ ورفض بالمثل الناشطين في الحزب تردد عباس في الدعوة للقاءات طارئة للعرب والامم المتحدة ومقاطعته للقيمة الطارئة في الدوحة (والتي تشابكت في جدل اقليمي متوتر).¹⁴⁶ وكما قال احد كبار مسؤولي

يبو سكان الضفة الغربية الذين يشاهدون الحرب ممزقين بفعل طيف من العواطف، حيث ان هناك شعور واضح بالتعاطف مع اخوانهم في غزة وغضب شديد تجاه اسرائيل. وان المواقف تجاه كل من حماس وفتح والسلطة الفلسطينية اكثر تعقيداً. بينت الاستفتاءات في اعقاب الحرب، والتي عادة ما تقدم قيمة تقديرية نسبياً في محيط كهذا، تعثر الحركة الاسلامية في الضفة الغربية، هذا بالتأكيد كان مقبولاً نظراً للاحترام الواسع لضمودها في وجه الصعوبات بالاضافة الى ما يرافقها من عدم رضا لكل من سلبية فتح وانعدام التطور الهادف في مفاوضات السلطة الفلسطينية مع اسرائيل وخاصة ان مدة ولاية الرئيس الامريكى بوش شارفت على النهاية.¹³⁵ ومع ذلك، ما ان اصبح واضحاً بان حماس لم تحقق اهدافها ولم تبد مقاومة مؤثرة تجاه اسرائيل، فانه خسرت مكاسبها التي حققتها خلال الحرب.¹³⁶

بالرغم من خسارة حماس لجزء من قاعدتها وخسارة فتح ايضاً مايفوق ذلك، فان السلطة الفلسطينية تلقت الضربة الاكبر. على العكس من رئيس الوزراء سلام فياض الذي تكلم قليلاً خلال الحرب وبصورة عامة اقتصر انتقاده الى اسرائيل، فان الرئيس ومستشاريه عبروا دائماً وغالباً على الضد من الرأي العام. قال مسؤول رفيع في السلطة الفلسطينية عن رئيسه "لقد خانته لسانه".¹³⁷ لقد وضع التوجه العام منذ اليوم الاول للهجوم العسكري. ولقد كان عباس مسافراً عند اندلاع الحرب ولم يعود على الفور،¹³⁸ وخلال غيابه وبظهور صور الضحايا في غزة

¹³⁹ حسب قول حماد، "ان المسؤول عن المجازر هي حماس وليس الكيان الصهيوني، والذي تراه رد فعل لا لاطلاق الصواريخ الفلسطينية، يجب على حماس ان تتوقف عن الاستخفاف بالدم الفلسطيني. ويجب ان لا يعطوا الاسرائيليين اية ذريعة". الاخبار، 28 ديسمبر 2009، تقرير على الموقع www.memri.org/bin/latestnews.cgi?ID=sd216408:
¹⁴⁰ اقول وبكل صراحة، لقد قمنا بالاتصال بقيادة حركة حماس في قطاع غزة. وتحديثنا معهم مباشرة وبكل صراحة وبعد ذلك اتصلنا بهم بشكل مباشر وغير مباشر عبر اكثر من قناة عربية وغير عربية... تحدثنا معهم عبر الهاتف وقلنا لهم نطلب منكم ان لا توقفوا عدم اطلاق النار والذي يجب ان يستمر ولا يتوقف، من اجل تفادي ما حصل، ولو كان باستطاعتنا تفاديه فقط". مقتبس من تلفزيون السلطة الفلسطينية عبر وكالة الانباء الفلسطينية، 28 ديسمبر 2008.

¹⁴¹ مؤتمر صحفي، مصر 10 يناير 2009، على الموقع: www.cctv.com/english/20090111/10142.shtml
¹⁴² لقد وصف احد اعضاء البرلمان عن حماس تعليقات عباس على انها "اهانة": ان العدو هو الذي يقتل الشعب، وليست المقاومة. ان المقاومة تتبع من الشعب. انها تحميمهم، وهم يحموها. ان الجميع في نفس القارب تحت الاحتلال، انها مصلحة متبادلة". لقد رفض ايضا افكار عباس حول الحماية الدولية: ان فكرة الحاجة الى قوات دولية من اجل حماية الفلسطينيين تعتبر اهانة ايضاً. نحن بحاجة لحماية شعبنا، وليس الاعتماد على الاخرين لفعل ذلك". مقابلة مجموعة الازمات، الضفة الغربية، يناير 2009.

¹⁴³ في 6 يناير وصف عباس الهجوم "بالابادة الجماعية" ودعى الى تدخل الامم المتحدة، وكالة الانباء الكويتية، 7 يناير 2009.
¹⁴⁴ وكما علق احد قادة فتح: "لقد قام بادانة الاعتداء الاسرائيلي. وكذلك فعل (الامين العام للامم المتحدة) بان كي مون ومجموعة من رؤساء الدول الاخرى". مقابلة مجموعة الازمات، محلل سياسي فلسطيني، رام الله، يناير 2009.

¹⁴⁵ مقابلة مجموعة الازمات، احد قادة فتح، نابلس، 15 يناير 2009. لقد تم ترديد هذه الافكار من قبل ناشطين اخرين في كل من هيبورن، درة، نابلس، جنين، رام الله. مقابلات مجموعة الازمات، يناير 2009.
¹⁴⁶ مقابلة مجموعة الازمات، ناشط من فتح، رام الله، 23 يناير 2009.

¹³⁵ لقد عبر عن هذا الشعور مساند سابق لفتح، مؤكداً بأنه سينتخب حماس مرة اخرى بغض النظر عن المقاطعة الدولية: "حماس تحتاج ان تعطى فرصة، وهذا يتوقف على الشعب الفلسطيني، واجبار العالم على تقبل اختيارنا الديمقراطي". مقابلة مجموعة الازمات، نابلس، مارس 2009.

¹³⁶ قام بعض سكان الضفة الغربية باتهام حماس بجلب الدمار الهائل بدون اي سبب غير تثبيت حكمها من اجل تاسيس - في تعبير اصبح مألوف - "امارة اسلامية". وحسب سؤال متقف فلسطيني: ماذا عن المستوطنات، القدس، اللاجئيين؟ ان اسرائيل مستمرة في احتلال الضفة الغربية، والذي يعتبر هدفها الحقيقي، بينما تقوم حماس بشن الحرب من اجل معبر واحد. 40 سنة من الصراع ضد الاحتلال قلصت الى شرطي واحد لحماس في رفح". مقابلة مجموعة الازمات، رام الله، يناير 2009. بالرغم من حماس الاقل نتيجة لبعدهم عن القتال، فان سكان الضفة الغربية يشيرون الى فشل الحركة في الحاق خسائر جوهريه باسرائيل بالاضافة الى المدى الكبير للدمار. وكما وصف احد موظفي السلطة الفلسطينية لكتائب القسام على انهم "يختبئون ولا يقاتلون". مقابلة مجموعة الازمات، موظف السلطة الفلسطينية، رام الله، فبراير 2009. وفي منحي اخر، بين احد مساندي فتح ان حماس قامت بالحفاظ على قواته من اجل الصراع الداخلي. مقابلة مجموعة الازمات، رام الله، فبراير 2009. وكما اشتكى احد سكان رام الله "لقد استغرق اقل من سنتين للفساد والشللية لتستقر في غزة مقارنة بالاربعين سنة التي استغرقتها فتح". مقابلة مجموعة الازمات، رام الله، فبراير 2009.

¹³⁷ مقابلة مجموعة الازمات، القدس، 27 يناير 2009.

¹³⁸ حسب قول احد المستشارين الرئاسيين: "ان عباس لا يتابع التفاصيل يوم بيوم. فلماذا لديه فريق لادارة الازمات. لقد حاول استخدام علاقاته الاقليمية والدولية من اجل ايقاف الهجوم الاسرائيلي". ولقد اوضح المستشار بان مكتب عباس في رام الله ركز جهوده مبدياً على المساعدات الانسانية، من خلال دفع كل من اللجنة الدولية للصليب الاحمر والامم المتحدة لتوسيع عملياتهم. مقابلة مجموعة الازمات، رام الله، 24 يناير 2009.

ينشغل الاخرين عن التفكير".¹⁵¹ وفي هذا الصدد فان موضفي السلطة الفلسطينية رأوا ان الحرب وسيلة لعرض فكرة الدولة - كيان سياسي منظم يقدم للناس العاديين - بين الجمهور الاكبر. وكما اوضح احد قادة فتح:

لقد اراد الناس من ابو مازن ان يكون خفيف الظل معهم وان يقوم بمجارة عواطفهم ولكن هذا يعني ان يكذب عليهم حول المشاكل التي نواجهها كفلسطينيين. ان عباس لايقوم بفعل شئ كهذا ولكنه يتكلم بكل نزاهة، انه شخص واقعي وليس شخصا دهموي، صحيح انه لم ياتي باتفاق السلام ولكن الديمقراطية، الامن وبعض التقدم الاقتصادي يعم الضفة الغربية. ان الصراع ضد الاحتلال سيستمر الى وقت طويل، ونحن نحتاج الى قاعدة مستقرة للقيادة منها ونحن نعمل على بنائها.¹⁵²

هناك جانب اخر. فان بعض سكان الضفة الغربية تغضبهم فكرة ان قواتهم الامنية تفرض على المظاهرات الشعبية المتضامنة مع غزة. لقد فهم العديد انه يجب ابقاء المتظاهرين بعيدين عن نقاط التفشيش ومناطق الاحتكاك مع الاسرائيليين، وبمنع مستمر، وحسب قول مسؤول كبير في الشرطة، "نحن لانريد ان نعطي لاسرائيل حجة لقتل المزيد من الفلسطينيين".¹⁵³ ولكن البعض الاخر اتهموا قوات الامن بالتصرف بعنف ضد المتظاهرين المسالمين، وفي الواقع اتهمهم بالوقوف الى جانب اسرائيل ضد مواطنيهم الفلسطينيين. ولقد تم حظر اية اعلام، منشورات، وشعارات لحماس - وكذلك بالنسبة لفتح - وعندما قام الاسلاميون بخرق القوانين، قامت قوات الامن بالتدخل فوراً. ان تقنيات السيطرة على الجمهور (من ضمنها رذاذ الفلفل، العصي، وطرق الاعتقال العنيف) ليست عنيفة بالمقاييس الاقليمية ولكنها استخدمت ضد اولئك الذين اتهموا باطلاق الشعارات السياسية. لقد قامت السلطة الفلسطينية بتضييق الخناق على المتظاهرين¹⁵⁴ وتم اعتقال عدد كبير من المتعاطفين مع حماس¹⁵⁵ ووفقا لبعض الافادات القيام بالتعذيب.¹⁵⁶

السلطة الفلسطينية بصراحة، "لقد كانت كابوساً في العلاقات العامة، وخطاً من الناحيتين النفسية والتكتيكية. اذا ما اندلعت حرب بين اسرائيل وانغولا فاننا سنساند انغولا".¹⁴⁷ وعلى هذا المنوال فقد اسئ الى عباس من قبل اسلوب قيادته التقليدي (الرصين)، والذي يعتبر على النقيض من اسلوب سلفه المنمق.¹⁴⁸

ان بريق الامل الوحيد المهم وذو الحدين، كان المحافظة على النظام وبشكل ملفت للنظر في الضفة الغربية طوال الحرب. وان موظفي السلطة الفلسطينية يفتخرون بهذا لعدة اسباب. وكما اعترفت كل من الولايات المتحدة واسرائيل بان هذا الوضع يعكس تعزيز الامكانيات الامنية بشكل كبير.¹⁴⁹ وكذلك فانه يصور الاعتراف الشعبي الواسع في الضفة الغربية بالتطور وبشكل يثير الجدل وعدم تقبل اي تحزيب للمكاسب المتحققة من خلال العنف. وكما شرح احد المستشارين الرئاسيين:

ان الشعب لم يكن يريد انتفاضة اخرى في الضفة الغربية لانهم على يقين بان ما لديهم الان لايقدر بثمن. وان قوات الامن لم تكن لتقف بطريق الناس اذا ما كانوا قد قرروا ان ينتفضوا كلهم. ان الشعب في الضفة الغربية يشعرون ان لديهم سلطة تعمل لمصلحتهم. وان خسارة ابو مازن تعتبر مؤقتة، وان الانطباعات العامة بدأت بالتغير. لقد خسر الكثير من الفلسطينيين في غزة. اما في الضفة الغربية فقد تم انقاذ القضية الفلسطينية.¹⁵⁰

بعد التجوال في الضفة الغربية في مارس 2009، فقد اوضح احد مسؤولي السلطة الفلسطينية بان الرأي تغير بشكل كبير بعد المقارنة بين الاستقرار في الضفة الغربية والدمار المخيم في غزة. "ان الناس لم يكونوا راضين عنا ولا عن الرئيس خلال الحرب. وهذا طبيعي لطغيان لغة العاطفة. وبادعاء الحكمة بعد حدوث الحدث فان العديد يعززون الفضل لعباس لتفكيره في وقت

¹⁵¹مقابلة مجموعة الازمات، مسؤول كبير في السلطة الفلسطينية، مارس 2009.

¹⁵²مقابلة مجموعة الازمات، احد قادة فتح، هيبرون، 17 يناير 2009.

¹⁵³مقابلة مجموعة الازمات، رام الله، يناير 2009.

¹⁵⁴قامت مجموعة الازمات بحظور مظاهرة 9 يناير في رام الله، والتي قام فيها مساندي حماس بتريديد شعارات الحركة - خرقة للقواعد الميدانية التي سمحت بها شرطة السلطة الفلسطينية، والتي ادت الى عدد كبير من الاصابات الطفيفة. بعد ذلك رفض الحضور مناقشة ما حدث خوفاً من النتائج على مايبود. ولقد ابلغ بعض الصحفيين الغربيين العاملين في هيبرون عن نفس امر رفض الكلام عن هذه الحوادث. ان هذا التردد لم يكن محدوداً بوقت القتال، فقد لوحظ ان الناس وحتى بعض المسؤولين ترددوا بالدخول في نقاش حول مواضيع سياسية الى حد شهر مارس. مقابلات مجموعة الازمات، سكان رام الله، 9 يناير 2009، مسؤولي السلطة الفلسطينية، سكان واصحاب محلات، جنين، 10 مارس 2009.

¹⁵⁵اكدت منظمات حقوق الانسان بان الاعتقالات في الضفة الغربية زادت خلال الحرب وتتصاعد المزاج في القاهرة، ولكنه من الصعب جدا الحصول على المعلومات. ان اعضاء حماس يتم اعتقالهم بتهمة امنية وتتم محاكمتهم في محاكم عسكرية، ويتم اعتقال العديد منهم، ومن ثم اطلاق سراحهم ليعاد اعتقالهم مرة اخرى وبسرعة تلتفت انتباه المراقبين الذين يفقدون القدرة على متابعة الامر. مقابلات مجموعة الازمات، عاملين في حقوق الانسان، رام الله، ابريل 2009.

¹⁵⁶لقد قام الكادر الامني بالاعتراف الى مجموعة الازمات بانهم قاموا بالمشاركة بالتعذيب. مقابلات مجموعة الازمات، نابلس، 8 مارس 2009.

¹⁴⁷مقابلة مجموعة الازمات، مسؤول كبير في السلطة الفلسطينية، رام الله، 28 يناير 2009.

¹⁴⁸بعد اندلاع الحرب علق احد موظفي السلطة الفلسطينية: "لو كان عرفات على قيد الحياة، لقام بتهدئة نفسه الى غزة عبر نفق وتبنى المقاومة". مقابلة مجموعة الازمات، رام الله، 12 يناير 2009.

¹⁴⁹اكد مسؤولي السلطة الفلسطينية، وبصورة خاصة على الاقل، بان نظرائهم الاسرائيليين كانوا من اكثر الواثقين بالاداء الامني للسلطة وكذلك الولايات المتحدة. مقابلات مجموعة الازمات، السلطة الفلسطينية، مسؤولين امريكان واسرائيليين، فبراير 2009.

¹⁵⁰مقابلة مجموعة الازمات، المستشار الرئاسي، رام الله، فبراير 2009. يشاع وهناك ادلة ضئيلة على ذلك ان حماس كانت تعمل بنشاط من اجل اشعال انتفاضة، لم تجدي دعوة مشعل الى "انتفاضة ثالثة". الى جانب الاحتجاجات في هيبرون، تفادت حماس وبشكل كبير اية مواجهات مع السلطة الفلسطينية، وكانت على الاغلب مع افراد من النساء والاطفال والذين يؤكدون وجود الحركة. هناك بضعة تفسيرات ممكنة: القدرة التنظيمية المحدودة حالياً لحماس في الضفة الغربية، التخوف من ان اي فعل ممكن ان يكشف لكل من اسرائيل والسلطة الفلسطينية ما تبقى من بنيتها التنظيمية في الضفة الغربية، او قراءة القيادة في الضفة الغربية للوضع السياسي على ارض الواقع بدقة والافتناع بان الحركة ستكسب من ظهورها كضحية اكثر من لعب اي دور. في بداية الحرب قام برلماني من حماس برد كلام مشعل بخصوص الانتفاضة: "سوف لن يكون هناك انتفاضة ثالثة، في ظل الوضع السياسي الحالي لن تجدي نفعا. وكما هو الحال فنحن نكسب". مقابلة مجموعة الازمات، الضفة الغربية، يناير 2009.

كطريق مختصر في تحقيق الحقوق الوطنية الفلسطينية¹⁶¹.
واشارة الى التحدي الاسلامي، تأسف احد قادة فتح في نابلس قائلاً:

لقد كانت هذه معركة الكرامة بالنسبة لحماس،¹⁶² والتي جذبت الناس الى فتح لمدة 40 سنة. لقد اعتاد عرفات على القول: "انني لاحتاج الى انتخابات للحصول على الشرعية، فانا منتخب شرعياً لانني اقود الصراع ضد الاحتلال". والان حماس لديها نوعان من الشرعية، النوع الذي ممكن الحصول عليه عن طريق الانتخابات والاخر من قيادة الصراع.¹⁶³

ان تأثير مثل هذه التساؤلات اصبحت محسوسة، وخاصة عند بدء كوادر فتح بالاصرار على برنامج اقوى للمقاومة - والذي بالنسبة للبعض يضم الكفاح المسلح - في الضفة الغربية.¹⁶⁴ حتى عباس نفسه - والذي يتعامل بحذر لمثل هذه الشؤون - قام بتبني موقف اصلب بعد الحرب - والذي صار أسهل بتغيير الناخب الاسرائيلي الى انتخاب اليمين المتطرف. ولقد اكد هو ومستشاريه على انهم لن يتفاوضوا مع حكومة لا تلتزم بالاتفاقيات السابقة، الالتزام بحل الدولتين او ايقاف الاستيطان.¹⁶⁵

ان العديد من الناشطين في فتح القوا اللوم الى الافتقار الى استراتيجية معينة او اي طريق واضح للخروج والقي البعض منها على سلام فياض. ان فعاليته النسبية وسمعته الدولية التي قل نظيرها وعدم انتماءه لفتح تجعل منه حقيقة يصعب تقبلها. وكما يرى بعض قادة فتح المهمين بان اي ضمان لتحسن الوضع في الضفة الغربية سيعزى الى فياض، بينما سينعكس اي تقصير حكومي بشكل ضئيل على الحركة، والتي تدعمه من الخارج.¹⁶⁶ لقد كان كل من القادة والناشطين يخشون من فقدان مصداقيتهم حتى قبل اندلاع الحرب¹⁶⁷ نتيجة لاختيارهم حكومة تحاول حفظ النظام في الضفة الغربية والتي ينظر اليها الجميع على انها غير كفوءة باستثناء فياض نفسه.¹⁶⁸

ان البعض من اعضاء فتح يدعون ان رئيس الوزراء، بقصد اومن غير قصد يعمل وبكل مثابرة ضد حركتهم وضد حركة حماس، وذلك عن طريق اعادة تنظيم القطاعين الامني

ردا على الانتقاد، فقد اجاب مسؤول في السلطة الفلسطينية : بالطبع يجب ان نجازف بان نتهم بالعمل ليس فقط مع وانما لصالح أولايات المتحدة. نحن بحاجة الى طريقة لجعل الناس تحكم علينا استنادا الى انجاز اتنا، لاننا وبهذه الطريقة سيكون لدينا مانفاخر به على حماس".¹⁵⁷ ثلاثة اشهر بعد الحرب بقي الوضع في الضفة الغربية متوتراً. فقد ارتكبت سلسلة من الحوادث على ما يبدو من قبل افرادا - من ضمنها سلسلة من الهجمات بالسيارات والجرافات في القدس بالإضافة الى اصابتين قاتلتين لشريطين اسرائيلين في الضفة الغربية، القذف بالحجارة، هجمات بالسكاكين والفؤوس ومحاولات بالقنابل الحارقة - والتي تركت الاسرائيليين يتسائلون الى اي مدى ستتتشر هذه الظواهر.¹⁵⁸ ان بعض الفلسطينيين يتشاركون بالكهنتات، وحسب قول احد قادة فتح، "هناك نار تحترق تحت الرمل".¹⁵⁹ في الوقت الحاضر فان الوضع مشحون بالاستياء من الحرب، تشكيل الحكومة الاسرائيلية من الجناح اليميني و غضب بعض الفلسطينيين من سلبية قيادتهم السياسية، الافراد - على الاغلب المقيمين خارج مناطق سيطرة السلطة الفلسطينية - يأخذون الموضوع على عاتقهم.

ب. الحكم على فتح

مثلت الحرب بالنسبة لفتح تدنياً جديداً لما اصبح يعرف بازمة الهوية المؤلمة والطويلة. فلأول مرة في تاريخ الحركة ومنذ تاسيسها في نهاية 1950، لم تقم بلعب اي دور - باستثناء عدد صغير من مقاتلي كتائب شهداء الاقصى والذين هم على طرفي نقيض من قيادة فتح - في الصراع ضد اسرائيل. ولقد قامت حماس بتجاوز فتح في معايير الكفاح المسلح وطردتها من غزة، اهيئت فتح أيضاً بتجاوز حكومة السلطة الفلسطينية لها (والتي لاتضم اي عضو من فتح) في الضفة الغربية. وكما اوضح احد قادتها، "ان فتح اصبحت ملك من غير عرش".¹⁶⁰ لا يمكن لازمة فتح ان تمر من غير عواقب لعملية السلام السابقة. عمقت الحرب، بسبب دور حماس وغياب فتح، الجدل القديم بين الدبلوماسية وبناء الدولة من ناحية والكفاح المسلح من ناحية اخرى. لقد كان من الصعب على قادة فتح ان يندحثوا عن عقلانية توجهاتهم أو أن يستأنفوا محادثات السلام في خضم الصورة الدموية في غزة. وكما استنتج محلل سياسي فلسطيني: "لقد فشلت المفاوضات

¹⁶¹مقابلة مجموعة الازمات، رام الله، فبراير 2009.

¹⁶²في مارس 1968، قامت اسرائيل بمهاجمة مدينة الكرامة الاردنية بعد سلسلة من العمليات الفلسطينية في اسرائيل. وقد ابدت كل من قوات منظمة التحرير الفلسطينية والقوات الاردنية مقاومة صارمة اكثر مما كان متوقعا وذلك بتكبيدها اسرائيل 30 جنديا (التقديرات مختلفة) وتدمير عدد من الدبابات. وبالرغم من ان القوات الفلسطينية والاردنية تكبدوا خسائر كبيرة ولكن ادائهم القوي نسبياً زاد من مصداقية المقاومة وطبع المعركة في اذهان الوعي الوطني الفلسطيني.

¹⁶³مقابلة مجموعة الازمات، احد قادة فتح، نابلس، 16 يناير 2009.

¹⁶⁴مقابلات مجموعة الازمات، نابلس، يناير 2009.

¹⁶⁵مقابلة مجموعة الازمات، المستشار الرئاسي، مارس 2009، راجع ايضا الشرق الاوسط، 11 فبراير 2009. سابقا قامت نفس القيادة بالرفض التام لامكانية اجراء اية محادثات سلام مشروطة حول ايقاف الاستيطان. مقابلات مجموعة الازمات، ان المستشارين الرئاسيين اعلنوا نهاية "العمل كالمعتاد". مقابلة مجموعة الازمات، احد قادة فتح، رام الله، اكتوبر 2008.

¹⁶⁶مقابلة مجموعة الازمات، احد قادة فتح، رام الله، اكتوبر 2008.

¹⁶⁷مقابلة مجموعة الازمات، احد قادة فتح، نابلس، 15 يناير 2009.

¹⁶⁸مقابلة مجموعة الازمات، احد قادة فتح، رام الله، فبراير 2009. حول النقد الموجه لتركيبه حكومة فياض، انظر تقرير مجموعة الازمات للشرق الاوسط رقم 79، حكم فلسطين 2: نموذج الضفة الغربية؟، 17 يوليو 2008.

وان التوتر بين حماس والسلطة الفلسطينية يستمر. في 19 ابريل، قام شرطي من السلطة الفلسطينية باطلاق النار على قديمي عضو المجلس التشريعي من حماس حامد البيتاوي في نابلس، مما ادى الى جرحه بالشظايا. لكن محافظ نابلس ادعى بان حادث منفرد وقد تم اعتقال الضابط فيما بعد، وبعد سنة اعتبر تلفزيون الاقصى التابع لحماس الحادث على انه محاولة اغتيال البيتاوي والتي اسفرت عن اصابة سيارته بثمانية رصاصات. مقابلات مجموعة الازمات، نابلس، محافظ نابلس جمال المحيسن، نابلس، 20 ابريل 2009، اسلامي مستقل، نابلس، ديسمبر 2009.

¹⁵⁷مقابلة مجموعة الازمات، مسؤول كبير في السلطة الفلسطينية، رام الله، 20 يناير 2009.

¹⁵⁸"تحشى قوات الامن اندلاع انتفاضة جديدة"، هآريتز، 6 ابريل 2009.

¹⁵⁹مقابلة مجموعة الازمات، احد قادة فتح، نابلس، ابريل، 2009. وكما اضاف احد المحللين السياسيين: "اذا لم يقم القادة بتزويد الشعب ببديل فان الشعب سيقوم بخلق واحد". مقابلة مجموعة الازمات، رام الله، ابريل 2009.

¹⁶⁰مقابلة مجموعة الازمات، نابلس، مارس 2009.

الحاجة لتبديل فياض، وذلك لانه يعتبر تهديد بالنسبة لكليهما¹⁷⁸. وفي 7 مارس وبخطوة تقنية استقال رئيس الوزراء (كان عليه ان يتنازل لاعطاء عباس الفرصة لتعيين حكومة جديدة) وتلاعب سياسي (لإثبات انه لا يعيق حكومة موحدة) اكثر من ان تكون متصل نهائي. بالتحتي جانبا فقد بين رغبته بتفضيل المصلحة الوطنية على مصلحته الخاصة، وفي نفس الوقت دفع نقاده في فتح الى الطلب بعودته بشدة كرئيس للوزراء اذا وجدوا انه ليس لديهم خيار اخر - وهذا مايتوقعه¹⁷⁹. ان مثل هذا الطلب يبين انه شخص لا يمكن الاستغناء عنه، وانه ليس مجرد شخص يشغل منصبا عليهم احتمالهما بينما يحصدون نقاطا سياسية على حسابها. ولقد اشارت واشنطن وبعض العواصم الغربية الاخرى ان اعادة تعيينه كرئيس للوزراء يعتبر شرطا لاستمرار المساعدة المالية¹⁸⁰.

استأنفت المحادثات ، بتلاشي مستقبل حكومة الوحدة، في رام الله حول تعيين عباس لما يسمى حكومة موسعة، لكي يترأسها فياض مرة اخرى ولكن بمشاركة قوى منظمة التحرير الفلسطينية من اجل تقوية الوزارة من دون تسليم زمام الامور الى النخبة التقليدية لفتح¹⁸¹.

الى حد ما فان ازمة الهوية للحركة دفعت الى تجديد الدعوات الى التغيير الداخلي. وان الاقتتال الداخلي ليس جديداً على حركة فتح ، ورغم أن اللجنة المركزية ، والهيئة التنفيذية الرئيسية، على ما يبدو إنها منقسمة اكثر من أي وقت مضى بين المؤيدين والمناهضين لعباس - مختصر للانقسام الذي تختلط فيه الخصومة الشخصية مع الخلافات العقائدية حول موضوع اجراء المفاوضات مع إسرائيل¹⁸². وربما كان التطور الاهم هي صراحة مسؤولي المستوى المتوسط ، والذين كانوا على الاقل على استعداد، وبسبب تهيج المشاعر بسبب الحرب التي اندلعت مؤخرا، لتحدي رؤسائهم¹⁸³. ان الضغط من القواعد اقع للجنة

والمالي¹⁶⁹. ان التمويل الحكومي لا يجد الطريق للحركة الوطنية نتيجة للمراقبة المفروضة من قبل رئيس الوزراء، وان نقاده يتهمونه بمحاولة تأسيس شبكة من وصاية جديدة، عن طريق تشجيع حلفائه بالحق الاذى بثبات فتح¹⁷⁰. وحسبما جادل احد الموظفين السابقين للسلطة الفلسطينية، "لمجرد ان اعماله مشروعة فهذا لايعني انه ليس فاسدا"¹⁷¹.

في الجانب الامني ، ايضا، هناك قلق من اجندة الاصلاح الحكومية بحرمان فتح من الدور الرئيسي وتحويل السلطة الفلسطينية في نظر العديد من الفلسطينيين كاداة لقمع الكفاح المسلح¹⁷². لقد ازداد الخوف خلال الحرب. ويفخر العديد من مسؤولي السلطة الفلسطينية بقبالية الخدمات الامنية في صد المظاهرات، في حين يرى الناشطين صعوبة في تقبل ذلك الذين يخشون ان يفهم موقف الحكومة على انه يقدم لاسرائيل مبعثاها. لقد اصبح كل من التنسيق المتقارب بين السلطة الفلسطينية والقوات الاسرائيلية وبرنامج التدريب الممول من قبل الولايات المتحدة معرض للهجوم. وحسب قول احد قادة فتح، "علينا ان نتوقف عن التنسيق الامني الحر مع اسرائيل بما انه يحولنا الى متعاونين"¹⁷³. وبدقة اكثر وحسبما ردد احد مسؤولي وزارة الداخلية للاتهام القاسي الذي يشاع داخل الدوائر الامنية "اننا نتحول الى جيش جنوب لبنان"¹⁷⁴.

لقد اشتكى برلمانيو فتح الى كل من الرؤساء الامنيين والقادة السياسيين، تخوفهم من تأثير قرارات السلطة الفلسطينية على الموقف الشعبي للحركة¹⁷⁵. بالاضافة الى ذلك وبينما عانت حماس من اسوء حالات القمع فان الاجهزة الامنية قامت بنفس الشئ ضد فتح¹⁷⁶. لقد ابلغت هذه الاجهزة كوادر فتح وأشعرتهم بان التظاهر ليس امر مرغوب فيه أطلاقاً، حيث ان التظاهر يعتبر طريقة لمساندة العدو (الاسلامي)¹⁷⁷.

ولذلك ومع اقتراب محادثات المصالحة في القاهرة، وعلى ما يبدو فان القضية الوحيدة التي يجمع عليها كل من فتح وحماس هي

¹⁷⁸بينما عبر قادة اخريين لفتح بان باستطاعتهم تقبل فياض كرئيس للوزراء طالما يتم تمثيل الحركة بقوة في حكومته. وحسب قول احد قادة فتح البارزين، "باستطاعتنا استخدامه طالما انه يأتي لنا بالمال، وباستطاعتنا كذلك تحجيمه عند الحاجة الى ذلك". مقابلة مجموعة الازمات، نابلس، فبراير 2009.

¹⁷⁹مقابلة مجموعة الازمات، دبلوماسي غربي، القدس، مارس 2009.

¹⁸⁰ اشار مسؤولي الولايات المتحدة الى انهم لم يكونوا متفاجئين او قلقين بشأن تصريحات فياض. وقاموا بتصعيد حملة دولية بمشاركة الدول الاوروبية والعربية من توضيح ان اعادة تعيينه تعتبر حاسمة. مقابلة مجموعة الازمات، مسؤولي الولايات المتحدة، القدس، واشنطن، مارس 2009.

¹⁸¹مقابلة مجموعة الازمات، المستشار الرئاسي، 25 مارس 2009.

¹⁸²مقابلة مجموعة الازمات، احد كبار قادة فتح، يناير 2009. لقد كان اعضاء اللجنة المركزية صريحين خلال الحرب، بمدح هاني حسن "النصر" حماس في غزة ودعوة فاروق قنومي لاجتماع المجلس الوطني الفلسطيني من اجل تبني قاعدة للمقاومة. الايام، 30 يناير 2009.

¹⁸³ وصرح قادة فتح لمجموعة الازمات انهم عقدوا اجتماعات غير رسمية - ضد رغبة السلطة الفلسطينية - مع ممثلين لحماس خارج الأراضي المحتلة ، والمسؤولين المنتخبين من العديد من مناطق الضفة الغربية فوضوا حضور الحدث في رام الله مقر السلطة الفلسطينية التي تؤكد شرعية عباس رئيسا في 9 كانون الثاني / يناير ؛ مجموعة من القيادات الشابة والكوادر حثت على ترشيح لجنة قيادة طارئة في ضوء جهود الإصلاح المتوقفة "جلسات دراسية" في ما يتعلق بمستقبل الحركة تم عقدها من قبل المجموعات الطلابية لحركة فتح في الجامعات في مختلف أنحاء الضفة الغربية ، وأكثر من 1,300 من كوادر وقادة من فتح غير راضين عن طريقة تعامل عباس مع الحرب وشكلت لجنة لمواجهة الرئيس حول هذا الموضوع. مجموعة الازمات المقابلات قادة فتح ، رام الله ونابلس ، يناير وفبراير 2009. وبمجرد انتهاء الحرب ، وكذلك

¹⁶⁹مقابلة مجموعة الازمات، اعضاء فتح، رام الله، فبراير 2009.

¹⁷⁰مقابلة مجموعة الازمات، اعضاء فتح، نابلس، مارس 2009.

¹⁷¹مقابلة مجموعة الازمات، رام الله، مارس 2009

¹⁷²مقابلات مجموعة الازمات، قادة فتح، رام الله، نابلس، هيبرون، فبراير 2009.

¹⁷³مقابلة مجموعة الازمات، رام الله، يناير 2009.

¹⁷⁴مقابلة مجموعة الازمات، رام الله، فبراير 2009. جيش جنوب لبنان تم تشكيله خلال الحرب الأهلية اللبنانية وبعدها انحاز الى اسرائيل عندما قام جيش الدفاع الاسرائيلي باحتلال جنوب لبنان.

¹⁷⁵مقابلات مجموعة الازمات، رام الله ونابلس، فبراير 2009. قيس عبد الكريم، قائد الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين، لخص ما يؤمن به الكثيرين في فتح: "عندما تحاول ان تحل المشاكل السياسية بالقوة العسكرية، فانها تنفجر بوجهك. ففي الاسبوعين الماضيين حاولت السلطة الفلسطينية اثبات سلطتها على الارض، ولكن طريقة تعاملها القوية عززت قوة حماس بدلا من ذلك". مقابلة مجموعة الازمات، رام الله، يناير 2009. من المثير انه خلال مفاوضات "الدعوة الى الوحدة" والتي وقعت من قبل 50 شخصية فلسطينية مرموقة، طالب اعضاء لجنة تنظيم فتح - ليس حماس - بانهاء التنسيق الامني للسلطة الفلسطينية مع اسرائيل. مقابلة مجموعة الازمات، منظم اللجنة، رام الله، 1 فبراير 2009.

¹⁷⁶وكما يلاحظ، في بعض الحالات تقوم قوات الامن بانزال اعلام فتح وتقريب مجاميع الشباب بعيدا عن مناطق الاحتكاك الممكنة مع اسرائيل. للمزيد، انظر ملخص مجموعة الازمات، فلسطين مقسمة، نفس المصدر.

¹⁷⁷مقابلة مجموعة الازمات، احد اعضاء فتح، نابلس، يناير 2009.

III. إسرائيل والحرب

أ. تقييم النتائج

بعد أسبوع من القصف على غزة بهدف استنفاذ مقاتلي حماس،¹⁸⁶ قامت اسرائيل في 3 يناير 2009 بنشر قواتها البرية على نسق تشكيل مكون من ثلاثة ألوية مدعمة بدبابات وطائرات هليكوبتر هجومية. ان تخفيفها لقواعد الاشتباك ادى الى تأثير مدمر في الأجزاء الشمالية من قطاع غزة ، مما رفع من عدد الضحايا.¹⁸⁷ وقامت قواتها بمحاصرة مدن غزة، ولكن على الرغم من ان المقاومة كانت اقل من المتوقع خلال الاندفاع الى المراكز الحضرية ولكنها كانت كافية لايكاف الاحتلال. ان الكثيرين في اسرائيل- ووفقا لمعظم استطلاعات الرأي¹⁸⁸ -بالاضافة إلى القادة السياسيين البارزين قد حثوا الجيش على تحقيق المزيد من التقدم وخلق حقائق أمنية وسياسية جديدة، وربما عزل حماس. ولكن من دون استراتيجية خروج معقولة ، وتخوف من ارتفاع عدد الضحايا ومن بيان غير واقعي للأهداف في حرب لبنان في 2006 ، فقد تراجعت الحكومة عن أهداف الحد الأقصى.¹⁸⁹ وفي الساعة الثانية صباحا من 18 يناير 2009، اي قبل يومين من تسلّم باراك اوباما الرئاسة الامريكية اعلنت اسرائيل قرار وقف

المركزية باستئناف المحادثات حول عقد المؤتمر العام السادس والذي طال تأخيرها، وهو الهيئة العليا لصنع قرار الحركة، الأمر الذي من شأنه إعادة تشكيل اللجنة المركزية والمجلس الثوري. ومع ذلك ، فسرعان ما لبدت الانقسامات الجو.¹⁸⁴ و القليل فقط يعتقد بان المؤتمر سيغير شيئا. وكما قام احد الناشطين المطلعين ومن الداعين الى الاصلاح بوصف القادة على انهم "يقومون بتقسيم المناصب في صفقات سرية كما لو كانت ميراثهم. قد يتغير اسم من هنا واسم من هناك ، ولكن في نهاية المطاف ، النكهة ستكون نفسها".¹⁸⁵

¹⁸⁶ ان المشاكل الرئيسية التي واجهتنا كانت في مراكز المدن ، ولذلك نحن في حاجة الى وقت لاستنفاذ مواطنيهم. تصور قناص من حماس في الطابق الثالث في مبنى في مدينة غزة. بعد خمسة او عشرة ايام من الانتظار بينما تم قصف كل ماحوله - المبنى المجاور له ، الشقة التي فوقه - انه لا يستطيع النوم ، لا يستطيع الاتصال مع الرؤساء والشركاء ، ويشعر بأنه معزول ولا يقاتل ويفضل الاختباء ". مقابلة مجموعة الازمات ، ايتامار يار ، المسئول السابق بمجلس الأمن القومي ، تل أبيب ، 21 يناير 2009.

¹⁸⁷ عكست الكتابات والشعارات القاسية او الخشنة التي تركت على جدران المدرسة والمنازل مشاعر بعض الجنود والانهيار النسبي للانضباط. واحدة من المدارس التي دمرت جزئيا والتي زارها فريق الأزمات تحمل رموز وشعارات تصور منظمة كاخ الاسرائيلية المحظورة التي تدعو الى طرد الفلسطينيين ، وكذلك الشعارات التي جاء فيها "لا عرب لا اعتداءات" ، و "التأر لنا في كل مكان. سكان الجنوب (اسرائيل) ليسوا وحدهم ". موقع زيارة مجموعة الازمات في مدرسة سخنين في بيت لاهيا شمال قطاع غزة ، 17 مارس 2009.

¹⁸⁸ وفقا لاستطلاع للرأي أجري بعد شهر من الحرب ، 66 في المائة من الجمهور اليهودي يعتقد كان على اسرائيل ان تستمر بالعملية حتى استسلام حماس. فهرس الحرب والسلام الشامل ، ومركز تامي شتاينميتز لدراسات السلام ، فبراير 2009.

¹⁸⁹ ان الاسباب المختلفة التي دفعت اسرائيل لانتهاء القتال تعزى الى قلقها إزاء التعثر في قطاع غزة وسط تصاعد الخسائر؛ تردد في تولي المسؤولية عن 1.5 مليون فلسطيني ، والتخلي عن المكاسب التي تحققت عام 2006 لفك الارتباط ("بمجرد ان نوضع العلم الإسرائيلي على ساحة مدينة غزة الفلسطينية ، سنكون مسؤولين عن مليون نسمة في قطاع غزة" ، ايفي ايتام ، عضو لجنة الشؤون الخارجية والدفاع بالكنيست في البرلمان في ذلك الحين ، في خطاب هرتسليا ، 3 فبراير 2009 ، وحضره مجموعة الازمات) والخوف من تصاعد التنديد الدولي وتضرر العلاقات مع الادارة الاميركية الجديدة ("ان الهجوم لن يستمر إلى ما بعد 20 يناير. سيكون خطأ سياسيا مغادرة غزة والملف لا يزال مفتوحا عندما يدخل اوباما البيت الابيض ". مقابلة مجموعة الازمات ، مسؤول أمني كبير سابق ، تل أبيب ، 13 يناير 2009) ، القلق بشأن انزلاق غزة الى الفوضى ("اسرائيل لا تريد حماس أن تخفي لأن البديل ليس عباس انها الفوضى" مقابلة مجموعة الازمات ، شلومو بروم ، المدير السابق لشعبة التخطيط الاستراتيجي في جيش الدفاع الاسرائيلي ، تل أبيب ، 21 يناير 2009) ، أو مزيج مما سبق.

الاصرار على جهود الاصلاح. مقابلة مجموعة الازمات، احد قادة فتح، رام الله، فبراير 2009.

¹⁸⁴ وما ان تم تسريع المناقشات فقد واجهت عقبات مألوفة. في حين بدى القرب من التوصل الى اتفاق على الممثلين المؤتمر ، لم يتقرر موقعه. مقابلة مجموعة الازمات، قادة فتح في رام الله ، أبريل 2009.

¹⁸⁵ مقابلة مجموعة الازمات، رام الله، مارس 2009.

ان العسكرية الاسرائيلية نجحت في التقدم ولم تتكبد الا القليل جدا من الضحايا او الاصابات، وحتى في المناطق ذات الكثافة السكانية العالية، فقد قامت بتحديد وتجنب كمائن حماس. وان مقاتلو حماس غالبا ما تحاشوا اي اتصال مباشر مع قواتنا. وعلى المستوى التكتيكي فقد أثبتنا تفوقا هائلا.¹⁹⁶

على الرغم من ان تقييم الاستخبارات العسكرية الاسرائيلية لمحدودية الأضرار التي لحقت بسلسلة القيادة العسكرية للإسلاميين والقوى العسكرية العاملة تختلف قليلا عن حماس نفسها،¹⁹⁷ ولكن الضباط يدعون ان الضرر اصاب الروح المعنوية للحركة ورغبتها في القتال.¹⁹⁸ وكما حدث في لبنان، عندما خمن المسؤولون مباشرة بعد انتهاء الحرب، بان العملية ستمنح اسرائيل سنتين او اكثر من الهدوء - وهو وقت كافي لتطوير درع مضاد للصواريخ.¹⁹⁹ كما اشار المسؤولين الى المعارضة المتزايدة من جانب مصر للحركة الاسلامية.²⁰⁰ وبوصفه سجل في فترة ما بعد الحرب، بين مستشار باراك التناقض بين "مأدبة النصر" في 18 يناير 2009 بحضور رئيس الوزراء اولمرت وستة من القادة الأوروبيين،²⁰¹ وموقف قيادة حماس في غزة وهم مختبئين في الملاجئ.²⁰²

كما اشار المسؤولون الى التقدم في الحد من خطوط امداد الأسلحة في غزة من جانب واحد وذلك بالقصف الجوي الموجه على طرق التهريب²⁰³ لشبكة انفاق رفح الى الحدود السودانية، على

اطلاق نار احادي الجانب وقامت بالانسحاب الكامل خلال 4 ايام.¹⁹⁰

بانتهاء الهجوم والذي اعتبره الاسرائيلين نجاحا وتصحيحا لما حدث قبل سنتين في لبنان.¹⁹¹ وعلى الرغم من تبجح حماس قبل الحرب فقد اشار مسؤولون أمنيون بانها فشلت في تدمير دبابة واحدة، اسقاط مروحية، خطف جندي، ونشر الانتحاريين إلى التأثير القاتل أو احداث دمارا للترسانة الصاروخية (فقد قتل ثلاثة اسرائيليين فقط بمئات الصواريخ التي تم اطلاقها والذي يعتبر اقل مما كان متوقعا).¹⁹² وبفضل تفوق نظم الإنذار المبكر، والملاجئ المتطورة، فضلا عن انخفاض كمية الصواريخ¹⁹³، فقد استعان سكان اسرائيل بالملاجئ بدلا من الفرار. علاوة على ذلك، فإن إسرائيل -وليس حماس- اتخذت الاسرى كمكسب في عملية جمع المعلومات الاستخباراتية.¹⁹⁴ مرة أخرى وخلافا لحرب 2006، والتي خلالها تأكل دعم القيادات السياسية والعسكرية كلما طال استمراره، بينما كانت معنويات الجبهة الداخلية لا تزال مرتفعة في جميع أنحاء.

يستشهد مسؤولوا الأمن بتكتيك متقدم، والذين يدعون أنهم وجدوا استجابة فعالة لحرب غير متناسقة، مما يدل على وسائل غير متناسبة تحت تصرفها والاستعداد لنشرها. هذا ليس كل شيء فقد دمروا المباني التي يعتقد انها مفخخة، وزعموا كسر "الحمض النووي لمكافحة حرب العصابات في المدن".¹⁹⁵ وكما لاحظ مستشار وزير الدفاع ايهود باراك:

¹⁹⁶مقابلة مجموعة الازمات، المساعد السياسي لبارك، القدس، 20 يناير 2009.

¹⁹⁷يقول مسؤولوا الاستخبارات العسكرية الاسرائيلية ان من بين مئات من ناشطي حماس قتلت إسرائيل ما بين 50 و 70 وكانوا من مقاتلي كتائب عز الدين القسام تقريبا 48 اي أكثر مما تدعي الكتائب وأقل بكثير بنحو 150 كما ورد في وقت لاحق في التقييم الداخلي لحماس. مقابلات مجموعة الازمات، مسؤولين اسرائيليين ومن حماس، تل ابيب ومدينة غزة، يناير و مارس 2009.

¹⁹⁸لقد قتل 500 من أصل نحو 15,000 من الميليشيات لن يشكل فارقا بالنسبة لحماس كقوة مقاتلة. ولكنها ستحدث فرقا في رغبتها في القتال. مقابلة مجموعة الازمات، البروفيسور اشر سوسر، جامعة تل ابيب، 19 يناير 2009. وادعى مسؤول أمني بارز ان اسرائيل استعادت قوة الردع لديها. ان "اسرائيل اظهرت لحماس وايران والمنطقة ان بإمكانها ان تكون مجنونة مثل أي منهم. حزب الله تعلم الدرس وقد اتصل بإسرائيل بعشرة طرق مختلفة مبينا أنه لم يكن مسؤولا عن المجموعة الفلسطينية المتطرفة التي اطلقت الصواريخ (على غزة خلال الحرب) على شمال اسرائيل. مقابلة مجموعة الازمات، مسؤول أمني كبير سابق، تل ابيب، 13 يناير 2009.

¹⁹⁹مقابلة مجموعة الازمات، مسؤول اسرائيلي، تل ابيب، 4 فبراير 2009،²⁰⁰نظر أدناه، القسم الثالث A. قال مسؤول أمني كبير سابق ان "الحرب في غزة تسبب ضررا دائما لمصالح ايران: من خلال العجز في حماية غزة فانها فقدت هيبتها الاقليمية". مقابلة مجموعة الازمات، تل ابيب، 13 يناير 2009.²⁰¹الضيوف هم رئيس الوزراء التشيكي ميريك توبولانيك، والرئيس الفرنسي نيكولا ساركوزي، والمستشارة الالمانية انجيلا ميركل ورئيس وزراء بريطانيا غوردون براون، رئيس الوزراء الايطالي سيلفيو برلسكوني ورئيس الوزراء الاسباني خوسيه لويس رودريجز ثاباتيرو. وقد سافر الوفد الى اسرائيل بعد حضور قمة استضافها الرئيس المصري حسني مبارك في شرم الشيخ.

²⁰²مقابلة مجموعة الازمات، المستشار السياسي لوزير الدفاع الاسرائيلي، القدس، 20 يناير 2009.²⁰³في خضم الحرب في غزة، هاجمت القوات الجوية الاسرائيلية قافلة تتضمن الأسلحة الايرانية تمر عبر السودان في طريقها إلى قطاع غزة. "سي بي اس: إيف القافلة المستهدفة السودانية"، CBS:IAF قافلة سودانية مستهدفة CBNNews.com، 26 مارس 2009. وامتنع المسؤولون

¹⁹⁰البيان الصحفي لجيش الدفاع الاسرائيلي، 21 يناير 2009.

¹⁹¹ ان عملية غزة هي عملية عسكرية ناجحة بالنسبة لاسرائيل. فقد استعادت الروح المعنوية في صفوف المؤسسة الأمنية والسكان بعد النكسات في لبنان عام 2006. مقابلة مجموعة الازمات، مسؤول أمني كبير سابق، تل ابيب، 13 يناير 2009. لقد بينت وثيقة داخلية للامم المتحدة في الفترة من فبراير 2009 ان انجاز الحرب الوحيد والملاحظ هو تجاه السكان داخل البلاد... الاسرائيليون بدأوا يشكون في قدرتهم وقوة من الجيش الإسرائيلي في تسديد ضربة لأعدائهم... استخدام "القوة المفرطة"... أثبات ان اسرائيل هي المالك... ان صور الدمار كانت موجهة للعيون الاسرائيلية اكثر من أعداء اسرائيل، والعيون المتعطشة للانتقام والكرامة الوطنية. نسخة من الملف مع مجموعة الازمات. ووفقا لمسح ما بعد الحرب، فان 36% من الاسرائيليين عبر عن ارتياحه للحرب، و 33% عن عدم الرضا، و 29% منهم لم يقرروا. فهرس الحرب والسلام، مركز تامي شتاينميتز لدراسات السلام، فبراير 2009. على النقيض من ذلك، في سبتمبر 2006، فقد اشير الى أن 68% من الاسرائيليين يعتقدون ان الحرب في لبنان أدى إلى إضعاف ردع أمتهم. فهرس الحرب والسلام، أغسطس 2006.

¹⁹² ان الروتين اليومي في جنوب اسرائيل تضرر جزئيا فقط. وان أهم ما حدث هو اضطراب في النظام التعليمي، والذي أغلق فعليا؛ على النقيض من ذلك، فقد بلغ متوسط الحضور للعاملين في المصانع في جنوب البلاد أكثر من 85% Kalkalist، 15 يناير 2009.

¹⁹³ان حماس ليس لديها تأثير سحري في المعركة مثل حزب الله. ان هذا دليل واضح على انتصار جيش الدفاع الإسرائيلي. مقابلة مجموعة الازمات، المساعد السياسي لبارك، القدس، 20 يناير 2009. أطلقت حركة حماس حوالي 29 صاروخ في اليوم الواحد مقارنة بمعدل 120 صاروخ اطلقتها حزب الله في اليوم الواحد خلال حرب لبنان عام 2006. يفتاح شابير "اسلحة حماس، التقييم الاستراتيجي"، معهد دراسات الأمن القومي بجامعة تل ابيب، المجلد 11، رقم، فبراير 2009.

¹⁹⁴مقابلة مجموعة الازمات، يتمام يار، تل ابيب، 21 يناير 2009.

¹⁹⁵مقابلة مجموعة الازمات، مسؤول أمني، القدس، 28 يناير 2009.

، فان قيمة الجهود المبذولة لمكافحة التهريب مشكوك فيها إلى حد ما.²¹⁰

كان من الصعب الهرب من أن القليل الذي تم تحقيقه بفضل الحرب كان يمكن تحقيقه من دونها، وأنه ، على حد قول ضابط استخبارات سابق ، " ان خيارات وقف إطلاق النار المطروحة على الطاولة بعد الحرب قد وضعت قبل ذلك. ومن هذا المنطلق فإن التدمير لم يحقق شيئاً ".²¹¹ وليس مفاجئاً أن الدعوة إلى "جولة ثانية" والتي تم التصويت عليها مباشرة لا يدعو إلى الدهشة والاستغراب. وقال عضو في مجلس محلي اسرائيلي متناخم لقطاع غزة هو مثال واحد : " ينبغي على قواتنا ان تسمح غزة وتحولها إلى ساحة لانتظار السيارات، وتدمرهم".²¹² في النهاية ، انتهت ما يسمى "الحرب على حماس" من دون تقويض قبضة الاسلاميين على غزة مما أدى إلى رفع مداهم ووزنهم الاقليمي. وقد لخص مسؤول سابق في وزارة الخارجية: "لم تكن هناك حرب. حماس جلست في الملاجئ وخرجت منها عند انتهاء كل شئ لاستئناف اطلاق الصواريخ التي وصلت إلى عشرين صاروخ في اليوم الواحد ، ومهاجمة الجنود الاسرائيليين على المعابر. فبعد مقتل 1300 شخص ، لا شيء تغير ".²¹³

سياسيا ، فإن التداعيات تبدو مثيرة للقلق بنفس الدرجة على الأقل. لقد ضربت سمعة اسرائيل، حيث التساؤلات التي طرحت في أوروبا وأماكن أخرى حول سير الحرب ؛ فقد أنتقدت كلاً من تركيا وقطر والذنان يتمتعان بالعلاقات مع اسرائيل ، أنتقدتها بشدة.²¹⁴ في الأسابيع اللاحقة ، اتهمت المنظمات الدولية لحقوق الانسان اسرائيل بارتكاب جرائم حرب ، ودعت إلى إجراء تحقيقات

ضربات جوية على رفح وشبكة انفاق قرب خان يونس. مقابلة مجموعة الازمات ، مسؤول في الامم المتحدة ، القدس ، 14 فبراير 2009.²¹⁰ "ليس من السهل السيطرة على شبه جزيرة سيناء. لان القبائل يعرفون الأرض أفضل من أي مراقبة دولية ". مقابلة مجموعة الازمات، مسؤول اممي اسرائيلي ، تل أبيب ، 4 فبراير 2009. "وفي الوقت الراهن ، ليس هناك وسيلة تكنولوجية لمنع تهريب الأسلحة وغيرها. التكنولوجيا الألمانية والقوات الدولية لن تكون فعالة ". مقابلة مجموعة الازمات ، رئيس مجلس الأمن القومي السابق للرئيس جيورا ايلاند ، القدس ، 14 يناير 2009. "اذا كان الحصار الاسرائيلي لم يستطع ان يمنع الاتجار في البحر بعد عقود من الخبرة ، فكيف يمكن لأسطول أجنبي في منطقة البحر الأبيض المتوسط؟" مقابلة مجموعة الازمات، وزير الشؤون النووية وسياسي في حزب ليكود والمخابرات دان مريدور ، تل أبيب ، 20 يناير 2009 . تبين ان قصف اسرائيل لرفح ذات تأثير محدود ايضا. ورغم ان اسرائيل ادعت انها دمرت ما بين 40 و 80 % من الانفاق تحت الارض وخطوط الإمداد - بينها مد أنبوب نفط -التي كانت تعمل ساعات بعد الحرب. مقابلة مجموعة الازمات ، مسؤول في الامم المتحدة ، القدس ، 21 يناير 2009.

²¹¹واضاف : "ان صفقة التهدة [هدنة] التي نتبعتها في فترة ما بعد الحرب كانت متاحة دون اللجوء إلى الوسائل العسكرية قبل الحرب، بما في ذلك مشكلة الانفاق في رفح - لان ذلك يمثل مشكلة بيننا وبين المصريين. ان العملية عادت بنا إلى نقطة الصفر ". مقابلة مجموعة الازمات، ماتي شتاينبرج ، القدس ، 22 فبراير 2009.

²¹²مقابلة مجموعة الازمات، مسؤول المجلس الاقليمي اشكول، القدس، 20 و 26 يناير 2009.

²¹³مقابلة مجموعة الازمات، مسؤول سابق، مدينة ميفاسيريت الواقعة وسط اسرائيل، القدس، 1 فبراير 2009. واطاف: " كنا نأمل ان الحرب من شأنها أن تزيل حق النقض لحماس من عملية السلام، ولكن شيئاً لم يحدث. عباس لا يزال غير قادر على الذهاب إلى غزة ، والمآزق مستمر ".²¹⁴

يعتبر اردوغان ،رئيس الوزراء لواحد من اقرب الحلفاء الاقليميين لاسرائيل وكبار المقاصد السياحية، فقد طالب بطردها من الامم المتحدة. قامت قطر بتعليق العلاقات الاقتصادية. الأردن اخر عودة سفيره إلى اسرائيل.

الصعيد الثنائي مع مصر والمتعدد الأطراف مع القوى الغربية.²⁰⁴ وباقتراب نهاية الحرب، قامت مصر بتعزيز قواتها في سيناء من اجل تشديد المراقبة على الحدود.²⁰⁵ وفي مشهد غني بالرمزية وإن ينقصه الحس العملي فقد قامت اسرائيل بتوقيع مذكرة تفاهم مع الولايات المتحدة لمنع تهريب الاسلحة الى غزة ، في حين أن الدول الأوروبية التزمت علنا المساعدة لمنع إعادة تسليح حماس.²⁰⁶ وحسب قول مسؤول مجلس الامن الوطني:

لايمكننا المجازفة الان لأن تهريب اسلحة جديدة من ايران إلى غزة قد يتضمن صواريخ طويلة المدى 200 كم ومن شأنها أن تصل إلى كل مكان في اسرائيل. هل ترى كيف قام حزب الله بزيادة ترسانته من الاسلحة الى ثلاثة أضعافها بعد حرب 2006؟ وإذا حدث ذلك ، فان على اسرائيل الاستيلاء على غزة كلها.²⁰⁷

وبمرور الوقت، ونمو وتشكل البعض من التقييم . فقد زادت الشكوك. أن الوعود بواقع جديد في الجنوب غير قادرة على الصمود. فالعريف شاليت الذي اسر في 2006، مازلا اسيرا، والصواريخ - من الطرازين البسيط وذي المدى البعيد - مازالت تطلق بصورة دورية ، وتصل باتجاه الشمال الى اشدود وتتعداها.²⁰⁸ في الواقع وخلافا للوضع بعد حرب لبنان ، فان كلا الجانبين مازالا يتبادلان اطلاق النار²⁰⁹ وكما هو الحال في لبنان

الاسرائيليون عن تأكيد أو نفي هذا التقرير على الرغم من ان بعدها بفترة وجيزة قال رئيس الوزراء اولمرت، "نعمل في كل مكان حيث يمكننا ضرب البنية التحتية للارهاب. في أماكن قريبة ، وكذلك في أماكن بعيدة". هارتس ، 26 مارس 2009.

²⁰⁴اصرنا على وقف [الحرب] فقط عندما تمكنا من التوصل الى اتفاق مع مصر [بخصوص تهريب الاسلحة الى قطاع غزة]. هذه اتفاقية مفصلة ومكتوبة كل شيء موثق وصولا الى البند الأخير ، بالتزاماتهم ، أفعالهم ، والجهود ، والتفاهمات مع الاميركيين والاوروبيين. لم يكن هناك شيئاً مثل هذا من قبل ". رئيس الوزراء الاسرائيلي ييهود اولمرت ، معاريف ، 23 يناير 2009.²⁰⁵مقابلة مجموعة الازمات، مسؤول اسرائيلي، القدس، 19 يناير 2009، انظر هاريتز ، 23 يناير 2009.

²⁰⁶قدمت فرنسا حاملة طائرات هليكوبتر للقيام بدوريات في جنوب شرق البحر الأبيض المتوسط. والولايات المتحدة وألمانيا ملتزمة بتوفير الأفراد والتكنولوجيا للمساعدة في الجهود التي تبذلها مصر لكبح التهريب عبر الانفاق طوال 14 كم عبر ممر فيلادلفيا على الحدود بين مصر وقطاع غزة. ان ارسال مهندسين امريكان جاء تبعا للمذكرة الموقعة في 16 يناير والتي وقعت من قبل كل من وزيرة الخارجية ليفني ووزيرة الخارجية المنتهية ولايتها كوندوليزا رايس. وقال مسؤولون اسرائيليون ان القوى الغربية وافقت ايضا على اتخاذ المزيد من التدابير لوقف امدادات السلاح التي تمتد الى الجنوب على طول درب الاربعين وهو طريق وادي النيل عبر القرن الأفريقي الى المحيط الهندي. وقد عقدت اجتماعات عديدة بخصوص قضية تهريب الأسلحة : 5 مؤتمر فبراير 2009 في كوبنهاغن ادى إلى اتفاق من قبل كندا ، الدنمارك،فرنسا ،ألمانيا ،إيطاليا، هولندا، النرويج والولايات المتحدة لتتسيق التدابير لوقف التهريب عبر انفاق غزة وعن طريق البحر ، بما في ذلك اعتراض السفن التي يشتبه في أنها تحمل شحنات الأسلحة.

²⁰⁷مقابلة مجموعة الازمات، مسؤول اممي، القدس، 20 يناير 2009.

²⁰⁸ تمتد صواريخ حماس مسافة 45كم من حدود غزة الى الجديرة، وهي منطقة كانت تعتبر محصنة. ستوارت كوهين "لا جدوى من عملية الرصاص المنهمر" ، مركز بيسا للوثائق التطويرية رقم 68 ، 16 فبراير 2009. اعتبارا من 2 أبريل 2009 ، اعلنت العسكرية الاسرائيلية ان النشطاء أطلقوا أكثر من 180 صاروخا من غزة منذ قرار 18 يناير 2009 لوقف إطلاق النار. www.sderotworldmedianetworks.com

²⁰⁹على سبيل المثال ، في 13 فبراير 2009 قام نشطاء في غزة باطلاق ثلاثة صواريخ وقذائف هاون على جنوب اسرائيل ، وقد ردت اسرائيل بشن

والوطنية، وسع كتلته اليمينية من 50 مقعدا بعد انتخابات عام 2006 إلى 65 في عام 2009. اما حزب كاديما وهو من احزاب الوسط والذي أنشئ من قبل رئيس الوزراء السابق ارييل شارون، وفاز باكثر عدد من المقاعد (28) فقد جذب اصوات من اليمين واليسار على حد سواء. اما الحزبين الصهيونيين اليساريين، العمل وميرتس، فانخفضت مقاعدهما من 25 إلى 16 مقعدا - وذلك بعد ان دافعا على الهجوم على غزة. اما الأحزاب العربية الثلاثة التي عارضت الحرب في غزة، فقد حافظت على ما يقرب من 10 % من الاصوات.²¹⁹

لم يحصل أي من الأحزاب الاثني عشر في الكنيست على الربع من مقاعد الكنيست الـ 120، لقد سمحت النتائج باحتمالية تشكيل بضعه تحالفات محتملة. ففي ليلة الانتخابات، ادعى كل من كاديما والليكود النصر، تسيبي ليفني كرئيسة أكبر حزب وبنيامين نتانياهو كرئيسا لأكبر كتلة. بعد عشرة أيام من المناورات، اذعن الرئيس الاسرائيلي شيمون بيريز للامر الواقع وقام بتكليف نتانياهو بتشكيل الحكومة. لقد كان خيار نتانياهو الواضح حيث صرح بضرورة تشكيل حكومة موسعة تضم يسار الوسط.²²⁰ وخلال توليته الاولى كرئيسا للوزراء بين الفترة 1996-1998، دفع ثمن عدم استقرار الائتلاف اليميني وعلاوة على ذلك، فقد انهى رئاسته للوزارة بتوتر العلاقات مع الولايات المتحدة، لذا فانه لا يرغب في بدء ولايته الثانية على نفس المنوال.

بعد اسابيع من المحادثات قام بتقديم عرض سخيا لحزب العمل وهو رابع أكبر حزب - خمس وزارات من بينها الدفاع.²²¹ ففي انتخابات 24 مارس 2009 العاصفة والتي هددت بتقسيم الحزب،²²² صوت حزب العمل للانضمام الى التحالف. لا ينبغي أن يكون تطورا مذهلا كهذا مفاجأة كبيرة. حسب قول مسؤول كبير سابق، ان باراك " ممكن ان يكون في الواقع يساري ولكنه يميني بالغريزة."²²³ ان عدم ثقته بالفلسطينيين وشكته بكل من عباس والسلطة الفلسطينية فضلا عن ذلك تفضيله التوصل الى حل مع سوريا جعلته شريكا طبيعيا لنتانياهو، بالرغم من العديد من

²¹⁹ وقال "ان المعنى واضح من نتائج الانتخابات هو انتصار للقومية اليهودية على المعسكر الليبرالي معسكر اليسار". ايمانويل شيلو رئيس تحرير صحيفة بير شيفا الوطنية الدينية الأسبوعية، 13 فبراير 2009. "خلافًا لما حدث في 2006، فإن معسكر الصقور ضعف حجم معسكر الحماة اليهودية". مقابلة مجموعة الازمات، ريتوفين حزان، أستاذ العلوم السياسية، الجامعة العبرية في القدس، 27 يناير 2009.

²²⁰ وهناك حكومة ذات قاعدة واسعة من المحتمل ان تدرج الليكود، كاديما، اسرائيل بيتنا، وشاس وحزب التوراة اليهودية المتحد، وهو تحالف يبلغ مجموعها 86. مجموعة الازمات الدولية، مسؤول سابق في الكنيست، القدس، 19 فبراير 2009.

²²¹ وبموجب الاتفاق، يحتفظ باراك بوزارة الدفاع والعمل يكسب اربعة مناصب وزارية، بما في ذلك الزراعة، والتجارة والصناعة والرعاية الاجتماعية. وقد تعهد نتانياهو بالالتزام بجميع الاتفاقات الدولية السابقة، وأكد انه سيواصل السلام، ولكن دون أن يوافق (لحد الان) رسميا على التسوية القائمة على دولتين. هارتس، 24 مارس 2009.

²²² بالرغم من المعارضة الشديدة داخل حزب العمل على الانضمام للائتلاف، فقد وافق ستة من الثلاثة عشر من اعضاء حزب العمال في البرلمان، وغالبية اعضاء الحزب. وقال منافس لباراك شجب قراره بالانضمام الى نتانياهو، أنه يأتي نتويجا لحملة مداها عقد من الزمن. واذاف "في مفاوضات كامب ديفيد 2000، دمر باراك أيديولوجية السلام لدى اليسار قائلا انه لا يوجد شريك فلسطيني، بعد مرور عقد من الزمن، انضم الى خصوم اوسلو". مقابلة مجموعة الازمات، ناشط في حزب العمل، القدس، 26 مارس 2009.

²²³ مقابلة مجموعة الازمات، 26 مارس 2009.

مستقلة بشأن سلوكها خلال الحرب،²¹⁵ وقد حصلت هذه التهم على المزيد من الاهتمام الدولي عندما تقدم الجنود الإسرائيليون بأنفسهم للشهادة على التجاوزات.²¹⁶ وكما عبر عن اسفه مسؤول اسرائيلي كبير سابق: "ما زلنا نعرف كيف نشن الحروب. ولكن على ما يبدو اننا فقدنا القدرة على الفوز بها".²¹⁷

ب. الانتخابات : ضربة إلى اليمين

بلرغم من ان الحرب ساهمت في صياغة نتائج انتخابات فبراير 2009، ولكن حدود تأثيرها ليست واضحة تماما. فمن بين الحزبين اللذين شنهما، وهما كاديما والعمل، تقوى الاول وضعف الثاني. ولقد استفادت المعارضة في الجناح اليميني، بالرغم من ان الليكود حصل على اقل من المتوقع من حزب اسرائيل بيتنا - وهو ذو رهبة للاجانب - ولو انه يدعم حل الدولتين - حصل على اكثر من ذلك بقليل.²¹⁸ وأشارت النتائج بوضوح الى التحول الى اليمين -، والانهيار التاريخي للييسار الصهيوني - على يد الناخبين الذين على ما يبدو خاب امهم بعملية السلام. وفي الوقت نفسه، فالبعض من اطراف اليمين واليمين الوسط قاموا بادخال بعض المبادئ الأساسية من اليسار، بما في ذلك الحاجة لقيام دولة فلسطينية.

ان الليكود، وهو اكبر حزب يميني في اسرائيل، والذي تأسست في عام 1973 من قبل رئيس الوزراء السابق مناحيم بيغن، وزادت حصته في الكنيست من 12 الى 27 مقعدا، جنبا إلى جنب مع القوميين المتطرفين والتمدين المتشددين والأحزاب الدينية

²¹⁵ ذكرت منظمة هيومن رايتس ووتش "استخدام المدفعية الثقيلة الشديدة الانفجار فضلا عن ذخيرة الفوسفور الأبيض التي تنفجر في الجو في المناطق المكتظة بالسكان، إطلاق النار على المدنيين العزل والحاملين لرايات بيضاء؛ استهداف الهياكل المدنية وعدم تحذير المدنيين بما يكفي لاعلامهم بالهجوم الوشيك، والتدمير المتعمد لممتلكات المدنيين". اما بالنسبة لسلوك حماس فقد اشارت المنظمة الى "اطلاق الصواريخ عمدا وعشوانيا على المناطق المدنية في اسرائيل؛ إطلاق الصواريخ والقيام بعمليات عسكرية من داخل المناطق المأهولة بالسكان في غزة، وضرب وقتل الفلسطينيين المعارضين والمنقذين السياسيين في غزة". بيان صحفي، 16 مارس 2009. وانظر أيضا: "مطر من النار: استخدام إسرائيل غير المشروع للفوسفور الابيض في غزة" لمنظمة العفو الدولية 23 فبراير 2009 نشرة صحفية؛ التقارير الأسبوعية من المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان، والرسل السادسة عشرة من خبراء حقوق الانسان والتي دعت الى اجراء تحقيق دولي في سلوك إسرائيل في غزة على الموقع: www.amnesty.org.uk/news_details.asp?NewsID=18109 وردت اسرائيل على أن استخدام القوة في غزة يعتبر دفاعا مشروعاً عن النفس. وكان مجلس الامم المتحدة لحقوق الانسان قد عين المدعي العام الدولي السابق ريتشارد غولدستون لقيادة التحقيق. وكالة فرانس برس، 3 أبريل 2009.

²¹⁶ في الحلقة الدراسية لجيش الدفاع الاسرائيلي وللصحفيين بعد ذلك، شهد الجنود بخصوص التجاوزات في ساحة المعركة، وبالرغم من، وفي تحقيق لاحق اجري من قبل الجيش الاسرائيلي والذي قام بنفي هذه الاتهامات بوصفها شائعات لا سند لها. انظر، على سبيل المثال، هارتس، 19-20 مارس 2009، بيان لجيش الدفاع الاسرائيلي، 30 مارس 2009. بعد عاصفة في وسائل الإعلام باسرائيل، قام بعقد ندوة عن نفسه قل من حجم هذه الانتهاكات. جيروزاليم بوست، 7 أبريل 2009

²¹⁷ مقابلة مجموعة الازمات، مسؤول اسرائيلي سابق وضابط امني، فبراير 2009.

²¹⁸ الجمهور يعتبر الحرب على انها نجاح، ولكن في النهاية فان الجناح اليميني المعارض استفاد. مقابلة مجموعة الازمات، مناحيم هوفمان، أستاذ العلوم السياسية، الجامعة العبرية في القدس، 27 يناير 2009.

وفعالية محادثات الوضع النهائي التي كانت تشكل جزءا من عملية أنابوليس ، على اعتبار ان أي صفقة من هذا القبيل لم تكن ممكنة في هذا الوقت.²³⁰

ان التحالف لن يخلو من التوترات والتناقضات الداخلية - بين الأجنحة الدينية والعلمانية، بين الدوائر التي تتنافس على نصيب أكبر من الميزانية الحكومية المتناقصة، وبين الرغبة في تجنب التوتر مع الولايات المتحدة والتردد في تلبية المطالب الدولية، وخاصة فيما يتعلق ببناء المستوطنات. و يبدو أن التزام رئيس الوزراء الجديد الصمت يعكس الى حد كبير هذه المعضلات، و الحد من البيانات السياسية التي تتجاوز المواقف العامة و غير الملزمة. ومع ذلك ، فإن السياسة المرجحة يجب أن تبنى على ركائز عدة.

النهج المتصاعد من الضفة الغربية اما على الجبهة الفلسطينية ، تمثل فكرة نتتياهو في "السلام الاقتصادي" المحور الساس في برنامجه. فهو يعد بأن يكون أكثر استعدادا من أسلافه في ضمان ازدهار الضفة الغربية من خلال زيادة مرور وحركة الفلسطينيين، وكذلك من خلال تطوير برامج اقتصادية طموحة،²³¹ مشيرا الى ان كل ما قدموه من الحديث عن حل الدولتين ، فان ماقام به أسلافه كان ضئيلا بحيث لا يذكر على أرض الواقع. وحسب قول احد المستشارين "ان حكومة أولمرت قضت 99 % من وقتها من اجل التوصل الى اتفاق مستقبلي، ولكنها لم تقدم شيئا ملموسا. فبدلا من العمل من أعلى إلى أسفل ، فاننا نريد تغيير الوضع على الأرض".²³² وقد تحدث الوفد المرافق له عن عملية تسريع نقل المسؤولية الى قوات الامن الفلسطينية المدربين وفقا لبرنامج دايتون التي ترعاها الولايات المتحدة،²³³ مع توسيع الجهود المبذولة في كل من نابلس، جنين، و طولكرم.

ويؤكد مساعدو نتانياهو انه سيقطع الخط الاحمر ، وسيضغط على "الجيش من اجل تحرك اسرع" ، ولا سيما عن طريق إزالة الحواجز غير المبررة بالاهتمامات الأمنية.²³⁴ وحسب قول احد المستشارين "حيثما أمكن ذلك ستزيل إسرائيل نقاط التفتيش، وستزيد الاستثمار من اجل تسهيل زيادة الصادرات".²³⁵ يؤكد مساعدو نتانياهو اجتماعاته المتكررة مع مبعوث اللجنة الرباعية رئيس الوزراء البريطاني السابق توني بلير ، لمناقشة ما يقرب

منظمين. والسؤال هو لماذا على المرء ان يعطي اي حركة سياسية، مقارنة بدولة ما لا تستطيع تنفيذ. مقابلة مجموعة الازمات، مارس 2009.²³⁰ مقابلة مجموعة الازمات، احد مستشاري باراك، تل ابيب، أيار 2008.²³¹ مقابلات مجموعة الازمات، مستشاري نتتياهو، أيار 2008-مارس 2009.²³² مقابلة مجموعة الازمات، ورون درمر احد مساعدي نتانياهو القدس، 23 فبراير 2009. انظر يعقوب كاتز، "الامن والدفاع، اشغال الخيار الصعب"، *The Jerusalem Post*، 12 فبراير 2009. ومن المفارقات أن وزير الدفاع في حكومة أولمرت الذي كان مسؤولا عن هذه القرارات التي اتخذت في الضفة الغربية الآن يحمل نفس الموقف في حكومة نتتياهو. يرى زملاؤه بأنه سيكون له موقف أكثر انفتاحا. مقابلة مجموعة الازمات، مسؤول اسرائيلي سابق، مارس 2009.²³³ الفريق كيث دايتون المنسق الامني الامريكي لاسرائيل والسلطة الفلسطينية ، يشرف على البدء وتدريب قوات السلطة الفلسطينية في الضفة الغربية.²³⁴ مقابلة مجموعة الازمات، رون درمير، القدس، 23 فبراير 2009.²³⁵ مقابلة مجموعة الازمات، يوفال شتاينتز، عضو الليكود في البرلمان ووزير المالية حاليا، القدس، 22 فبراير 2009.

الاختلافات السياسية الهامة.²²⁴ بالاضافة الى ذلك، بالنسبة لباراك ، والكثيرين في حزب العمل، فإن المكان الطبيعي للحزب هو في السلطة وليس في المعارضة. ونفس الشيء بالنسبة لنتتياهو والذي لديه سبب وجيه لجذب المنافس السابق. ان وجود حزب العمل داخل الائتلاف يعني ترسيخ الائتلاف وتجنب وجوده تحت رحمة الجناح اليميني على الدوام ولتحسين صورة الحكومة في واشنطن والكثيرين في الغرب.²²⁵

وبهذا انضم العمل الى الليكود ، اسرائيل بيتنا (حزب قومي علماني يمثل في المقام الأول الناخبين الروس في إسرائيل والتي تجتذب المواطنين الشباب الإسرائيليين بفضل الحملة التحريضية ضد المواطنين العرب في البلاد) ، شاس (حزب يقوده الشرقيين المتدينين المتشددين)، وحزب التوراة اليهودية الموحد (حزب الاشكيناز المتشدد)، وحزب اليهودية الرئيسية (فرع الدولانية للحركة الصهيونية الدينية) في تشكيل الحكومة الجديدة.

ج. ما الذي يمكن أن تفعله الحكومة الجديدة؟

هناك عدة عوامل تحدد النهج المرجح للحكومة: وزن الاحزاب اليمينية، المعادية للتسوية السياسية مع الفلسطينيين او سوريا والحائزة على دعم المستوطنين؛ واقعية نتتياهو النسبية - حيث سبق عندما كان في منصبه أن وافق مرتين على الانسحاب من الأراضي المحتلة، والذي بالرغم من معارضته المسبقة لعملية أوصلو،²²⁶ وقام باجراء محادثات سرية مع سوريا²²⁷ - مصحوبة بميله إلى تحقيق التوازن بين هذه الخطوات التي يصاحبها أحيانا اجراءات متهوره في كثير من الأحيان لإرضاء الجهة اليميني²²⁸، في معارضة رئيس الوزراء لاستعداد واشنطن : وتكثيف القلق بشأن برنامج ايران النووي. وكما هو ملاحظ ان نتانياهو ووزير دفاعه باراك يشكون في قدرة السلطة الفلسطينية على اتخاذ إجراءات فعالة ، وبالتالي فانه من الحكمة التخلي عن سلطتها - وقد تراجع هذا الاعتقاد قليلا بالتطورات الأخيرة في الضفة الغربية.²²⁹ ان باراك نادرا ما يخفي أسئلته عن المنطق

²²⁴ على سبيل المثال، خلال المفاوضات مع الفلسطينيين عام 2000، قبل باراك الحلول الوسط التي سيكون من الصعب على نتانياهو وحلفائه التفكير في هذا الوقت.

²²⁵ بينما عرض حزب الليكود على حزب كاديفا عدد متساو من المناصب الوزارية، اصرت ليفني على الاتفاق على تناوب منصب رئيس الوزراء بعد سنتين ، كما ان الطرفين لم يتمكنا من الاتفاق على برنامج سياسي، كما رفض نتتياهو صراحة تأييد حل الدولتين . مقابلة مجموعة الازمات، احد مساعدي نتتياهو، القدس، 19 مارس 2009. ان الفشل المحتمل لمحادثات السلام مثل نتيجة ليفني إلى حد كبير في القناعة بأن موقف الحزب سيكون افضل اذا كان على رأس المعارضة (وهو رأي لا يوافق عليه عدد من زملائها)

²²⁶ في يناير 1997، وافق نتتياهو على انسحاب جزئي من الخليل وفي أكتوبر 1998 وقع اتفاق واي متعهدا بالحكومة للمزيد من اعادة الانتشار الجزئي في الضفة الغربية.

²²⁷ انظر تقرير الشرق الاوسط لمجموعة الازمات رقم 63، اعادة بدء المفاوضات الاسرائيلية السورية، 10 ابريل 2007.

²²⁸ يوم 26 فبراير 1997، وافقت حكومة نتتياهو على بناء 6500 وحدة جديدة في القدس الشرقية في هار حوما. بدأ البناء في مارس 1997. بيان صحفي لمجلس الأمن SC/6332، 6 مارس 1997.

²²⁹ وحسب قول مسؤول كبير سابق، "ان طريقة فهم الحكومة الجديدة هو الشك العميق تجاه الفلسطينيين والتفاوض معهم. وخلافا لمصر والأردن وسوريا فانها ليست حكومة بالمعنى ولذلك فانهم غير موثوقين الجانب وغير

أي من الذين سبقوه من اليسار او الوسط".²⁴⁰ اما بالنسبة لزمان شوفال ، مستشار نتانياهيو للسياسة الخارجية "فان الولايات المتحدة وافقت على ان اسرائيل تستطيع الابقاء على الكتل الاستيطانية، ولذلك فإننا لا نرى أي إجبار على أحد من ما نقوم به داخلها".²⁴¹ فاذا ما اخذت الضغوط الاميركية بنظر الاعتبار، فمن الممكن ان نتصور قيام الحكومة بتجميد بعض من أكثر المشاريع تضخما داخل وحول القدس الشرقية ، على الرغم من انه تاريخيا لا يمكن توقع الكثير. يمكن القول انه كلما قل الضغط عليه بخصوص قضايا الوضع النهائي ، كلما سيكون رئيس الوزراء على استعداد للاستمرار في تفكيك البؤر الاستيطانية ووقف إنشاء المستوطنات.

الاستئناف الحذر لمحادثات الوضع الدائم. لقد أبدى نتانياهيو شكوكا عميقة بشأن الحكمة من إجراء مفاوضات الوضع النهائي مع الفلسطينيين في هذا الوقت، وبدلا من ذلك فان دعم نهج يتصاعد من القاعدة الى الاعلى والمذكور أعلاه. في أول يوم من توليه المنصب ، سخر وزير الخارجية افغدور ليبرمان (اسرائيل بيتنا)، من عملية أنابوليس ، وشكك بالنهج التقليدي لعملية السلام الاسرائيلية الفلسطينية مشيرا الى خارطة الطريق ونهجها المتتابع الذي يؤدي الى محادثات الوضع النهائي.²⁴² وقد ابلغ نتانياهيو أيضا مسؤولون أوروبيون رفيعي المستوى بان اي تقدم مع الفلسطينيين ينبغي أن يتبع التعامل مع التهديد النووي الايراني ولا يسبقه.²⁴³ وبذلك ، فإن رئيس الوزراء الجديد على اطلاع بالساحة الدولية وبضغط الولايات المتحدة والاوروبيين الذي لا مفر منه في هذا الصدد.²⁴⁴

وكما أوضح أحد المستشارين، "ان نتانياهيو لعب على الحبلين، "فمن ناحية قاوم طلبات اليمين برفض الدولة الفلسطينية ومن ناحية أخرى الطلبات من ليفني للرد بالايجاب"²⁴⁵ وبدلا من ذلك

من 30 من المشاريع الاقتصادية التي ينوي تنفيذها على وجه السرعة، فضلا عن امله في استئناف الخطط من قبل المبعوث الاميركي جورج ميتشل والذي كما لاحظوا قد بدأ وساطته في ايرلندا الشمالية من خلال التركيز على الشؤون الاقتصادية.²³⁶

ان قضية المستوطنات تقف في طريق مثل هذه الخطط. فمن الممكن أن تصبح من اولويات الادارة الاميركية الجديدة ونقطة اشتعال في العلاقات مع اسرائيل. لقد اوضح أعضاء التحالف في الجناح اليميني بانهم سيضغطون من أجل توسيع المستوطنات الى الشرق كما هو الحال الى الغرب من الجدار الفاصل و في القدس الشرقية، وأنهم قد يعترضون على ازالة المواقع الاستيطانية غير المشروعة التي ارتكبتها اسرائيل كجزء من خريطة الطريق التي وضعتها اللجنة الرباعية في عام 2003. في حين يتوقع أن تلتزم حكومة نتانياهيو بعدم إنشاء مستوطنات جديدة فان مسألة توسيع المستوطنات القائمة حاليا ستكون محفوفة بالمصاعب.²³⁷

ولمواجهة الازدحام الناجم عن ارتفاع معدلات الخصوبة، يحث السكان الاصوليين المتشددين الحكومة للحد من معارضة "النمو الطبيعي" في بيتار عيليت ومودين عيليت والذين تنمو كتلهم الاستيطانية عبر الخط الاخضر.²³⁸

ان المعضلة ستكون حادة بالنسبة لنتانياهيو، ما بين اثاره التوتر مع الولايات المتحدة أو التفريط بدائرته وشركائه في الائتلاف.²³⁹ وحسب قول احد الاسرائيليين الذين تربطهم علاقة برئيس الوزراء "ان نتانياهيو لا يريد أزمة مع واشنطن. الا انه سيكون من الصعب عليه أن يكون أكثر صرامة بخصوص المستوطنات من

²³⁶مقابلة مجموعة الازمات، رون درمير، القدس، 20 مارس 2009. وكما اوضح مسؤول مساعدات دولية ان "نتانياهيو عرض المزيد من الاهتمام في خرائط العقبات أكثر من خرائط الحركة التي عرضت عليه، وكان اقل صبرا مع مبررات مستشاريه الأمنيين، من أي سياسي اسرائيلي آخر عرفناه من قبل". مقابلة مجموعة الازمات، القدس، مارس 2009. اللجنة الرباعية المؤلفة من الولايات المتحدة، الاتحاد الأوروبي، روسيا والأمن العام للأمم المتحدة، هو مجموعة غير رسمية أنشئت أصلا في عام 2002 لدفع عملية السلام الاسرائيلية الفلسطينية.

²³⁷مقابلة مجموعة الازمات، زمان شوفال، سفير اسرائيل السابق لدى الولايات المتحدة ومستشار السياسة الخارجية لنتانياهيو، تل أبيب، 20 مارس 2009. وكما بين مسؤول كبير سابق على النحو التالي : "نتانياهيو يمكن أن يوافق على وقف الاستيطان وعدم بناء أي مستوطنة جديدة. ولكن هذه الحكومة ستواجه وقتا صعبا في الابقاء على النمو الطبيعي في جميع أنحاء الأراضي المحتلة". مقابلة مجموعة الازمات، مارس 2009. وعلق مراقب اسرائيلي أنه ينبغي زيادة الضغوط الاميركية، للحصول على موافقة نتانياهيو على اخلاء واحد أو أكثر من موقع غير مصرح به من اجل اثبات حسن نيته واطهار مازقه السياسي. "ان مشاهد الاحتجاج والمقاومة العنيفة من قبل المستوطنين يمكن أن تشتتري الحكومة الجديدة وقتا ثمينا. بعد هذه الحوادث من المحتمل ان تعطي واشنطن نتانياهيو مهلة". مقابلة مجموعة الازمات، مارس 2009. خلال الحملة الانتخابية بدت تصريحات رئيس الوزراء أكثر صرامة. فقد انتقد نتانياهيو بقوة اتفاقات اسرائيل السابقة، بما فيها شروط خارطة الطريق بخصوص تجميد الاستيطان، وقال للناخبين : "لن ابقى على التزامات اولمرت بالانسحاب، ولن اخلي المستوطنات. هذه المفاهيم هي باطلة وغير مهمة". هارتس، 1 يناير 2009.

²³⁸مقابلة مجموعة الازمات، يعقوب مارغي، وزير الشؤون الدينية وعضو شاس في البرلمان، القدس، 6 ابريل 2009.
²³⁹وحسب قول مسؤول سابق، بالنسبة لبعض الشركاء في تحالف الجناح اليميني، "ان ضمان توسيع المستوطنات يعتبر امرا حيويا أكثر من نقادي أزمة بالالعلاقات مع الولايات المتحدة". مقابلة مجموعة الازمات، مارس 2009.

²⁴⁰مقابلة مجموعة الازمات، احد مستشاري نتانياهيو، مارس 2009.

²⁴¹مقابلة مجموعة الازمات، تل أبيب، 20 مارس 2009.

²⁴² "هناك وثيقة واحدة تربطنا، وليس مؤتمر أنابوليس ولا صحة لها... وانا صوتت ضد خطة خارطة الطريق، ولكن هذه كانت الوثيقة الوحيدة التي وافق عليها مجلس الوزراء ومجلس الأمن... ولذلك سنتصرف وفقا لخارطة الطريق تماما... أنا لن اوافق أبدا على تنازل كل منا عن الشروط - اعتقد ان هناك 48 شرطا - والذهاب مباشرة إلى الشرط الاخير، المفاوضات بشأن تسوية دائمة... سنلتزم تماما بما هو مكتوب. الشروط احد، إثنان، ثلاثة، أربعة - تفكيك المنظمات الإرهابية، وإقامة حكومة فعالة، التغيير الدستوري الجزري في السلطة الفلسطينية. سنمضي على وجه التحديد وفقا للشروط. ونحن أيضا ملتزمين بتنفيذ ما هو مطلوب منا في كل بند ، وكذلك الحال بالنسبة للجانب الآخر". افغدور ليبرمان ، في حفل تنصيبه يوم 1 أبريل 2009. موقع وزارة الخارجية الاسرائيلية على شبكة الإنترنت: www.mfa.gov.il/MFA/About+the+Ministry/Foreign_Minister/Speeches/Statement_by_incoming_FM_Avigdor_Liberman_1-Apr-2009.htm.

²⁴³وقفا لأحد المسؤولين، قال رئيس الوزراء : "لا جدوى من السعي لإبرام اتفاق مع الفلسطينيين اذا كنا سنواجه تهديدا وجوديا من ايران في اليوم التالي. نحن بحاجة إلى معالجة البعد الإقليمي أولا". مقابلة مجموعة الازمات، أبريل 2009.

²⁴⁴عند زيارته لتركيا في 6 ابريل، رد الرئيس أوباما مباشرة على رفض ليبرمان لأنابوليس، قائلا ان الحل القائم على دولتين يعتبر "هدفا مشتركا للفلسطينيين والاسرائيليين، وأصحاب النوايا الحسنة في أنحاء العالم. ان الهدف هو الذي اتفقا عليه في خارطة الطريق وفي أنابوليس. وهذا هو هدف الذي ساتابعه بنشاط كرئيس". هارتس، 6 أبريل 2009

²⁴⁵مقابلة مجموعة الازمات، رون درمير، القدس، 20 مارس 2009.

الفلسطينية "249 من المشكوك فيه انه بالامكان اتخاذ التدابير الدولية لوقف تهريب الاسلحة، وان البعض من اليمين حثوا القوات الاسرائيلية لاستعادة السيطرة على ممر فيلادلفيا الفاصل بين غزة ومصر و جزء كبير من رفح للقضاء على التدفق عبر الانفاق. ويخشى الكثيرون من وقف رسمي لإطلاق النار مع حماس والذي من شأنه أن يوفر شرعية غير مرغوب فيها لالتقاط الأنفاس من أجل تعزيز قواتها، بينما يحد من قدرة اسرائيل على التصرف،²⁵⁰ وعلاوة على ذلك، ونظرا لموقف اولمرت، سيكون من المستحيل سياسيا لنتنياهو فتح المعابر من دون اطلاق سراح شاليط.

وبقول ذلك ، فإنه ليس من الواضح ان نتياهو - ناهيك عن باراك - سيكون حريصا على استئناف القتال في غزة.²⁵¹ ان المؤسسة العسكرية تشك بشكل كبير في امكانية الاطاحة بحماس²⁵² والقلق من أن عدم التوصل إلى وقف لإطلاق النار يحول الانتباه والطاقة من الجبهات الأكثر أهمية، لا سيما ايران.²⁵³ ونتيجة لذلك، فباستطاعة الحكومة أن تسعى للحفاظ على الأقل، لفترة معينة، الوضع الحالي للضغط الاقتصادي وفقا لإجراءات حماس مع القيام باعمال عسكرية بين الحين والآخر. ولكن اذا استمر تهريب الاسلحة واطلاق الصواريخ ، فان الضغط من أجل اتخاذ إجراءات عسكرية اقوى سيزداد، ولكن هذه المرة بهدف إنهاء

، فقد لجأ الى الموقف الأكثر تناقضا والمتمثل في تحديد ما الذي لا يترتب على تقرير المصير الفلسطيني. وفقا لمستشار آخر، ان دعم نتياهو "لتقرير مصير الفلسطينيين" هو دعم لكيان "منزوع السلاح ومحظور من استيراد الاسلحة الثقيلة أو الدخول في أي تحالف مع أي كيان معاد لإسرائيل" والذي تسيطر اسرائيل على اجوائه والطيف الكهرومغناطيسي.²⁴⁶

في النهاية ، هناك ما يدعو إلى الاعتقاد أن الحكومة الجديدة ستوافق على استئناف المحادثات وكذلك هدف اقامة دولة فلسطينية،²⁴⁷ في الوقت الذي تسعى لاقتناع الادارة الاميركية من مخاطر القيام باي تحرك متهور نحو اتفاق نهائي في حالة عدم كون أي من الجانبين على استعداد وبوجود ثغرات مهمة. وقد وافق نتياهو، ولو بحذر، على المحادثات السياسية بشأن الحكم الذاتي الفلسطيني ، واتفاق الائتلاف مع حزب العمل يؤكد من جديد التزام إسرائيل بالاتفاقيات الموقعة. وقد اوضح احد مساعدي نتياهو بان سياسته تختلف عن سلفه في الوسائل وليس الاهداف. "ان الاختلاف عن حكومة (اولمرت) هو حول كيفية الوصول الى نهاية اللعبة. هل تبدأ بالدولة ثم تحد من سلطتها ، أم أنك تجعل القيود والمحاذير على طريق تفاوض الحل الفلسطيني؟ حتى إذا امكن تسمية الكيان الفلسطيني دولة، فإنه سيكون دولة ذات سيادة محدودة".²⁴⁸

التعامل مع غزة .

رسميا لا يبيد حزب الليكود اليميني في الائتلاف اهتماما كبيرا في التوصل الى وقف اطلاق النار او تهدئة مع حماس. بلهجة قاسية قال عضو بارز في اسرائيل بيتنا "ان الحكومة لن تجري محادثات مع حكومة حماس، بل ستدمرها، وتبني حكومة جديدة في غزة. سوف نغلق كل شيء حتى صنابير النفط حتى عودة شاليط، وبعد ذلك سنتحدث عن كيفية نقل الحكومة الى السلطة

²⁴⁹مقابلة مجموعة الازمات، نزاريث البيت، محافظ ومسؤول سابق في مكتب رئيس الوزراء شمعون كاسو، هرتزليا، 11 فبراير 2009.

²⁵⁰حسب قول عضو الليكود البارز في البرلمان ووزير المالية الحالي "ان وجود كيان مسلح غرب إسرائيل، يرفض الاعتراف باسرائيل، من الممكن ان يقوم بوضع هوائيات للمخابرات الايرانية تقوم باختراق القواعد الجوية الرئيسية لاسرائيل. فاذا كانت اسرائيل لا تصر على نزع السلاح في غزة، فمن الممكن أن تفعل الشيء نفسه في الضفة الغربية، والذي يمكن أن يتطور إلى تهديد وجودي حقيقي. وان الهدوء له تأثير على الوضع الاستراتيجي لاسرائيل". يوفال شتاينتز، خلال كلمته في مؤتمر هرتزليا ، 3 فبراير 2009.

²⁵¹يقال ان باراك، على وجه الخصوص، يرى ان هناك فوائد أكثر رسمية لوقف اطلاق النار مع حماس. مقابلة مجموعة الازمات، ومسؤول اسرائيلي سابق رفيع المستوى، مارس 2009. "لقد قدم نتياهو لحزب العمل شراكة متساوية في عملية صنع القرار، وان حزب العمل من شأنه استخدامها للضغط من اجل وقف اطلاق النار مع غزة". مقابلة مجموعة الازمات، دانيال بن سيمون، عضو الكنيست عن حزب العمل، تل أبيب، 20 مارس 2009. في الفترة التي تسبق الانتخابات، قام باراك بمواجهة ليفني بصورة مباشرة بشأن هذه المسألة : "اترك هذا (مفاوضات وقف اطلاق النار مع حماس) لرئيس هيئة أركان الجيش، والقيادة الجنوبية ولي وبأكبر قدر من التواضع. أود فقط أن نتحدث فيه بطريقة أكثر واقعية للتعامل مع التحديات الحقيقية للشرق الأوسط، وليس الواقع كما نصوره نحن". هارتس، 1 فبراير 2009.

²⁵²مقابلة مجموعة الازمات، مسؤول امني، تل أبيب، 23 مارس 2009. "ان إسرائيل لم تسقط حماس في غزة لانها تكلفها أموالا - 15 مليار شيكل (357 مليون دولار) سنويا - لإدارة السكان. ولو وافقنا على ذلك، مرة أخرى سنكون قد واجهنا الازهق ضد جنودنا، وعادة ما يعلمنا التاريخ بأن اذا ما سقطت حماس فان الجهاد الاسلامي والقاعدة سوف ترتفع في مكانها، وسيبتعن علينا التعامل مع عدو لا يريدنا أن نكون تحت تصرفه فقط وانما ان نكون كبولندا وغيرها". خطاب لياثير نافيه، لواء في قوات الاحتياط الإسرائيلية، القدس ، 26 مارس 2009. وكما ابلغ مسؤول امني كبير سابق مجموعة الازمات، وجهة نظره والذي يشاطره اياه البعض في المؤسسة الامنية، "ان تغيير النظام في غزة ليست مشكلة اسرائيلية. اذا ضعفت حماس إلى درجة أن تعم الفوضى في غزة، فان اسرائيل ستكون قد فقدت شيئا. اية منظمة ستكون محاربتها اصعب؟ حماس أم القاعدة؟ هذه الأخيرة ، لأنهم لا يملكون كلمة بامكانك الرد عليها. انا افضل شخص مسؤول". مقابلة مجموعة الازمات، جيورا ايلاند، رئيس سابق لمجلس الأمن القومي، القدس، 14 يناير 2009.

²⁵³مقابلة مجموعة الازمات، مسؤول امني، القدس، 14 مارس 2009.

²⁴⁶مقابلة مجموعة الازمات ،احد مستشاري نتياهو، القدس ، 22 فبراير 2009. التناقض الظاهر اقلق الحلفاء الاوروبيين لاسرائيل. "واسمحوا لي أن أقول بكل وضوح ان طريقة ارتباط الاتحاد الاوروبي بحكومة اسرائيل ليست ملتزمة بتحقيق حل الدولتين سيكون مختلف جدا". خافيير سولانا ، الممثل السامي للاتحاد الأوروبي للسياسة الخارجية والأمنية المشتركة ، مقتبسة من *The Jerusalem Post* ، 17 مارس 2009.

²⁴⁷وحسب قول محلل اسرائيلي، "ان نتياهو سيقوم، ولكن في النهاية سيؤيد هدف قيام دولة فلسطينية، وسيقدمها على أنها بادرة حسن نية للرئيس أوباما. وبذلك، فإنه يأمل في الحصول على اشادة من الامريكيين في مقابل ما يسمى بالتنزلات التي لطالما اعتزم الحصول عليها". مقابلة مجموعة الازمات، 30 مارس 2009.

²⁴⁸مقابلة مجموعة الازمات، تل أبيب ، 20 مارس 2009. من الممكن تقديم افغدور ليبرمان. لقد دعى زعيم اسرائيل بيتنا علنا لقيام دولة فلسطينية قابلة للحياة، اولويته هي الديموغرافيا، وهو ما يفسر دعمه لكل من تقسيم الأراضي والرغبة في تخليص اسرائيل من اكبر عدد ممكن من السكان العرب. انظر افغدور ليبرمان، "قضية المواطنة المسؤولة" في اسرائيل" ، *The Jewish Week* ، 27 فبراير 2009. حسب قول داني ايلون ، عضو حزب اسرائيل بيتنا في البرلمان والسكرتير الاسرائيلي السابق في واشنطن، "ربما نحن لسنا دائما سياسيا على صواب، ولكن نحن لسنا ضد قيام دولة فلسطينية. اسرائيل ليس لديها حدود شرقية، فمن المنطقي ان نرسم لنا حدود لكي نأخذ في نظر الاعتبار التركيب السكانية - للابقاء على معظم الفلسطينيين تحت الحكم الفلسطيني، ومعظم الاسرائيليين تحت الحكم الإسرائيلي مع الخط الجديد. في هذا الصدد نحن اقرب الى ليفني من نتياهو ". مقابلة مجموعة الازمات، القدس ، 23 فبراير 2009.

الائتلاف ، وعلى الأخص لبييرمان، فانه يعارض الانسحاب من الجولان. هذا كله يمكن أن يعني مفاوضات مطولة ومكثفة ولكنها في نهاية المطاف لن تكون حاسمة.²⁵⁹

حكم الاسلاميين. قبل إجراء الانتخابات العامة توقع الجنرال يعالون، وهو سياسي بارز في حزب الليكود ورئيس الاركاب السابق منذ تعيينه نائبا لرئيس الوزراء وكلف بوضع خطة للتعامل مع حماس : "بغض النظر عن رئيس الوزراء القادم، سيكون هناك هدنة لبعض وقت. من الممكن أن تكون هناك ترتيبات اقتصادية. ولكن هذا سيكون مؤقتا. حماس مهتمة بما هو أكثر من الاقتصاد. انها تريد حماسستان. لقد انتصرنا عليهم عسكريا، ولكن فقط حتى الجولة القادمة".²⁵⁴

المسار السوري.

ان مستشاري نتنياهو يقولون القليل علنا (لاشيء ايجابي) عن المسار السوري)، لكنه قد يكون منجذبا. في محادثات مع مسؤولين غربيين، اتخذ مواقف متناقضة، وتفيد التقارير تشجيعه المسؤولين الأمريكيين لاستئناف المفاوضات السورية الاسرائيلية،²⁵⁵ في حين أعرب عن عدم اهتمامه عندما يتحدث الاوروبيون على أساس أن دمشق لن تتخاضم مع كل من ايران، حماس أو حزب الله.²⁵⁶ ان ادراج باراك في التحالف يعزز من احتمالات التحرك باتجاه سوريا. في المناصب السابقة كرئيس الوزراء، عرض كلاهما أفضلية ملحوظة للمفاوضات مع دمشق، نتنياهو من خلال المحادثات السرية غير المباشرة وباراك في عملية انتهت بفشل قمة الاسد -كلنتون في مارس 2000.

اما اليوم ، فهناك عدة عوامل يمكن أن تسحب مرة أخرى في هذا الاتجاه : وكما تراه المؤسسة العسكرية الأمنية لاسرائيل، اتفاق مع سوريا من شأنه أن يحمل منافع استراتيجية هامة تجاه الأطراف غير الرسمية (حماس وحزب الله) ، والأهم ، باتجاه الجهود المبذولة لمنع الدور الاقليمي لايران،²⁵⁷ ان كل من نتانياهو وباراك على حد سواء هما أكثر راحة في التعامل مع دولة بدلاً منه مع حركة وطنية، وان المفاوضات، والتي يتوقع ان تستغرق وقتا ، ستقوم بتحويل الضغط الدولي في التعامل مع القضايا المتفجرة سياسيا، مثل القدس، اللاجئيين والحدود النهائية مع الفلسطينيين.²⁵⁸ لا شيء من هذا يعني بالضرورة التوصل الى اتفاق مع دمشق. والواقع أن العديد من المستشارين المقربين من نتنياهو لديهم تحفظات قوية ويقولون انهم لن ينسحبوا الى خطوط حزيران 1967، وهو شرط سوريا المطلق. اما بعض شركائه في

²⁵⁴مقابلة مجموعة الازمات، نائب رئيس الوزراء الحالي، موشي يعالون، القدس، 27 يناير 2009.

²⁵⁵مقابلة مجموعة الازمات، مسؤول امريكي، واشنطن، مارس 2009.

²⁵⁶مقابلة مجموعة الازمات، مسؤول اوروبي، ابريل 2009.

²⁵⁷ان رؤساء القوات المسلحة الاسرائيلية والمخابرات العسكرية على حد سواء يؤيدون الدعوة إلى عقد صفقة مع سوريا. انها أركان للاستقرار، و عناصر الموازنة في هذه الفوضى المجنونة ". مقابلة مجموعة الازمات، مسؤول الامني، القدس، 11 فبراير 2009. وحسب قول مسؤول اسرائيلي كبير سابق ان "الجيش الاسرائيلي لم يقدر على انتاج انتصارات حاسمة في المواجهتين الماضيتين مع اطراف غير رسمية وهو أمر أساسي لرغبتها في التوصل إلى سلام مع سوريا". مقابلة مجموعة الازمات، مارس 2009. يرجح أن يلقي هذا المنطق استحسان إدارة أوباما، وهو ما يشاطر الرأي القائل عن "فك تلاحم" سوريا وايران. مقابلة مجموعة الازمات، مسؤول اميركي، واشنطن، مارس 2009.

²⁵⁸ان التحول تجاه سوريا سيسمح لإسرائيل تطير نهجها على نحو يتفق مع مبادرة السلام العربية والمتمثل في التوصل إلى اتفاق شامل. والواقع أن نتنياهو يمكن أن يكون أكثر إيجابية من سلفه تجاه المبادرة، وذلك كوسيلة لتوسيع نطاق المشاركة مع العالم العربي ، مما يدل على حسن النية لأوباما. ويقال ان باراك مهتم ايضا بشكل اكبر مما كان عليه في الماضي. مقابلة مجموعة الازمات، مسؤول اسرائيلي كبير سابق، 30 مارس 2009.

²⁵⁹وفقا لرون ديرمر، احد مستشاريه، " عندما سأل السوريون عما إذا رفض نتنياهو عودة إسرائيل إلى خطوط 4 يونيو 1967 فهل كان يشير بذلك إلى امتار أو مئات الأمتار، فأجاب اميال ". مقابلة مجموعة الازمات، القدس، 20 مارس 2009. في اجتماع عقد مؤخرا مع مسؤول اوروبي، بين نتنياهو أن إسرائيل تصر على الإبقاء على جزء كبير من هضبة الجولان ورفض المطالب السورية. وقد ذهب مساعديه إلى حد اقتراح خطة ثلاثية معقدة لمبادلة الأراضي والذي من شأنها أن تعوض سوريا باراضي اردنية والذي بدوره يعوض الاردن. مقابلة مجموعة الازمات الدولية، دبلوماسي اوروبي، أبريل 2009. على الرغم من ان نتنياهو يقول انه مستعد للتفاوض مع دمشق، وان المحادثات المباشرة قد لا تحصل اذا اصرت سوريا، كما فعلت في الماضي ، على اعتراف اسرائيل اولا بانسحابها الى حدود عام 1967.

مفاوضات وقف إطلاق النار توقفت وان حماس تصر على أن أي هدنة يجب ان تشمل فتح المعابر، وان إسرائيل ربطت أي فتح للمعابر باطلاق سراح شاليط.²⁶⁵

لقد أورت اولمرت وقف اطلاق نار احدي الجانب وغير مدون وهش بقدر الذي سبقه. والآن كما كان في السابق، فان اسرائيل تأمل بأن خوف حماس من الانتقام الاسرائيلي مقرونا برغبتها في الاحتفاظ بالسيطرة على قطاع غزة سببتيان تصعيداً في العنف. وحسب قول احد المسؤولين الاسرائيليين : "نحن نجبر حماس على اختيار ما إذا كانت تريد محاربة اسرائيل او توطيد سيطرتها على قطاع غزة. ان الضغط الاقتصادي كان فعالا للغاية في الماضي، في إقناع حركة حماس بفرض وقف إطلاق النار ، ومازال كذلك".²⁶⁶ وحسب قول اخر، "نحن لدينا وقف اطلاق نار. فاذا ما اطلقوا النار علينا فسوف نفتح النار عليهم".²⁶⁷

هناك بعض المؤشرات على ان ذلك ممكن ان ينفذ - ففي بعض الأحيان وعلى الرغم من اطلاق الصواريخ، قامت حماس بشن حملة قوية وبشكل غير عادي على الذين ينتهكون وقف اطلاق النار الاحادي الجانب بما في ذلك اعتقال وتعذيب أفراد من حركة الجهاد الاسلامي.²⁶⁸ ولكن هذا قد يثبت على انه وهم خطير. فحماس لن تقبل استمرار الإغلاق أكثر من عدم قبول اسرائيل باستمرار اطلاق الصواريخ أو تراكم الاسلاميون عليها وبما يمثله من خطر عليها كترسانة الصواريخ البعيدة المدى.²⁶⁹ ان الفهم الرسمي، على النحو الأمثل يقترن بوجود مراقبة طرف ثالث لا يزال يمثل هدفا أساسيا.

على السماح لـ175 من 325 فقط بالعودة الى منازلهم في الضفة الغربية وقطاع غزة و أن يتم أبعاد البقية. وفي المقابل ، فقد اصرت حركة حماس على أن عددا قليلا فقط يمكن ترحيلهم، وربما عشرة او عشرين، "لحمايتهم من أي محاولة اغتيال اسرائيلية". مقابلة مجموعة الازمات، احد كبار قادة حماس، القاهرة، مارس 2009.

²⁶⁵مقابلة مجموعة الازمات، مسؤول امني، القدس، القدس، 22 فبراير 2009.

²⁶⁶مقابلة مجموعة الازمات، مسؤول اسرائيلي، القدس، 19 يناير 2009.

²⁶⁷مقابلة مجموعة الازمات، القدس، 2 فبراير 2009.

²⁶⁸مقابلة مجموعة الازمات، احد قادة حركة الجهاد الاسلامي، القاهرة، مارس 2009. في اشارة الى محادثات المصالحة بين الفلسطينيين في القاهرة، قال أحد قادة حماس في غزة "لقد توقف وقت القتال. واليوم سنركز على العملية السياسية في القاهرة". مقابلة مجموعة الازمات، مدينة غزة، فبراير 2009. وقد ردد الزهار هذه الفكرة في مقابلة : "اليوم (لنا) موقف يتمثل بالانتظار". الأخبار، 21 فبراير 2009.

²⁶⁹ان فتح المعابر لايزال من اولويات حماس، وخاصة معبر رفح. وبناتهاء مدة الستة اشهر لوقف اطلاق النار، فان الاسلاميين مقتنعين بان تكون ادارة رفح ضمن اطار الترتيب بين حماس ومصر، فقد ابلغ قادة مجموعة الازمات خلال الحرب قبولهم لاتفاق التنقل والمرور لسنة 2005، وعلى الرغم من أنها أعربت عن تفضيلها للوجود التركي او الاوروبي على الحدود. كما طالبت حماس بدور سواء من خلال وجود أفراد الأمن في محيط الحدود (مع افراد امن السلطة الفلسطينية على الحدود نفسها) أو عن طريق القيام بالمهام المدنية (مثل الصحة والجمارك والشرطة المدنية) على الحدود. مقابلات مجموعة الازمات، زعماء حماس، مدينة غزة، يناير 2009. مصر أصرت منذ البداية على الامتثال لاتفاق عام 2005. انظر أدناه.

IV. العمل الغير منجز للحرب

أ. وقف إطلاق النار

في أعقاب الحرب، سعت مصر للتوصل الى وقف جديد لاطلاق النار بين اسرائيل وحماس، وقد بدى ذلك ممكنا لبعض الوقت. وبدت الاطراف في منتصف فبراير 2009 تقترب من وقف لاطلاق النار في غزة فقط ليستمر لثمانية عشر شهرا، والسماح لاستيراد كل " المواد اللازمة" الى غزة. لم يكن هناك قائمة محددة من تلك السلع، بالرغم من ان المقاومة الاسلامية (حماس) ادعت انها حصلت على "ضمان مصري" بخصوص الحصول على السلع الإنسانية، ولوازم البناء ، ما عدا البنود تعتبر خطيرة امنيا، مثل الأنابيب، وبعض المواد الكيميائية.²⁶⁰ وقد اوضحت اسرائيل انها ستستمر بمراقبة دخول السلع ذات الاستخدام المزدوج.²⁶¹

اما داخل إسرائيل ، فقد طفت بسرعة على السطح مناهج مختلفة. وذكر ان وزير الدفاع باراك يفضل التفاهم الرسمي مع حركة حماس، على أن يكون مستقل عن التقدم الذي تم التوصل إليه بشأن تبادل السجناء. في المقابل، وبعد أسابيع من متابعة اتفاق لوقف إطلاق النار من خلال الوساطة المصرية، قام اولمرت بتغيير المسار عندما ظهر مسار اخر في الافق مصرا على انه لايمكن ان يكون هناك وقف لاطلاق النار ما لم يتم الافراج عن شاليط - مما سبب الكثير من الحرج للقاهرة.²⁶² وهذا بدوره دفع الى خلاف علني وغير عادي مع كبير المفاوضين، الجنرال أموس جلعاد، والذي اتهم رئيس الوزراء بتعريض امن البلاد للخطر.²⁶³ وفي أعقاب ذلك ، استئنفت المفاوضات غير المباشرة بشأن تبادل السجناء، بالرغم من وجود عقبات خطيرة - العدد الإجمالي والهوية للمعتقلين الفلسطينيين المتوقع اطلاق سراحهم، واين سيتم ارسال البعض منهم.²⁶⁴ من ناحية أخرى، يبدو أن

²⁶⁰مقابلة مجموعة الازمات، احد قادة حماس، مدينة غزة، فبراير 2009.

²⁶¹مقابلات مجموعة الازمات، مسؤولين امريكان واسرائيليين، تل ابيب، فبراير 2009.

²⁶²مقابلة مجموعة الازمات، مقابلات امريكية واسرائيلية ومصرية ومسؤولون من حماس، واشنطن، القدس، القاهرة، فبراير - مارس 2009. ووفقا لتقارير مختلفة وغير مؤكدة فان كل من حماس واسرائيل قد وافقتا على حدة مع مصر على وقف لاطلاق النار لمدة ثمانية عشر شهرا تمنع حماس عن اطلاق قذائف الهاون والصواريخ، وزرع عبوات ناسفة، أو الانخراط في نيران القناصة على طول حدودها مع إسرائيل، واسرائيل بدورها قد وافقت في الظاهر لوقف اطلاق النار وفتح المعابر الى نحو 80 في المائة بالرجوع الى قدرات مرحلة ما قبل يونيو 2007 (اما 20 في المائة المتبقية فتبقى مشروطة بتنفيذ وقف اطلاق النار والتقدم بشأن تبادل الاسرى). ويزعم أيضا أن الجانبين اتفقا على منطقة عازلة خالية من المسلحين تمتد الى 200 متر داخل غزة. انظر على سبيل المثال، بديعوت أحرنوت، 13 فبراير 2009. لقد سعت حماس لتدوين أي اتفاق مكتوب، "حتى اذا كان هناك اي انتهاك فيمكننا العودة الى الوثيقة لتحديد الفريق الذي لا يلتزم بتعهداته". مقابلة مجموعة الازمات، احد مفاوضي حماس، غزة، فبراير 2009.

²⁶³عارض جلعاد عاقبة الجهود المصرية للوساطة، ان اولمرت يهدد العلاقات مع حليف اقليمي رئيسي. وازداد "اننا نضرب بالأمن القومي". *Maariv*، 18 فبراير 2009. وقد قام اولمرت بفصل جلعاد ولم يرجعه الى منصبه الا بعد اعتذار الاخير علنا.

²⁶⁴وفقا لاحد كبار قادة حماس، اختلف الجانبان على عدد من السجناء الذين سيتم اطلاق سراحهم. وادعى أيضا أن إسرائيل قد رفضت 125 اسما من الـ 450 التي طالبت حماس بها كجزء من المرحلة الاولى. وقد وافقت اسرائيل

ب. إعادة البناء

نحن لم نحدد ماذا يعني ان "تساعد حماس". بإمكاننا ان نقيم إجراءات سليمة من الناحية الفنية، بغطائات مناسبة، المشتريات، مراجعة الحسابات وسواه في محاولة للتأكد من أن الاموال والمواد لا تجد طريقها إلى أيدي حماس، ولكن هذا (لا يتناول) المسائل السياسية بصورة أساسية في ماذا يجب عليك استخدامه. على سبيل المثال، ماذا يعني إعادة بناء مدرسة مسيطر عليها من قبل وزارة التربية والتعليم لحركة حماس؟ هل هذا يعني أنك تساعد حماس؟ في نهاية المطاف، القيام بأي عمل في غزة يعني الاقرار بحقيقة أن حماس هي المسؤولة بشكل كامل. هذه ليست مجرد مسألة غض النظر عن حارس الأمن في مكان قريب. تبدأ في الحصول على البضائع من خلال المعابر وتنتهي بمن الذي يستخدم المنتج النهائي.²⁷³

ان السلطة الفلسطينية تواجه معضلة مشابهة. فهي مثل المجتمع الدولي ترى بأن الواجب الإنساني هو بمساعدة المحتاجين، وان الضرورة السياسية تحتم إعادة ترسيخ وجودها في قطاع غزة والضرورة الاقتصادية تحتم " كبح سقوط غزة النهائي"،²⁷⁴ ولكنها تريد أن تفعل ذلك من دون مساعدة حماس. وفي ضوء هذه الاعتبارات، وبغض النظر عن آلية للاختيار، فان إعادة البناء - وخاصة المؤسسات الحكومية الهامة - ستظل ناقصة ما دامت حماس لا تزال مسيطرة، ولم يتم التوصل الى تفاهم مع حركة فتح. وكما تسأل احد قادة فتح "اذا ما قمنا بتحويل غزة إلى مدينة براقة على تلة، فهل هناك مغزى من تسليم المفاتيح الى حماس؟"²⁷⁵ بل وأكثر تواضعا على الجهود التي تبذلها من جانب السلطة الفلسطينية والتي ستعكس مفارقة غنية، فعلى حد تعبير أحد مستشاري رئيس الوزراء: "ان المجتمع الدولي يدفع لإسرائيل لتحتل، ونحن على وشك ان ندفع لحماس للتجاوز".²⁷⁶

ونتيجة لذلك، فان العديد من الجهات المانحة علقت آمالها على وجود اتفاق بين الفلسطينيين وبما يتيح لهم العمل مع حكومة معترف بها في غزة. واعترف بعض المسؤولين الى تأجيل خططهم، لأنهم ينتظرون نتائج محادثات القاهرة.²⁷⁷ وبفضل الحوار مع الجانب الفلسطيني على ما يبدو، فان البعض يعترف بوجود سبب آخر للتأخير من اجل تقييم موقف ادارة أوباما وأجرائها المحتملة فيما يتعلق بالمعابر.²⁷⁸ وحالياً ومع تعثر التقدم على جميع المحاور، فان العمل مع السلطة الفلسطينية على ما يبدو هو الخيار المتاح لأنه "الامر الوحيد الذي بإمكاننا التعامل والتخطيط معه".²⁷⁹ لقد قامت السلطة بوضع خطة الإنعاش

ما ان أعلن وقف إطلاق النار الاحادي الجانب والمتبادل في يناير 2009، حتى تحولت المعركة بسرعة لإعادة الاعمار. فواجه جميع الأطراف معضلة: ان حماس حريصة على فتح معابر غزة والبدء في إعادة الاعمار لكنها تصر أيضا على أن لا تتجاوزها أو تفوضها المساعدات المقدمة من الجهات المانحة، و السلطة الفلسطينية ومقرها رام الله عليها أن تظهر أهتمامها والعمل نابة عن أهالي غزة ولكنها ترغب في استخدام هذا كوسيلة للعودة الى القطاع، والضغوط الدولية على اسرائيل لفتح المعابر، وهي تخشى ان تحور بعض المواد المستوردة ليعاد استخدامها عسكريا من قبل حماس وترى في الحصار أداة محورية يمكن استخدامها لتحقيق الافراج عن الجندي شاليط، وأخيرا، فان أعضاء المجتمع الدولي - وعلى رأسهم الولايات المتحدة - والذين يودون الظهور بانهم يساعدون الغزويين، ومدركين بافلاس محاولاتهم لإضعاف الإسلاميين من خلال عزل غزة، ولكنهم في الوقت نفسه مصممين على أن يتدفق التمويل إلى السلطة الفلسطينية في رام الله، وليس حماس.

مبدئياً، لا يمثل المال مشكلة.²⁷⁰ ان "المؤتمر الدولي لدعم الاقتصاد الفلسطيني وإعادة بناء غزة" والذي عقد في شرم الشيخ في 2 مارس قد تجاوزت تبرعاته الهدف.²⁷¹ المشكلة هي من الذي سيحصل عليه، وكيف سيحصل ذلك وعلى ماذا سيفقد. وفي هذا الشأن، تغيب طرفان حاسمان عن التجمع: إسرائيل، والتي تمسك بمفتاح السماح بدخول البضائع الى قطاع غزة، وحماس التي تسيطر فعليا على ارض الواقع، فيما يتعلق بالمرور، والأمن، ونقاط التفتيش، والضرائب، وإصدار التراخيص لاستخدام الأراضي او البناء. إذا كانت إسرائيل غير مقتنعة بفتح المعابر، وإذا لم يتم التوصل الى حل وسط لا يمكن العثور عليه بين اصرار حماس على اشتراكها، ورغبة الكثير من الجهات المانحة بتجاوزها، فإن هذه الالتزامات السامية ستبقى نظرية، وسيعمق الحصار.²⁷² وكما عبر مسؤول اغاثة دولي:

²⁷⁰ وفقا لمسؤول في الامم المتحدة، "المال ليس هو القضية. المسألة هي كيفية التنفيذ - ما اذا كانت اسرائيل ستسمح بدخول المواد". لقد تراكت لدى برنامج الأمم المتحدة الإنمائي نحو 215 مليون دولار للمشاريع التي لا يمكن تنفيذها بسبب القيود المفروضة على دخول المواد. لدى الأونروا خطة خطة انعاش مكرر لتسعة أشهر، بمبلغ 346 مليون دولار والتي تم تمويل 53% منها، ولكن جل عملها متوقف لنفس السبب. مقابلات مجموعة الازمات، مسؤولي الأونروا وبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي، مدينة غزة، أبريل 2009.
²⁷¹ ولم يركز المؤتمر على غزة وحدها، بل على السلطة الفلسطينية ككل، وقد طلب 2.8 مليار دولار، منها 1.3 مليار دولار لإعادة اعمار قطاع غزة و 1.5 مليار دولار لدعم ميزانية عام 2009. في حين تم التعهد بكم كبير من هذه الأموال، فان هاتين الاولويتين تلقت اقل مما أمل المسؤولون. وقد جمع هذا المؤتمر ما يقرب من 4.4 بليون دولار، ولكن الكثير من التعهدات كانت عبارة عن إعادة تدوير ولم يخصص سوى جزء صغير لدعم ميزانية 2009. مقابلة مجموعة الازمات الدولية، احد مستشاري الرئاسة، رام الله، مارس 2009.

²⁷² وقد علق دبلوماسي اوروبي ان هذا هو بالفعل ما يحدث: " لقد انقضت اشهر منذ انتهاء الحرب. وان المسؤولين الاجانب يقومون بجولاتهم للاطلاع على الانقراض لكن لا أحد يفعل شيئا". مقابلة مجموعة الازمات، القدس، 19 مارس 2009. وقد اضاف مسؤول دولي عن إعادة الاعمار: "إن المظهر الحالي على الاغلب يعكس النتيجة، كما هو حال الازمات السابقة، والانتعاش

لن يحدث بكل بساطة". مقابلة مجموعة الازمات، مدينة غزة، 16 مارس 2009.

²⁷³ مقابلة مجموعة الازمات، مسؤول اغاثة دولي، القدس، فبراير 2009.

²⁷⁴ مقابلة مجموعة الازمات، احد مستشاري رئيس الوزراء فياض، القدس،

ابريل 2009.

²⁷⁵ مقابلة مجموعة الازمات، احد قادة فتح، رام الله، ابريل 2009.

²⁷⁶ مقابلة مجموعة الازمات، احد مستشاري رئيس الوزراء فياض، القدس،

ابريل 2009.

²⁷⁷ مقابلة مجموعة الازمات، مسؤول اغاثة دولي، فبراير 2009.

²⁷⁸ مقابلة مجموعة الازمات، مسؤول اغاثة دولي، القدس، ابريل 2009.

²⁷⁹ قام مجلس التعاون الخليجي بإنشاء آلية تهدف ليس فقط للتمويل ولكنها في الواقع لتنفيذ مشاريع إعادة الإعمار من خلال فتح مكتب في غزة، متجاوزين بذلك كل من السلطة الفلسطينية وحماس، لكن مازال عليه ان يطلق. ان باستطاعة كل الدول العربية التبرع، ومن المقرر أن يديره مجلس من البلدان

غزة، والتي ستقوم بدورها في توزيعها على المستفيدين، CHF) المعروفة سابقا باسم مؤسسة الإسكان التعاوني)، وهي منظمة دولية غير حكومية، مكلفة بالتحقق من مدى الضرر ورصد إعادة البناء. وسيتم منح المال على شكل قروض ومنح²⁸⁷ الى أصحاب المنازل الذين تم فحصهم من قبل السلطة الفلسطينية لضمان ان "كوادر حماس" لا تستفيد²⁸⁸ ويظل عنق الزجاجة في ان المعابر لازالت مغلقة، لذلك فان مواد البناء مازالت مفقودة، هذا هو أحد الأسباب التي تجعل الجهات المانحة حتى الآن لم توف بالتزاماتها لتمويل البرنامج. ويشار الى ان عمل السلطة الفلسطينية يخلق ضغط من اجل الوفاء بالتعهدات²⁸⁹.

ووفقا لمسؤولين في السلطة الفلسطينية والبنوك، ان حماس لم تتدخل في التسجيل، الذي امتد من 6 إلى 26 مارس وتضمن اكثر من 25000 طلباً²⁹⁰ وبالنظر إلى الوضع في غزة، فقد ترى الحركة الاسلامية الامر مكلفاً للغاية بحرمان السكان من أي مصدر للمعونة. علاوة على ذلك، فإن هذا المشروع لن يساعد ناخبي حماس فقط في غزة ولكن أيضا سيقوم بضخ مبالغ كبيرة في الاقتصاد، وجزء منها - مثل رواتب السلطة الفلسطينية - سينتهي في يد حماس على شكل ضرائب على التجار والمحافظات على الخدمات الحكومية من خلال دفع رسوم المرافق العامة. وكما اشار مسؤولين في السلطة الفلسطينية، وبانتظار عودة عمل المعابر بالشكل الطبيعي، فان أصحاب المنازل قد يضطرون الى استخدام مواد البناء المهربة. وهذا، أيضا، سوف يدر ربحا للحكومة في غزة، لتنظيمها حركة المرور في النفق²⁹¹ وحسب قول احد المسؤولين الماليين في السلطة الفلسطينية، "ان هذا البرنامج سيكون بمثابة ربح اقتصادي مفاجئ لحماس"²⁹².

في المرحلة الثالثة والنهائية، سيشمل هذا البرنامج القطاعين الزراعي والخاص، مع المجلس التنسيقي للقطاع الخاص - منظمة شكلت من قبل القطاع الخاص للمساعدة في خطة إعادة

الازمات، القدس، فبراير 2006. وفقا لخطة الإنعاش المبكر للسلطة الفلسطينية، وإصلاح خسائر في المياه والصرف الصحي والنظافة الصحية، وقطاعات الطاقة، والنقل والاتصالات ستكلف نحو 154 مليون دولار، في حين تبلغ تكلفة ترميم المساكن حوالي 348 مليون دولار. انظر "الخطة الوطنية الفلسطينية لإعادة البناء والإنعاش المبكر لقطاع غزة، 2009-2010"، السلطة الوطنية الفلسطينية.

²⁸⁷ 80% من الأموال التي من المقرر أن تقدم من خلال المنح و 20% عن طريق قروض. واذا ما رفض المستفيدين القرض، يجب أن تثبتوا أنهم يملكون ما يعادل الموارد. مقابلة مجموعة الازمات، مدير بنك، مدينة غزة، 16 مارس 2009.

²⁸⁸ مقابلة مجموعة الازمات، مسؤول كبير في السلطة الفلسطينية، رام الله، فبراير 2009. ان أسماء المتقدمين يجب ان تتفق مع قائمة الأفراد المحظورين من قبل الولايات المتحدة والتي نشرت من قبل مكتب مراقبة الأصول الأجنبية بالإضافة الى قائمة السلطة الفلسطينية الداخلية قائمة والتي تضم 6000-7000 اسم. مقابلة مجموعة الازمات، مستشار لرئيس الوزراء فياض ومسؤولين في السلطة الفلسطينية، القدس ورام الله، أبريل 2009.

²⁸⁹ مقابلات مجموعة الازمات، مسؤولي السلطة الفلسطينية والمانحين، القدس، ابريل 2009.

²⁹⁰ مقابلة مجموعة الازمات، مسؤول السلطة الفلسطينية، ابريل 2009. ان البرنامج يدعو الى صرف اكثر من 300 مليون دولار.

²⁹¹ ان ارتفاع الأسعار على تهريب الاسمنت المصرية يتذبذب بموجب العرض، لكنها يمكن أن تصل بقدر 2000 في المائة. ملاحظات مجموعة الازمات، مارس 2009.

²⁹² مقابلة مجموعة الازمات، مسؤول السلطة الفلسطينية، رام الله، فبراير 2009.

المبكر، وذلك جزئيا لضمان تشكيل النقاش الدولي التالي حول إعادة الإعمار. ان وثيقتها التي دونت على عجل سببت انتقادات كل من مسؤولي المساعدات الدولية²⁸⁰ وبعض الفلسطينيين²⁸¹ لكنها نجحت في فرض رؤية السلطة الفلسطينية عن كيفية المضي قدما في العملية. في حين أن بعض المسؤولين من الجهات المانحة كانوا يناقشون تشكيل ميكانيكية مساعدة مستقلة تعتمد على صندوق ائتماني خاص بها،²⁸² وحسب قول مسؤول اغاثة دولي، فان السلطة الفلسطينية "قامت باخراج قطاراتها من المحطة"²⁸³ ومنذ شرم الشيخ، قامت السلطة الفلسطينية بوضع خطة وتهدئة بعض المخاوف²⁸⁴.

ان خطة السلطة الفلسطينية للإنعاش تقع على ثلاث مراحل. في المرحلة الأولى، صرفت الحكومة ومقرها رام الله ما مجموعه نحو 20 مليون دولار من المساعدات النقدية الطارئة من خلال برنامج الأمم المتحدة الإنمائي إلى ما يقرب من 9000 أسرة دمرت منازلها أو أصيبت بأضرار.²⁸⁵ اما المرحلة الثانية والتي تجري حاليا، تركز أيضا على قطاع الإسكان، والذي كان الاكثر تضررا في القتال والأهم من الناحية السياسية نظرا للعدد الكبير من الضحايا.²⁸⁶ ان السلطة تخطط لتحويل الاموال الى بنوك

المشاركة بالتعاون مع البنك الإسلامي للتنمية. 1 مليار دولار من السعودية و 250 مليون دولار من الالتزامات القطرية شكلت اساسياته. الحياة، 23 فبراير 2009. وقد تم جمع أموال إضافية في مؤتمر شرم الشيخ، مع تعهد ما مجموعه 1.65 مليار دولار.

²⁸⁰ وردد آخرون، قال مسؤول اغاثة "هو التشخيص بلا استراتيجية". لقد عزوا طبيعته التمهيدية الى ضيق الوقت حيث ان مؤتمر إعلان التبرعات عقد خلال ستة أسابيع بعد وقف الأعمال الاشد العنصرية، وليس خلال ثلاثة الى ستة أشهر بعد ذلك، كما هي القاعدة بالنسبة لإعادة البناء بعد انتهاء الصراع، ولغياب رام الله عن ارض الواقع والشك بموقفها سياسيا. مقابلات مجموعة الازمات، القدس ورام الله، فبراير 2009. لانقضاء الوقت، فلقد اتفقت الجهات المانحة على تحسين نوعية التخطيط. مقابلات مجموعة الازمات، مسؤولي المساعدات والبنوك، القدس ورام الله، أبريل 2009.

²⁸¹ شعر القطاع الخاص في غزة على وجه الخصوص بانه مستبعد من عملية صنع القرار وقام بتشكيل "المجلس التنسيقي للقطاع الخاص" كدولة مستقلة تتناول التخطيط لإعادة الإعمار. ولكن مع اصرار السلطة الفلسطينية على وضعها كنقطة اتصال شرعية وحيدة، والتي تتولى إدارة تدفق المعونات، لذا اضطرت الى قبول رام الله كأولوية. مقابلة مجموعة الازمات، زعيم القطاع الخاص، مدينة غزة، أبريل 2009.

²⁸² وفقا لسبناريو واحد، فان التعمير سيكون في يد لجنة توجيه فلسطينية مستقلة وغير حزبية ويعمل بها أفراد وافقت عليهم حماس وفتح. اللجنة يمكن أن تتضمن أعضاء دوليين، وبدلا من ذلك، مجلس رقابة دولي يمكنه رصد إنفاق الأموال. حماس من حيث المبدأ وافقت على هذا النموذج، والتي من شأنها أن توفر لغزة المساعدة المالية وتنطوي على بعض المشاركة الدولية مع غزة. مقابلة مجموعة الازمات، قادة القطاع الخاص في غزة وقادة حماس في مدينة غزة، مارس 2009. ولكن معظم مسؤولي المساعدات الدولية الذين قابلتهم مجموعة الازمات يشككون في أن هيئة مستقلة يمكن أن تعمل. وقالوا أنها يمكن ان تقسر على أنها تصويت بحجب الثقة عن السلطة الفلسطينية في رام الله وسيلة للحد من الضغط على حماس. كما انهم يخشون من ان اللجنة، بغض النظر عن الاستقلال المزعوم، من شأنه أن يستنسخ الانقسامات السياسية القائمة. وازداد "انهم سيقاثلون من اجل اي من المدارس ومراكز الشرطة والوزارات التي يجب ان يعاد بناؤها اولا". مقابلة مجموعة الازمات، مسؤول في الامم المتحدة، رام الله، مارس 2009.

²⁸³ مقابلة مجموعة الازمات، القدس، ابريل 2009.

²⁸⁴ مقابلة مجموعة الازمات، مسؤولي الاغاثة الدوليين، القدس، ابريل 2009.

²⁸⁵ مقابلة مجموعة الازمات، مسؤول الامم المتحدة، مدينة غزة، مارس 2009.

²⁸⁶ وقال مسؤول اغاثة "هذه الحرب ليست مثل لبنان في عام 2006، عندما قامت إسرائيل بتدمير كمية لا تصدق من البنية التحتية". مقابلة مجموعة

ان قيود العبور التي تفرضها اسرائيل هي من اهم العقبات في الوقت الراهن. وحتى بعد استخدامها لهذه المعوقات للضغط من اجل الافراج عن جلعاد شاليت، فان اسرائيل تشعر بالقلق من أن واردات المواد الخام يمكن أن تشكل تهديدا أمنيا. ان الفلسطينيين الذين قاموا بتصميم برنامج السلطة الفلسطينية يعترفون بإمكانية خداع نظامهم: فاذا كان السعر مناسباً، فيمكن لأي شخص ان يبيع الاسمنت ومواد أخرى لحماس، وفي حالة تدوين بعض الافراد في القائمة السوداء، فيمكن للاسلاميين وبكل سهولة القيام بتجنيد آخرين.²⁹⁸ أن غزة غير محكمة الاغلاق، فالانفاق في عمل مستمر، والسلع المهربة في المخازن والوقود في المضخات وبعض الإصلاحات الطفيفة في المباني الحكومية تجري حالياً.²⁹⁹ وفي عشية الحرب، اقرت وزارة داخلية غزة بان كل نفق يجب ان يجلب الى غزة طن من الاسمنت،³⁰⁰ الأمر الذي يمكن أن يتجدد، رغم الحملة الأخيرة لمصر في سيناء والتي قد تصعب الأمر على المهربين.

إذن المسألة ليست، في الواقع ما اذا كانت حماس تحصل على امدادات - لانها تستطيع ذلك - حتى وإن كان الكميات اقل مما ترغب - وإنما إذا كان باستطاعت الناس العاديين الحصول عليها. وينبغي الاهتمام، كما هو الحال بالنسبة لأي مشروع للمساعدات، بالتأكد من أن البرنامج يعمل بشفافية، وعدم تحويل المواد للاستخدام الغير مناسب.³⁰¹ ولذلك، فإن الحل الأفضل هو أن تكون هناك منظمة مستقلة تدقق بتقديم إعادة البناء وتوضح أن أي مستفيد لا يستخدم هذه الاموال والمواد اللازمة للغرض الذي سلمت من اجله لن يكون قادر على جمع المزيد.

مهما كان الخيار المختار، فان بعض إعادة البناء ينبغي أن يدار من قبل وكالات الامم المتحدة التي اثبتت مسؤولية كبيرة بالنسبة للفلسطينيين، وتنفيذ المهام وتقديم الخدمات التي عادة ما تقوم بها الدولة. ان وكالة الامم المتحدة لغوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين (UNRWA) وبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي (UNDP) هما الاكبر، وذلك بعملهما بشكل رئيسي مع اللاجئين وغير اللاجئين على التوالي في المساعدات الإنسانية ومشاريع البنية التحتية الكبيرة. ومع ذلك فان كل من الوكالتين تواجه القيود التي تمنعهما من تولي المسؤولية الشاملة.

ان مهمة وكالة الامم المتحدة لغوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين (UNRWA) يقتصر على العمل مع اللاجئين أو داخل المخيمات، في حين تستهدف اسرائيل أساساً المناطق التي يقطنها

الإعمار - كجهة محلية للتحقق من الاضرار والتقدم في العمل حين يكون الاتحاد الأوروبي الممول. ويشكك حتى مصممي هذا البرنامج في تأثير هاتين المرحلتين الثانية والثالثة اذا ما استمرت اسرائيل في تقييد الواردات النقدية والمادية.²⁹³ علاوة على ذلك، واذا تم المضي قدماً في إعادة الإعمار، فان هذا البرنامج لا يمكنه ان يضمن، في حال لم يتم فتح الحدود لتمكين النشاط الاقتصادي العادي، بما سيفعله أصحاب المنازل والمزارعين وأصحاب المصانع بممتلكاتهم التي يعاد بناءها.

ليس هناك ضمان لردة فعل حماس في نهاية المطاف، ولا بد من توثيق الكلمة الأخيرة في قدرة السلطة الفلسطينية على العمل في قطاع غزة. هناك ما يدعو إلى الاعتقاد بإمكانية العثور على حل وسط. ومن الملاحظ، ان السلطات في غزة قد اذعنت، لحد الان، لعملية التسجيل من قبل السلطة الفلسطينية، وكذلك عمل المنظمات الدولية ولكن على مفض. وان قادتها قالوا انهم وافقوا على قيام لجنة مستقلة بمراقبة إعادة الإعمار، بما في ذلك، في جملة أمور، تنظيم صرف الأموال ومراقبة الاستخدام النهائي السليم للمواد.²⁹⁴ وتعكس هذه المرونة معادلة: ان الاسلاميين حريصون على المضي قدماً في إعادة الإعمار، ويشعرون أنه في نهاية المطاف، لن يكون هناك إعادة اعمار بشكل جدي - من حيث رخص البناء، وتخصيص الأراضي، والأمن، وما شابه ذلك - من دون مشاركة الحكومة في غزة، وذلك نظراً لسيطرتها على أرض الواقع.

هناك حدود، طبعاً. حماس ستنتظر بحذر الى أي آلية تمنح السيطرة المركزية لرام الله - وبشكل أدق الفضل الأكبر: وفي تلك الحالة، يمكن أن تسعى لعرقلة عمليات السلطة الفلسطينية. وكحد أدنى ستصر الحكومة في غزة على استشارتها، أعلامها وجعلها جزءاً من العملية. وازداد وزير الشؤون الاجتماعية "سوف نكتفي بالحد الأدنى من التنسيق". وازداد "نحن مستعدون للتخلي عن بعض الحقوق الحكومية من اجل مصلحة شعبنا الذي يعاني".²⁹⁵ ولكنه اضاف سريعاً، لا يمكن إعادة بناء عمل عن طريق التحكم عن بعد، وان السلطة الفلسطينية التي مقرها رام الله لا تستطيع أن تتحمل المسؤولية وحدها، وهناك حاجة الى آلية لبقاء حماس على اطلاع ولتسوية الخلافات.²⁹⁶ في غضون ذلك، فقد بدأت سلطات غزة المرحلة الأولى من برنامج إعادة الإعمار الخاصة بها، وهو 5 ملايين دولار لهدم وازالة الانقاض والتي تمثل تهديداً مباشراً للسلامة العامة.²⁹⁷ ويضيف مسؤولون من حماس ان على أية إعادة اعمار فعلية أن تنتظر فتح المعابر.

²⁹⁸مقابلة مجموعة الازمات، مدير بنك، مدينة غزة، ابريل 2009.

²⁹⁹ملاحظات مجموعة الازمات، غزة، مارس 2009.

³⁰⁰مقابلة مجموعة الازمات، رجل اعمال من مدينة غزة، مارس 2009.

³⁰¹قبل تشكيل حكومة نتنياهو، بدأت كل من اسرائيل والسلطة الفلسطينية مشاورات عبر اللجنة الاقتصادية المشتركة في عهد اوسلو، وعلى آلية تبادل المعلومات لضمان عدم إساءة استخدام المعونات. لم يتضح بعد موقف الحكومة الاسرائيلية الجديدة. حتى مع آليات الفحص الدقيق للمانحين والذين قالوا، "اذا ما اتفقتا كل من اسرائيل والسلطة الفلسطينية على آلية للتحقق من كنههما التعامل معها، فنحن ايضا يمكننا ذلك". مقابلة مجموعة الازمات، القدس، أبريل 2009. الولايات المتحدة واسرائيل قد بدأت المناقشات الخاصة بهم بشأن الحصول على المعونة قبل اجتماع مايو المخصص للجنة الاتصال، ومنتدى لكبار المانحين للمساعدات الفلسطينية. مقابلة مجموعة الازمات، مسؤول اغاثة دولي، أبريل 2009.

²⁹³مقابلة مجموعة الازمات، مسؤول اغاثة دولي، القدس، فبراير 2009.

²⁹⁴مقابلة مجموعة الازمات، مسؤولي حكومة غزة، غزة، ابريل 2009.

²⁹⁵المكالمة الهاتفية لمجموعة الازمات، ابريل 2009.

²⁹⁶مقابلة مجموعة الازمات، وزير الشؤون الاجتماعية في غزة احمد الكردي، مدينة غزة، ابريل 2009. إلى حد ما، هذا هو ما يحدث بالفعل مع المنظمات غير الحكومية والتنسيق على أساس تقني أو غير رسمي. في الأجل الطويل، سيكون من المنطقي اضافة صفة رسمية على هذا الترتيب من خلال لجنة مستقلة - على سبيل المثال، عن طريق القطاع الخاص في غزة لجنة التنسيق أو هيئة أخرى. كما يتزامن هذا مع نية رئيس الوزراء فياض لمنع تصعيد التوتر مع غزة.

²⁹⁷مقابلة مجموعة الازمات، وزير الشؤون الاجتماعية في غزة احمد الكردي، مدينة غزة، مارس 2009.

الناس باحديتهم علينا، وسوف نفقد ثقة الناس فينا"³⁰⁸ كل الذين كانوا متواجدين ومن ضمنهم حماس وفتح واقفوا.

ان حماس تدرك أنه بدون شكل من أشكال المصالحة، من غير المرجح ان تفتح المعابر ومن غير المرجح ايضا ان تحصل غزة على المساعدة اللازمة أو أن يعاد بناؤها. وحسب قول زعيم اسلامي "اننا ندرك الواقع من حولنا. بعد عامين ونصف من الحصار والحرب، من الواضح أن الأمور لا يمكن أن تبقى كما هي"³⁰⁹ ان الاتفاق مع حركة فتح يفترض كذلك النقل من الضغوط على الحركة في الضفة الغربية، حيث تعطلت فعاليتها بشكل كبير نتيجة حملات الاعتقال التي تنفذها اسرائيل والسلطة الفلسطينية.

ولقد اندرت حركة فتح من رد فعل الجمهور على موقفها في زمن الحرب، وخلص الكثير من القادة إلى أن المصالحة كان شيئا مفروغا منه لغرض تصحيح صورتها ولاستعادة موطئ قدم في غزة. كما ان اية الفرصة في اختراق دبلوماسي تعرضت لضربة قوية بفوز اليمين في الانتخابات البرلمانية التي جرت في إسرائيل، وعلى الرغم من الوعود الجديدة من الادارة الاميركية، فان فتح قلقه حول الاعتماد على عملية السلام لاستعادة مكانتها. وبالرغم من ذلك فإن عباس لم يكن راغبا في تقديم أي تنازلات من شأنها أن تعرض المكانة الدولية للسلطة الفلسطينية أو ان تقوض امكانية استئناف المفاوضات مع اسرائيل مستقبلا.

وهكذا تغيرت الديناميكيات على الصعيدين الدولي والاقليمي. لقد جعلت الحرب الاستقطاب بين الدول العربية تصل الى نقطة الغليان، فلقد قامت كل من سوريا وقطر من جهة، ومصر والمملكة العربية السعودية من جهة أخرى بالتنافس في تنظيم مؤتمرات القمة وتداولوا بشكل غير مألوف اتهامات صريحة. وبمواجهة خطر الانكسار ذو النتائج او العواقب غير المحسوبة، قام البعض من كلا الطرفين بتخفيف حدة التوتر. وكما قال قيادي سوري لنظيره السعودي، "نحن نعرف ان باستطاعتكم خلق صعوبات حقيقية بالنسبة لنا في مواجهة الغرب. ولكننا يمكن أن نخلق لك صعوبات حقيقية في مواجهة الرأي العام لديكم. إذا استمرت علاقتنا بالتدهور، فكلانا سيخسر"³¹⁰. وبمثل ما أن المواجهة بين فتح وحماس أصبحت واحدة من أبرز مظاهر الشقاق العربي، فإن التصالح بينهما يفترض أن يكون مؤشرا للتقارب.³¹¹

ان الأجواء الطيبة قد ظهرت في القاهرة بطرق مختلفة. فلقد أظهرت كل من مصر وفتح مرونة أعلى من السابق بشأن المسائل الإجرائية وبما يسمح لحماس بأن تشعر على انها تعامل معاملة كاملة كشريك، وليس هدفا، في الحوار الداخلي الفلسطيني.³¹² لقد غيرت حماس موقفها بشأن قضايا أساسية

سكان من غير اللاجئيين. وان الوكالة تتردد في توسيع عملياتها خشية من الوقوع في براثن الحكم في غزة.³⁰² وعلاوة على ذلك، ان أي من تلك المخاطر قد يترتب عليها جر وكالة الامم المتحدة لغوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين (UNRWA) في مجادلات سياسية محفوفة بالمخاطر، وربما التفريط بحماس وفتح واسرائيل أو الولايات المتحدة في هذه العملية مما يهدد اعمالها الأخرى.³⁰³ ان برنامج الأمم المتحدة الإنمائي (UNDP) يتناول المشاريع التي لا تتعلق مباشرة باللاجئين لكنه لم يتمكن من المساس بالتأسيسات الامنية الحكومية والوزارات أو نقاط العبور في غياب المصالحة.³⁰⁴

ج. المصالحة الفلسطينية

منذ لحظة تحول الانقسام الى مواجهة، أكدت كل من فتح وحماس على رغبتها في المصالحة. بعد الحرب في غزة، كان هناك شعور بأنهما يعينان ذلك هذه المرة. تفسر تطورات عديدة هذا التحول الظاهر. أن المطالبة الشعبية في تحقيق المصالحة الوطنية باتت أمراً لا تخطنه العين. فمنذ الحرب، لم يعد الفلسطينيون يتحدثون بصوت عال أكثر من ذي قبل فقط، ولكنهم تنظموا كذلك،³⁰⁵ بعكس ديناميكية الثمانية عشر شهرا السابقة حيث ووفقا لممثل لحركة فتح في المجلس التشريعي، "الجميع يقولون انهم يريدون الوحدة، ولكنهم لا يفعلون شيئا حيال ذلك، وذلك لأنها تعتبر بمثابة التعاون مع العدو"³⁰⁶.

لا تستطيع فتح ولا حماس تجاهل مشاعر الرأي العام، كما قال زعيم اسلامي بارز: "إن الوحدة الوطنية ليست مجرد مطلب سياسي في هذه الأيام. بل أصبحت مبدأ ديني"³⁰⁷. في لحظة توتر في جلسة للتفاوض في القاهرة، قال مريم أبو دقة من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين: "إذا فشلنا في الخروج باتفاق، سيلقي

³⁰² في بعض الأحيان، قامت الوكالة بمساعدة غير اللاجئيين على أساس طارئ. ومع ذلك، فقد قاومت أي توسيع لمهمتها. مقابلة مجموعة الازمات، المفوض العام للوكالة الدولية لغوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين (UNRWA) كارين أبو زيد، مدينة غزة، 16 مارس 2009.

³⁰³ من الواضح ان كلا من حماس وفتح تريدان ان تكونا المسؤولين عن جهود البناء، ونحن لا نريد ان نصل في منتصف هذا الحد". مقابلة مجموعة الازمات، مسؤول في الامم المتحدة، رام الله مارس 2009. بعض الجهات المانحة اعربت عن قلقها ازاء الدرجة التي تحتاج الأمم المتحدة إلى التعاون مع الحكومة في غزة. وبالرغم من تعهد زعماء الاسلاميين على عدم التدخل في وكالات الأمم المتحدة، فإنها بلا شك سوف تحتاج إلى تنسيق مع السلطات في غزة واستخدام الأراضي لأغراض أمنية. (حكومة غزة وقوات حماس تتولى حماية مجمعات الامم المتحدة وتوفير الحراسة في أوقات اشتداد المخاوف الأمنية). مقابلة مجموعة الازمات، قادة حماس ومسؤول برنامج الأمم المتحدة الإنمائي UNDP، في مدينة غزة، فبراير و مارس 2009.

³⁰⁴ مقابلة مجموعة الازمات، مسؤول الامم المتحدة، مدينة غزة، 17 مارس 2009.

³⁰⁵ "نداء من أجل الوحدة"، الذي وقعته 50 شخصية بارزة، ومن أهم الأمثلة في محاولة لحشد الضغط الشعبي والنخبة، على الرغم من ان المجتمع المدني والمبادرات المستقلة تم تجاوزتها من قبل محادثات الوحدة في القاهرة. كان محل ترحيب من جانب عباس بعد فترة قصيرة من اعلانه لكن اقل تأثيرا في غزة. وقد زعم احد زعماء حماس في غزة على انه لم يسمع به من قبل. مقابلة مجموعة الازمات، مسؤول كبير في السلطة الفلسطينية، رام الله، فبراير 2009، قيادي بارز في حماس، مدينة غزة، فبراير 2009.

³⁰⁶ مقابلة مجموعة الازمات، طولكرم، نوفمبر 2008.

³⁰⁷ مقابلة مجموعة الازمات، احد قادة حماس الكبار، القاهرة، فبراير 2009.

³⁰⁸ مقابلة مجموعة الازمات، احد قادة حماس الكبار، القاهرة، مارس 2009.

³⁰⁹ مقابلة مجموعة الازمات، احد قادة حماس الكبار، القاهرة، مارس 2009.

³¹⁰ مقابلة مجموعة الازمات، مسؤول سوري، مارس 2009.

³¹¹ مقابلة مجموعة الازمات، مسول من الجامعة العربية، مارس 2009.

³¹² قبل الموعد المقرر لمفاوضات نوفمبر 2008، اصرت حماس على اجراء محادثات مباشرة مع حركة فتح واحتجت على أن مصر لديها مشروع وثيقة تحدد معايير المصالحة قبل اللقاءات وجها لوجه بين المتنازعين، بل عارض كون عباس رئيس للدولة وليس طرفا في النزاع، وطالبت بإدراج الجماعات المسلحة الصغيرة في غزة. وقد رفضت من قبل مصر على جميع الجبهات.

اجندتها الثقيلة وبدلا من تضميد الانقسامات السياسية، فأنها ستقوم بتسيخها.³¹⁶

ان الفشل في الجولات الثلاث الاولى يرجع جزئياً الى ان في الوقت الحالي، وعلى الرغم من الضغوط لتقديم تنازلات، فان كلا الطرفين غير مستعدين للتخلي عن أهم مواقعهما - سيطرة حماس على غزة وسيطرة فتح والسلطة الفلسطينية على الضفة الغربية ومنظمة التحرير الفلسطينية. ولا يبدو أن هناك أي حل وسط واضح في جوهر لمبادئ الاساسية لكلا الجانبين. تعتمد هوية حماس على الحفاظ على موقف سياسي (لا اعتراف بإسرائيل، والقبول بحق المقاومة)، في حين أن يعتمد مصير حركة فتح والسلطة الفلسطينية على اثبات استراتيجية التفاوض الدبلوماسي. لذا فان التنازل لكلا الجانبين يعني المقامرة بالمستقبل.

كما ان هناك شعور بأن بعض العقوبات الرئيسية لا يمكن معالجتها من جانب الطرفين في قاعة المفاوضات. ان مكسب حماس ضئيل فيما لو قامت بابرار اتفاقية المصالحة قبل تحقيق تبادل الاسرى وصفقة لوقف اطلاق النار - وهي الشروط المسبقة والواضحة لاسرائيل لفتح الحدود. بالإضافة الى عدم التمكن من تحقيق الشراكة الكاملة مع حركة فتح في الضفة الغربية، وذلك بسبب استمرار إسرائيل بالاحتلال وان الاجهزة الامنية للسلطة الفلسطينية تعتمد على التنسيق مع كل من إسرائيل والولايات المتحدة، وأخيراً ، فإن وجود الولايات المتحدة - وإذا كان بالامكان تخفيف الشروط الثلاثة للرباعية الدولية للتعامل مع حكومة جديدة - كان واضح جدا على الرغم من غياب واشنطن من محادثات القاهرة.³¹⁷

بالرغم من ان بعض الفلسطينيين هللوا لما تحقق في القاهرة،³¹⁸ فان الاتفاقيات ركزت بشكل كبير على العموميات وقليل جداً على القضايا المصرية. هذا بدوره عكس عدم الاتفاق المستمر بشأن شكل الحكومة الموحدة التي اعاقه التسوية. الأهم من هذا، فان لكلا الطرفين نهج مختلف للحوار ، فبالنسبة لحماس فانها وسيلة لتسوية الخلافات القائمة بين السلطات وعلى قدم المساواة، واما بالنسبة لفتح فهي المفاوضات التي تعتبر السلطة الشرعية الوحيدة هي في رام الله. ونتيجة لذلك، فان حماس سعت الى تقاسم السلطات

حتى قبل بدء الحوار رسمياً، ولا سيما فيما يتعلق بتسلسل الخطوات المختلفة³¹³ مثل موعد الانتخابات الرئاسية القادمة.³¹⁴

ولكن على الرغم من التصريحات الايجابية، والتفاؤل المبكر والاتفاق بخصوص عدد من المسائل، فقد عقدت ثلاث جولات من المحادثات ولم تؤدي الى نتيجة في نهاية المطاف، مع قليل من الأمل في أن الجولة الرابعة (مرتبطة للانعقاد في 26 أبريل) ستختلف كثيراً. في الوقت الذي ينشر فيه هذا التقرير، بينت التقارير بأن مصر قد تخلت عن الجهود الرامية لتشكيل حكومة موحدة وصارت بدلا من ذلك تروج لفكرة لجنة مشتركة مستمرة من شأنها تنفيذ إعادة الإعمار وبنود جدول المصالحة المتفق عليه في القاهرة.³¹⁵ في رد فعل على الاقتراح المصري، أظهرت حماس وفتح اجماع نادر : فقد ابلغ كل منهما مجموعة الازمات بان مثل هذه اللجنة ستكون ضعيفة ، وغير قادرة على تنفيذ

انظر ملخص مجموعة الازمات فلسطين مقسمة، نفس المصدر. هذه المرة ، على العكس من ذلك، فقد تمت اتصالات بين فتح وحماس وعلى مستوى عالي في القاهرة قبل أسابيع من عقد الجلسة الرسمية، وقد تم مناقشة معايير المصالحة من قبل المفاوضون أنفسهم، وقد وجهت الدعوة الى فصائل صغيرة إلى القاهرة، وكذلك، في لفنة لبناء الثقة، فقد افرج عن العشرات من سجناء حماس في الضفة الغربية قبل المحادثات. مقابلة مجموعة الازمات، احد قادة حماس ، القاهرة ، 25 فبراير 2009.

³¹³وقد طالبت حركة حماس في السابق التنفيذ المتزامن لجميع الملفات. انظر ملخص مجموعة الازمات فلسطين مقسمة، نفس المصدر. في الفترة التي سبقت محادثات القاهرة، فقد اذعن لاتباع نهج تدريجي في تشكيل حكومة جديدة قبل التنفيذ الكامل لجميع المسائل الأخرى المتفق عليها. وهذا يعني على وجه الخصوص إلى أن الحكومة يمكن أن تنشئ و لمرة واحدة آلية اصلاح منظمة التحرير الفلسطينية وقد تم الاتفاق على ذلك، حتى لو لم ينفذ في ذلك الوقت. مايفسر هذا التحول، قول قيادي بارز في حماس "اذا لم يتم الالتزام بتواريخ اصلاح منظمة التحرير الفلسطينية، فيمكننا اسقاط الحكومة" مقابلة مجموعة الازمات ، القاهرة ، فبراير 2009 ، رغم أنه يكاد يكون الحاح من قبل الحركة الاسلامية لتشكيل حكومة وحدة والتي من شأنها أن تمكن إعادة اعمار قطاع غزة. وكان من المؤكد ان هذا هو تفسير حركة فتح. مقابلة مجموعة الازمات، رام الله، فبراير 2009. كما لم تعد حماس تصر على اطلاق سراح جميع معتقليها في الضفة الغربية كشرط مسبق للمحادثات، والقبول بالافراج الجزئي بدلا من ذلك.

³¹⁴ان موقف حماس يبين أن ولاية عباس كانت قد انتهت في يناير 2009. ومن خلال الموافقة على اجراء الانتخابات في يناير 2010، فان حماس في الواقع اعترفت به كرئيس شرعي لمدة عام اخر. وفي 26 فبراير وخلال مؤتمر صحفي بين حماس وفتح، اشار اليه زعيم حركة حماس محمود الزهار بأنه "الرئيس عباس"، وهو ما يناقض التسميات المستخدمة في السابق. وقال المتحدث باسم حماس طاهر نونو الذي كان قد أشار إليه كمجرد "أبو مازن"، وعندما طلب منه تعيين هوية ذلك الشخص، اجاب : "انه واحد ذو منزلة مشرفة جدا: للمواطن فلسطيني". مقابلة مجموعة الازمات ، طاهر نونو، مدينة غزة، يناير 2009.

³¹⁵وفقا لنسخة من الاقتراح المصري المنشورة في صحيفة الأيام في 16 أبريل 2009، فان اللجنة المشتركة (1) ستضم أعضاء من حركة فتح، حماس الجهاد، والجبهتين الشعبية والديموقراطية لتحرير فلسطين وغيرها من الفصائل كما تم الاتفاق عليه، (2) ستتمتع "حكومة الرئيس محمود عباس" باعتباره "مصدرا للسلطة" و "الغطاء السياسي"، (3) سيكون لها وظيفة تنفيذية ولكن لا التزامات سياسية وأن تعمل فقط حتى انتخابات يناير 2010، (4) كما يأخذ في جدول أعمالها تنفيذ ما تم الاتفاق عليه خلال محادثات القاهرة، بما فيها الإعداد لانتخابات رئاسية وتشريعية قبل 25 يناير 2010، والإصلاح الأمني، والحد من تصاعد التوترات الشخصية الناجمة عن القتل، (5) المسؤولية عن إعادة البناء، و (6) وسوف تشرف على المعونة المقدمة من المانحين.

³¹⁶قال مستشار للرئيس عباس "لا يمكن للجنة أن تقوم بعمل الحكومة. وسوف لن تحظى بالموظفين أو المساندة السياسية" مقابلة مجموعة الازمات، رام الله ، أبريل 2009. ورد احد زعماء حماس الرأي القائل: "دينا فشلنا في الاتفاق على امور اصغر من ذلك بكثير. وكانت هناك مشاكل في جوازات السفر، الطب، الإضرابات، ومحاولات لحسم الامور عن طريق لجنة لطالما منيت بالفشل. فلماذا سنتنجح الآن؟" مكالمة هاتفية لمجموعة الازمات، ابريل 2009. ان لجنة مشتركة لن تقدم جداول الاعمال الفردية للفصائل: في مقابل الاعتراف بسلطة عباس، وحماس ستكسب المزيد ما دام الحصار مستمرا، في حين أن حركة فتح ليس لديها الميل لمساعدة حركة حماس للخروج من مأزقها، ما لم توافق على شروط اللجنة الرباعية (الاعتراف بإسرائيل، نبذ العنف وقبول الاتفاقات السابقة).

³¹⁷لقد كانت ديناميكية غريبة"، وقال مفاوض عن حزب الشعب "ان حركة فتح لغالبا ما لم تكن تتحدث في كثير من الأحيان من المنظور الفلسطيني، بل من وجهة نظر المجتمع الدولي. لم يتحدثوا كأفراد أو كحزب ما يعتبره جيد او صحيح، ولكن ما يمكن بيعه الى الولايات المتحدة". مقابلة مجموعة الازمات، رام الله، أبريل 2009.³¹⁸مقابلة مجموعة الازمات، محلل فلسطيني مستقل، مارس 2009.

اصعب. و في المقابل فقد بدت حماس مصصمة على رفضه، وهي مشاعر أكدت عليها الحركة لاحقا باعلانها انها كانت تدرس امكانية مقاضاة رئيس الوزراء.³²³

2. الانتخابات

لقد وافق الاطراف على عقد الانتخابات التشريعية والرئاسية في نفس الوقت في يناير 2010 وسيقوم عباس بتعيين اعضاء لجنة الانتخابات بعد مشاوره كل من الحكومة والفصائل. ولكن ما زالت هناك خلافات جدية حول كيفية اجراء الانتخابات. في أعقاب استيلاء حماس على غزة أصدر الرئيس قرارا بتغيير النظام من المناطق المختلطة والتمثيل النسبي الى التمثيل النسبي الخالص وحدد بان على المرشحين "الاقرار بمنظمة التحرير الفلسطينية بوصفها الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني".³²⁴ حماس - والتي استقادت بقوة في عام 2006 من التصويت في الدوائر المنظمة في الاحياء نتيجة لعدم انضباط فتح - أصرت على الحفاظ على الطريقة الانتخابية القديمة في حين طالبت برفع الحد الأدنى للحصول على مقعد الى اكثر من 1.5% (تعديل من شأنه أن يضر الأحزاب الصغيرة).³²⁵ ان العقبة الأساسية أمام إجراء انتخابات تكمن في مكان آخر، ولكن، مصادقية التصويت لا يمكن ان تتم من دون اصلاح بعيدة المدى للأمن. ففي حال غيابه فان فتح لن يكون لديها ثقة تذكر في انتخابات غزة، وكذلك هو الحال بشأن حماس في الضفة الغربية.

3. الإصلاح الأمني

ان الحركات وافقت على المبدأ العام الا وهو وجوب كون القوات الامنية محايدة ومحترفة، وتقوم بخدمة كل من الوطني والمعارض لمصالح القوى. ولكن بترك هذه المشاعر النبيلة جانبا فانهم لا يتشاطرون في الكثير. فتح (وأكثر من ذلك السلطة الفلسطينية) ليست على استعداد اساسا للقيام بتغيير اساسي في آليات الأمن في الضفة الغربية او وضع حد لبرامج التدريب المدعومة من قبل الولايات المتحدة والتعاون مع إسرائيل. رفض الاسلاميون طلب فتح بتفكيك قوات الأمن التي اسستها حكومة حماس. ان معظم المسؤولين الامنيين في الضفة الغربية كانوا على استعداد للتنازل عن قيام حركة حماس باعادة النظر بمن جندتهم عن طريق تعيين لجنة حكومية مكلفة بتقييم اللياقة البدنية

والجمع بين الحكومات وجدول الاعمال،³¹⁹ في حين أن حركة فتح سعت الى تأييد واضح لبرنامجها السياسي، وعكس التدابير التي اتخذتها حماس في غزة.³²⁰

1. الحكومة

إن نقطة الخلاف الرئيسية والأكثر إثارة تتعلق بشكل الحكومة الجديدة وبرنامجها : كيف يتم تعيين وزراء وماهية منابرها السياسية، أو حتى ما إذا سيكون لديها واحد.

ان النقاش حول البرنامج تكرر مرتين . وكان أولاً النقاش الطويل وغير المجدي حول ما اذا كانت الحكومة سوف "تلتزم" (كما أصرت فتح) أو "تحتزم" (موقف حماس) الالتزامات السابقة لمنظمة التحرير الفلسطينية، ومنها نبذ العنف والاعتراف بإسرائيل. ثم وبعد ان اثبت ان هذه المناقشة مستعصية، دار الموضوع حول ما اذا كانت الحكومة ستعمل بكل بساطة بدون برنامج، وهي نتيجة ايدتها فتح ورفضتها حماس. بالنسبة لحماس فان التوقيع على الاتفاقات السابقة لمنظمة التحرير الفلسطينية لم تكن بداية لأسباب سياسية وأيديولوجية، اما بالنسبة لحركة فتح ، فكانت مفروغ منها، سواء للدفاع عن المواقف السابقة، ولضمان الاعتراف الدولي والذي من دونه فان السلطة الفلسطينية ستهدد ماليا وستواجه المحرمات الدبلوماسية وحسب قول مسؤول كبير في السلطة الفلسطينية مشيراً إلى إمكانية التوصل إلى نتائج أكثر غموضاً :

حاولنا ذلك في اتفاق مكة، عندما وافقنا على ضمان سعودي يقع الولايات المتحدة على قبول الحكومة. وبدلاً من ذلك حصلنا على الحصار. ونحن لن نسير في هذا الطريق مرة أخرى مع مصر. ولن نغير البرنامج السياسي لمنظمة التحرير الفلسطينية، والبرنامج السياسي لعباس، أو التراجع عن التزامات سابقة، سواء مع إسرائيل أو أي مكان آخر. ان العالم يتعامل معنا نظراً لبرنامجنا السياسي. انهم لا يتعاملون معنا لأن لدينا صواريخ عابرة للقارات أو أسلحة نووية. برنامجنا السياسي هو سلاحنا النووي.³²¹

وعلى ما يبدو فان الموقف الثابت لواشنطن هو أن أي تأييد واضح للشروط الثلاثة للجنة الرباعية أثر على المناقشات، على الرغم من انه مازال غير واضح انها ستظهر قدراً اكبر من المرونة اذا ما قوبلت باجماع فلسطيني وعربي.³²²

وبعدم التوصل الى موقف حاسم لتشكيل الحكومة، فان اسما كبار مسؤوليها تبقى غير اكدية. الاسماء الثلاثة للرؤساء الوزراء الذين تم اخذهم بنظر الاعتبار - سلام فياض، محمد منيب المصري رجل الاعمال مستقل، نبيل شعث احد قادة فتح والمولود في غزة (وفي وقت ما انتقد رام الله). ومع ذلك ، ما ان اوضحت واشنطن عن تفضيلها القوي لفياض اصبح موضوع المساومة

³²³مقابلة مجموعة الازمات، قادة حماس من غزة و في المنفى، القاهرة، 2009.

³²⁴في عام 2006 ادلى الناخبين باصواتهم مرتين في الانتخابات التشريعية. تم تقسيم المجلس التشريعي اي 132 مقعدا الى النصف من خلال تصويت الأغلبية في الستة عشر منطقة من مناطق فلسطين، وتم تخصيص عدد من المقاعد على أساس عدد السكان. اما النصف الآخر فخصص من خلال نظام التمثيل النسبي والتي تعتبر فلسطين دائرة انتخابية واحدة، على أساس نسبة مئوية من إجمالي التصويت. وقد قامت فتح بتقديم عدة مرشحين في كثير من المناطق، في حين أن حركة حماس أبدت قدراً أكبر من الانضباط، ونتيجة لذلك فقد حصل الاسلاميون على 74 مقعدا. ان قرار عباس في 2007 نص على أن على المرشحين قبول "وثيقة اعلان الاستقلال الفلسطينية 1988 إضافة إلى أحكام القانون الأساسي". يمكن الاطلاع على نص مرسوم عام 2007 /www.palestinianbasiclaw.org/downloads

2007 anullment.pdf

³²⁵مقابلة مجموعة الازمات، قادة حماس وفتح، القاهرة، مارس 2009.

³¹⁹حسب قول احد قادة حماس الكبار، "ان طريق الخروج يكون عن طريق خلط الموقفين، موقف حماس وموقف فتح، موقف الذين يؤمنون بالمقاومة ويتقون بالمفاوضات". مقابلة مجموعة الازمات، القاهرة، مارس 2009.

³²⁰عندما سئل احد قادة فتح قبل البدء بالحوار عن ماهية تكوين النجاح قال، "رد صاع الانقلاب". مقابلة مجموعة الازمات، رام الله، مارس 2009

³²¹مقابلة مجموعة الازمات، رام الله، مارس 2009.

³²²لمراجعة مناقشة الولايات المتحدة، انظر القسم الخامس B ادناه.

5. المصالحة

ان لجنة المصالحة تعتبر الأكثر نجاحا. فقد وافقت على أن يتم محاكمة الأشخاص المتهمين بتجاوزات خلال معارك الفصائل أمام المحاكم الجنائية، وأن تقوم الفصائل بتعويض الضحايا.³³¹

بافتراض انه لا يمكن تشكيل حكومة موحدة فالخطر الحقيقي سيكون قيام كلاً من الضفة الغربية وقطاع غزة بتأسيس أنظمة حكومية متنافرة وفي نهاية المطاف، مختلفة بشكل متزايد. ومن اجل تقليل الخطر، فلا بد من الحفاظ على التنسيق بين الحكومتين، على الاقل بخصوص القضايا التي يمكن أن توحد هذه الاراضي. ان الإصلاح الأمني والانتخابات، على وجه الخصوص، تعتبر قضايا مثيرة للجدل والانقسام ويقضي حلها الثقل الكامل للحكومة، ولكن هناك مجالات للتعاون - صغيرة ومتقلصة - التي يجب المحافظة عليها وتوسيع نطاقها. وهذه تشمل التعليم والصحة والشؤون الاجتماعية، والتي تضم المسائل ذات الاهتمام المشترك، مثل قضايا الموظفين، الامتحانات ومشاريع المانحين.³³² يمكن تشكيل لجنة تكنوقراطية مشتركة لتعزيز التنسيق وتسوية الخلافات. وحتى هذا سيواجه عقبات كبيرة ايضا، كما هو واضح في الجدول الدائر حول الاحالات الصحية³³³ كما لن تكون مثل هذه اللجنة في حد ذاتها كافية للحيلولة دون تباعد الاراضي. ولكنها يمكن أن تساعد في الحفاظ على الروابط التي لا تزال قائمة وتشكل أساسا يمكن البناء عليه، عندما تسمح الظروف السياسية

4. إصلاح منظمة التحرير الفلسطينية

اتفقت الاطراف على ضم الفصائل التي لا تنتمي حاليا لمنظمة التحرير الفلسطينية (حماس والجهاد الاسلامي)، وأنه ستجري انتخابات للمجلس الوطني الفلسطيني المقبل - وهو الهيئة التشريعية لمنظمة التحرير الفلسطينية - في يناير 2010، في وقت واحد مع الانتخابات الرئاسية والمجلس التشريعي. ولكن مع ان الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة لا يمثلون سوى جزء من الشعب الفلسطيني، فان هذه الانتخابات لن تكون سوى خطوة أولى على طريق إصلاح منظمة التحرير الفلسطينية. اختلف الجانبان على كيفية إدارة عملية الإصلاح وكيفية إدارة منظمة التحرير الفلسطينية بانتظار استكمال اصلاحها. وقد سعت حماس الى تأليف لجنة مشرفة مؤلفة من اعضاء من مختلف الفصائل ومستقلة عن منظمة التحرير الفلسطينية بينما سعت فتح الى لجنة وفقاً للخطوط التي حددها إعلان القاهرة عام 2005،³²⁹ ورفضها أي إجراء يمكن أن يقلل من السلطة الحالية للجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية.³³⁰

³²⁶قامت فتح بارسال مجيد فراج (رئيس الاستخبارات العسكرية) ونصر يوسف (وزير الداخلية وقوات الامن الوطني السابق وهو شخص قوي البنية)، وان فراج كان قد امضى العامين الماضيين في الضفة الغربية بتطهير قوات الأمن المشتبه على انها متعاطفة مع حماس، اما قوات نصر يوسف فقد قاتلت ضد حركة حماس في غزة. "لها رسالة الى حماس لما يجب ان تتوقع : يمكن قبولك في جهاز امني موحد فقط في حالة التسجيل في خدمة المبادئ التي قامت على ذلك، اي على اسس غير سياسية وغير منحازة، وتعمل لخدمة الأمة والدولة، ولا تمثل حزب سياسي". مقابلة مجموعة الازمات، مسؤول أمني دولي، القدس، مارس 2009.

³²⁷واقترحت دمج حماس الامن الوقائي للسلطة الفلسطينية في الأمن الداخلي لغزة وتسميته "الامن الداخلي الوقائي". كما سعت حماس الى اعطاء الفصائل حصص للمناصب في الاجهزة الامنية اي 40% لحماس، ولحركة فتح على 40%، و20% للمستقلين والفصائل الاخرى. مقابلة مجموعة الازمات، مفاوضون من حماس وفتح، القاهرة، مارس 2009. كما اصرت حماس على هذا الدمج في لجان أخرى كذلك. في اللجنة الحكومية فقد طالبت بقيام الحكومة الجديدة استيعاب الموظفين الذين قامت بتوظيفهم ودمج الهياكل الإدارية التي شكلت في قطاع غزة خلال السنة ونصف السنة الماضية ليصل عددهم الى 30000 موظف ولا سيما في الاجهزة الامنية. مقابلة مجموعة الازمات، مفاوض حزب الشعب، رام الله، أبريل 2009.

³²⁸طالب حماس بان تقوم الحكومة بالسيطرة على خدمات المخبرات العامة أكثر من الرئيس، الحياة، 26 مارس 2009.

³²⁹الإحكام ذات الصلة باعلان القاهرة عام 2005، والذي مهد الطريق لحركة حماس الفلسطينية للانضمام إلى النظام السياسي الفلسطيني وينص ما يلي: "ان الذين تجمعوا وافقوا على تطوير منظمة التحرير الفلسطينية على قواعد مستقرة لتشمل جميع القوى والفصائل الفلسطينية، وهذه المنظمة هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني. لذلك، فقد تم الاتفاق على تشكيل لجنة لتحديد هذه القواعد، وستكون لجنة مكونة من رئيس المجلس الوطني، وأعضاء اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير، والامناء العامين لجميع الفصائل الفلسطينية والشخصيات الوطنية المستقلة. سيقود رئيس اللجنة التنفيذية هذه اللجنة".

³³⁰مقابلة مجموعة الازمات، مفاوضين مستقلين ومن حماس وفتح، القاهرة ورام الله، مارس وابريل 2009.

³³¹يقال ان العديد شكك بالتنفيذ نتيجة لعمق للاستياء المتبادل فقد قتل اكثر من 700 شخص من فتح في غزة، مقابلة مجموعة الازمات، احد قادة فتح، القاهرة، مارس 2009.

³³²معظم الوزارات في غزة لجنة تتألف من ثلاثة إلى خمسة أشخاص مسؤولين عن إدارة ما وصفه احد العاملين في السلطة الفلسطينية تدعو إلى "أزمة التنسيق مع رام الله"، إلا أن أعدادهم قلت نتيجة للتقاعد، والضغط السياسي. وقال مسؤول في وزارة التربية والتعليم في غزة : "الذي بالفعل وظيفة بدوام كامل كمربي واقوم بالتنسيق المشاريع مع رام الله وهي وظيفة اخرى بدوام كامل". في وزارة اخرى، فان الوظيفة التي تربط بين رام الله وغزة تعمل من المنزل بسبب الضغط تواجهه في المكتب. مقابلات مجموعة الازمات، موظفي السلطة الفلسطينية، مدينة غزة، أبريل 2009.

³³³في 22 مارس، قامت وزارة الصحة في غزة بالاستيلاء على قسم الإحالة الخارجية في الوزارة، التي تنسق لمعالجة المرضى الذين يحتاجون إلى خدمات طبية خارج الاراضي الفلسطينية. استبدلت ادارة الموظفين، والمولين للسلطة الفلسطينية ومقرها رام الله، بدعوى أنها فاسدة ومنحازة لحركة فتح. السلطة الفلسطينية ترفض الاتهامات وذلك لاعتبار تصرف حماس على انه خطوة اضافية نحو السيطرة الكاملة. (ان حماس تمارس سيطرة فعلية على المرضى اللذين يستوجب مغادرتهم غزة بغض النظر عن يسيطر على قسم الإحالة). رفضت مصر واسرائيل للتنسيق مع المعينين من قبل حماس، ونتيجة لذلك تقطعت السبل بالكثير من المرضى وسكان غزة. في منتصف أبريل، خضعت مصر للضغط ووافقت على ادخال 160 مريض من حماس، ولكن هذا بالكاد يعتبر حلا للمشكلة. ويبدو أن الطرفين قد اتفقا على تعيين لجنة جديدة محترفة وغير منحازة، ولكن الخلاف كان على اثنين من السبعة أعضاء والذي ادى الى عدم حل النزاع. مقابلة أزمة مجموعة الازمات، السلطة الفلسطينية، وزارة الصحة في غزة، ومسؤولي الصحة الدوليين، رام الله وغزة والقدس، نوفمبر 2008 وأبريل 2009. وتقيد التقارير ب وفاة عشرة مرضى نتيجة للجدل وتدهور صحة "أكثر من 800". المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان في غزة، البيان الصحفي، 19 أبريل 2009.

V. دور الأطراف الخارجية

موجة الهجمات الارهابية التي ضربت منتجعات شبه جزيرة سيناء بين عامي 2004 و 2006، والذي زعمت فيه الحكومة على انها نفذت من قبل مجموعة من الفلسطينيين المصريين المولد من البدو الجهاديين، التوحيد والجهاد، أن ذلك له الكثير من التفسيرات. منها مايعكس نفور جيل من البدو والذين يعتبرون غير اهل للثقة ويعاملون بقسوة من قبل الحكومة المركزية،³³⁷ ولكنها أيضا صعدت من خلال الانتفاضة الفلسطينية الثانية. ولكن المسؤولين المصريين يشتبهون بدور اسلامي فلسطيني.³³⁸ ووفقا لمسؤول رفيع في حركة فتح على دراية بالمنطق المصري:

بالنسبة لمصر، فإن قضية حماس ليست فقط عن السياسة وعلاقتها مع الاخوان المسلمين. انها عن الأمن وعلاقة حماس ببدو سيناء. ان القاهرة تخشى من احتمال تفعيل الخلايا النائمة لحماس في سيناء لتنفيذ هجمات ضد اسرائيل.³³⁹

لقد استاءت مصر في يناير 2008 بسبب خرق الحدود في رفح من قبل مسلحين فلسطينيين، وما تبعها من تدفق لسكان غزة إلى سيناء. هذا الى جانب اغلاق اسرائيل لمعايير غزة، اقنع عدد من المسؤولين بأن اسرائيل تسعى لدفع قطاع غزة نحو مصر، وتكريس انفصالها عن الضفة الغربية. في كلمة ألقاها أثناء الحرب، أثار الرئيس مبارك خطة اسرائيل بالفصل بين الضفة وغزة، وعزمها على تحويل قطاع غزة الى مشكلة مصر:

الوضع في غزة هو نتيجة للنزاع بين السلطة الفلسطينية وحماس، الامر الذي يفتح الباب امام اسرائيل لتنفيذ خطتها لتقسيم الضفة الغربية وقطاع غزة... مصر ترفض الخطة الاسرائيلية لفصل غزة عن الضفة الغربية من أجل تجنب مسؤولياتها في قطاع غزة وجعل مصر مسؤولة عن الوضع في غزة. هذه الخطة الإسرائيلية تذكرنا بالحملة التي شنت منذ الثمانينات من قبل اسرائيل لصالح "غزة اولاً" و "الخيار الاردني" في الضفة الغربية. مصر لن تقع في هذا الفخ.³⁴⁰

³³⁷حسبما ذكرت مجموعة الازمات والعديد من المنظمات غير الحكومية في مجال حقوق الإنسان، بين عامي 2004 و 2007 قادت القوات الامنية المصرية حملات اعتقال ضمن اطار التحقيق في التفجيرات. انظر تقرير مجموعة الازمات، مسألة سيناء المصرية، نفس المصدر. وفي الأونة الأخيرة ، عندما قامت جماعات البدو بالتعبير عن شكواهم إلى الحكومة، وأنها قد واجهت والاعتقالات التعسفية، والضرب، والتخويف من قبل الشرطة. مقابلة مجموعة الازمات، عضو في قبيلة، شرق سيناء، يناير 2009.

³³⁸على سبيل المثال، فإن السلطات تتهم الجماعات الفلسطينية بتدريب وتمويل تنظيم التوحيد والجهاد. انظر "مصر : مساعدة الفلسطينيين بتفجيرات سيناء"، وكالة انباء اسوشيتد برس، 23 مايو 2006. كما لاحظت مجموعة الازمات، بان هذا الاتهام يأتي في الغالب من الصحافة المصرية، ويجب التعامل معه بحذر. انظر تقرير مجموعة الازمات، مسألة سيناء المصرية ، نفس المصدر. ووفقا لاحدهم، في مايو 2006 واجه رئيس المخابرات المصرية، عمر سليمان، وزير داخلية حماس حينذاك، سعيد صيام، بادلة تشير الى ان اعضاء التوحيد والجهاد الإسلامي قد امن لهم ممرا الى غزة عبر أنفاق رفح، وتم التدريب على صنع المتفجرات على يد اعضاء حماس. زكي شهاب، من داخل حماس : المسكوت عنه في الحركة الاسلامية المتشددة (نيويورك، 2007) ، ص. 176-180.

³³⁹مقابلة مجموعة الازمات، القاهرة، 2 فبراير 2009.
³⁴⁰لاهرام، 31 ديسمبر 2008، مقابلة مجموعة الازمات، دبلوماسي مصري، يناير 2009.

أن ماسيحدث لإعادة البناء والمصالحة يعتمد الى حد كبير على مواقف أطراف رئيسية ثلاثة : الى اي مدى انهم مستعدين لتشجيع دور لحماس في اعادة الاعمار وما مدى المرونة التي يمكن اظهارها بالنسبة الى حكومة الوحدة الوطنية الجديدة المحتملة. وفي كلتا القضيتين تسعى كل من مصر، الولايات المتحدة واوروبا بأهتماماتها ومصالحها.

أ. مصر

1. الخلفية

رغم أن الحرب كانت اسرائيل ضد حركة حماس، ولكن من نواح اخرى فان هدفها غير المعلن هو مصر. ان مطلب إسرائيل الأساسي - وضع حد لتهديب الأسلحة - قد وجه إلى القاهرة اكثر من حركة حماس، وان الشغل الشاغل لحماس أن تكون غزة مفتوحة، وبالذات معبر رفح اكثر من المعابر الاخرى المؤدية من وإلى اسرائيل. ولقد هددت الحرب أيضا المصالح الأمنية المصرية، واجبت الرأي المحلي، وتحدثت الدور الاقليمي لمصر، مما وفر فرصا لمنافسيها وهدد بتحميلها قدرا أكبر من المسؤولية عن قطاع غزة.

وفي هذه الاثناء، فلقد توجه موقف القاهرة على اساس اعتبارات عدة. ومنذ الانتصار الانتخابي لحماس في يناير 2006، وخاصة منذ استيلاءها على غزة في يونيو، 2007 فان القاهرة تراقب تزايد قوة الحركة الاسلامية بقلق. وان تركيزها، في هذا الصدد، كان بشكل اساسي على المستوى المحلي، خاصة ان حماس تتمتع بتعاون وثيق مع جماعة الإخوان المسلمين ذات النفوذ المتزايد في مصر، والتي سجلت 20% في الانتخابات البرلمانية لعام 2005، وهو الشئ الذي لم يسبق له مثيل. أدى نجاح حماس الى تشجيع الجماعة المصرية، وساهم في قرارها في التنافس للمرة الاولى للحصول على مقاعد في المجلس الاعلى والمجالس البلدية، وأعلان في وقت لاحق عن خطط لإنشاء حزب سياسي.³³⁴

وحسب قول محلل ذو علاقات حكومية مقربة: ان كل من حماس والاخوان المسلمين يحاولون اعادة تطرف مصر. فيما عدا القضية الفلسطينية، هذا هو جدول اعمالهم المشترك المدعوم من قبل ايران".³³⁵

ثمة زاوية محلية أخرى. ان الأحداث التي وقعت في قطاع غزة منذ اندلاع الانتفاضة الثانية ساعدت على تطرف السكان البدو في شبه جزيرة سيناء، والتي ظلت مهملة منذ ان اعيدت المنطقة من قبل اسرائيل في الثمانينات وكانوا ضحايا حملات الاعتقال الجماعية في عام 2004 بعد تفجير فندق هيلتون طابا.³³⁶ ان

³³⁴راجع تقرير الشرق الاوسط لمجموعة الازمات، رقم 76، الاخوان المسلمين في مصر: المواجهة او الاندماج؟، 18 يونيو 2008.

³³⁵مقابلة مجموعة الازمات، عبد المنعم سعيد، مدير مركز الاهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية وعضو سياسات الحزب الوطني، القاهرة، 24 فبراير 2009.

³³⁶راجع تقرير الشرق لمجموعة الازمات رقم 61، مشكلة سيناء المصرية، 21 يناير 2007.

حماس والقاهرة توترت أكثر، بسبب مظاهرات جماعة الإخوان المسلمين المصرية مطالبة بفتح معبر رفح للمساعدات الانسانية، واحياء حملة شنت خلال خرق الحدود في يناير 2008. وفي المقابل قام ناشطين مؤيدين للفلسطينيين والذين يدينون سياسات مصر بحملة احتجاجات خارج السفارات المصرية في الدول العربية والعواصم الأوروبية.³⁴⁷ وحسب قول محلل ذو علاقة مقربة بالحكومة:

بالنسبة لمصر، فان هذه الحرب بدأت في 8 نوفمبر، بعد أن انسحبت حماس من مباحثات [المصالحة]. شاهدنا مظاهرات في طهران ودمشق وبيروت وصنعاء، وكلها تركز على فتح معبر رفح. وقد نسقت هذه مع المحلية من المعسكر الراديكالي المصري - الاسلاميين، الناصريين، واليساريين. ورأينا هذا التغيير المفاجئ على قناة الجزيرة. ان مصر ليست طرفا في هذه الحرب فحسب، وانما هي في مركزها.³⁴⁸

لقد اوضحت حماس أنها غير مهتمة في تجديد الهدنة في ظل الصيغة الحالية - أي دون فتح المعابر. اما مصر، فقد سبق أن اکتوت ما اعتبرته ازدياد حماس لمباحثات المصالحة الفلسطينية، وقد تخلت اساسا عن جهودها، متهمه ضمنا الاسلاميين بمحاولة إثارة النزاع عن طريق إرسال صواريخ على اسرائيل.³⁴⁹ كما تزامنت هذه الفترة مع المحاولات التي تقوم بها حماس وغيرها لتحدي احتكار مصر للمفاوضات مع الحركة الاسلامية.³⁵⁰

2. مصر، حماس والحرب

من منظور حماس، فان الحرب في غزة مثلت الحضيض في العلاقات مع الجيران العرب. فقد شنت اسرائيل عملية الرصاص

³⁴⁷ دبلوماسي اميركي مطلع على عملية الوساطة قال: "بعد مؤتمر قمة شرم الشيخ في 9 نوفمبر 2008 (التي التزمت فيها السلطة الفلسطينية بمواصلة المفاوضات حول الوضع النهائي مع اسرائيل حسب ما اتفق عليه في انابوليس)، وكانت هناك زيادة مفاجئة في المظاهرات في السفارات المصرية في انتقاد لدور مصر، القاهرة، 3 فبراير 2009. حسب احصاء مجموعة الازمات، ان الاحتجاجات خارج السفارات المصرية تطالب بفتح معبر رفح والتي جرت في نوفمبر وديسمبر في عمان وبيروت وصنعاء، ودمشق، لندن، باريس وأماكن أخرى - كل ذلك قبل اندلاع الصراع في قطاع غزة. وقد وقعت المزيد من الاحتجاجات بعد بدء العمليات الحربية.

³⁴⁸ مقابلة مجموعة الازمات، قال عبد المنعم، مدير مركز الاهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، وعضو لجنة سياسات الحزب الوطني، القاهرة، 24 فبراير 2009.

³⁴⁹ انظر ملخص مجموعة الازمات، إنهاء الحرب في غزة، نفس المصدر. في الأسبوع الأول من الحرب، امتنعت مصر عن محاولات الوساطة، ولأم كبار المسؤولين - في الوقت الذي ادانت اسرائيل لبدء عملية الرصاص المنهمر - حركة حماس لاثارتها الأزمة.

³⁵⁰ انظر ملخص مجموعة الازمات فلسطين مقسمة، نفس المصدر. في عام 2008، اعرب كلا من اليمن وقطر عن رغبتيهما في التوسط بين الفصائل الفلسطينية - وهي المبادرات التي رفضتها مصر. وبحلول سبتمبر 2008، اعرب المسؤولين المصريين عن استيائهم من فرنسا لطلبها من قطر وسوريا تمرير رسالة الى الجندي الاسرائيلي جلعاد شليط من والده. انظر صحيفة الاخبار (لبنان)، 8 سبتمبر 2008. بصورة عامة، انتقد المسؤولين المصريين وكثيرا من وسائل الاعلام الرسمية ملف قطر المتزايد إقليميا، واعتبرت المبادرات الدبلوماسية تفضل حماس ولوم الدوحة للهجتها المضادة لمصر عبر قناة الجزيرة الفضائية، وخصوصا حول قضية معبر رفح. كما ان النزاع يضم دور قطر من الازمة السودانية. مقابلات مجموعة الازمات، المسؤولين المصريين والعرب، يناير وفبراير 2009.

كانت القاهرة مصممة على وضع حد لحكم حماس، سياسياً إن امكن، أو بوسائل أخرى إذا لزم الأمر. وحسب قول محلل عسكري مرردا كلمات كبار المسؤولين، هذا هو خط احمر أساسي بالنسبة لنا: لا وجود لدولة إسلامية متطرفة على حدودنا".³⁴¹

ان سياسة مصر المعقدة، والتي تبدو في بعض الأحيان متناقضة، من اليسير فهمها في ضوء هذا. انها تحافظ على اتصال وثيق مع حماس على الرغم من رغبتها في وضع حد سريع لحكمها. وتنتقد "حصار" اسرائيل ³⁴² حتى وهي تبقي معبر رفح في اغلب الاوقات مغلقا، منذرة باتفاقية 2005 بخصوص الحركة والمرور (AMA) بين اسرائيل والسلطة الفلسطينية والذي يتطلب حضور ممثلين على السلطة الفلسطينية على المعبر.³⁴³ تقوم بالتوسط في اجراء المحادثات بين الحركة الاسلامية وفتح بشكل أساسي من اجل تحقيق امال اعادة السلطة الفلسطينية في رام الله الى غزة، بحجة أن معبر رفح لا يمكن فتحه قبل قرار حل الخلاف بين الفلسطينيين.³⁴⁴ ولقد فاوضت من اجل هدنة هشة بين اسرائيل وحماس والتي استمرت من 19 يونيو 2008 الى ديسمبر 2009 والتي تم تفسيرها من قبل الجانبين بطريقة متباينة.³⁴⁵

في أواخر عام 2008، واجهت الاستراتيجية متاعب كبيرة. وتوقف محادثات مصالحة بعد ان رفضت حماس المشروع المصري لمبادئ المصالحة، ورفضت حضور الاجتماع المشترك بين الفلسطينيين والمقرر عقده في 9 نوفمبر.³⁴⁶ ان العلاقات بين

³⁴¹ مقابلة مجموعة الازمات، محمد عبد السلام، محلل سياسي، القاهرة، 22 يناير 2009، مقابلات مجموعة الازمات، مسؤولين مصريين، القاهرة، سبتمبر 2007 - سبتمبر 2008.

³⁴² على سبيل المثال، السفير المصري السابق لدى الولايات المتحدة نبيل فهمي وصف الحصار المفروض على غزة "غير مقبول أخلاقيا وسياسيا".، The Washington Times 22 فبراير 2008. في 6 يناير، حث وزير الخارجية أبو الغيط اسرائيل على رفع الحصار على الأقل جزئيا وفتح المعابر، وهو مطلب جده الرئيس حسني مبارك بعد توقف الحرب في قمة لقادة الدول العربية والأوروبية. إدارة شؤون الإعلام للأمم المتحدة، 6 يناير 2009، Associated press 18 يناير 2009. وذكر المسؤولون ان مصر تسعى إلى تأمين تهدئة جديدة (الهدنة) التي من شأنها ضمان حرية تدفق البضائع إلى الأراضي تجنبا لتكرار اختراق يناير 2008 عند معبر رفح على الحدود. مقابلات مجموعة الازمات مع المسؤولين المصريين في القاهرة من يناير إلى مارس 2009.

³⁴³ ان النقاد يتحدون ادعاء الحكومة بان اتفاق 2005 (AMA) يلزم مصر، وذلك لانها ليست طرفا فيه. مقابلة مجموعة الازمات، ناشط مصري، القاهرة، 17 فبراير 2009. ومع ذلك، فان المسؤولين يشددون على ان قرار مجلس الامن الدولي 1860 يشير الى اتفاق (AMA) و أن على مصر ان تلتزم به، وأضيف أيضا مستمرين باعتبار السلطة الفلسطينية ومقرها رام الله هي الحكومة الشرعية الوحيدة في غزة مقابلة مجموعة الازمات، المسؤولين المصريين، القاهرة، يناير وفبراير 2009. ان الاسس التي اتفق عليها ضمن اتفاق (AMA) في 2005 بنص على: "سوف يتم تشغيل معبر رفح من قبل السلطة الفلسطينية من جانبها، ومصر من جانبها، وفقا للمعايير الدولية، وفقا للقانون الفلسطيني وتخضع لأحكام هذا الاتفاق". كما يشير إلى وجود طرف ثالث، الاتحاد الأوروبي، والذي "ستكون لديه السلطة لضمان أن تكون السلطة الفلسطينية ملتزمة بجميع القواعد والأنظمة المطبقة بشأن معبر رفح"، وتكون لها سلطة التفتيش، وتنفيذ اتفاق وتكون مهمتها توفير التدريب وبناء القدرات للسلطة الفلسطينية وحرس الحدود.

³⁴⁴ مقابلة مجموعة الازمات، مسؤول مصري كبير، القاهرة، ابريل 2008.

³⁴⁵ راجع ملخص مجموعة الازمات، إنهاء الحرب في غزة، نفس المصدر.

³⁴⁶ من الممكن الاطلاع على المناقشة المفصلة لفشل مفاوضات المصالحة في ملخص مجموعة الازمات، فلسطين مقسمة، نفس المصدر.

بخدمة اسرائيل حيث انهم قدموا فرصة مهاجمة غزة على طبق من ذهب".³⁵⁷

وتبع ذلك حملة ، لتقديم الدعم لسكان غزة، إدانة اغلاق معبر رفح والاحتجاج على علاقة القاهرة مع اسرائيل، مما ادى الى جمع المعارضة المصرية - العلمانية والاسلامية - معا، على الأقل، إلى حد ما لبعض الوقت.³⁵⁸ يوم 2 يناير 2009، وهو أول جمعة بعد بدء العمليات الحربية، جرى أكثر من 150 احتجاج في أنحاء البلاد.³⁵⁹ واستمرت طوال الحرب، لا سيما في المحافظات الشمالية. ورغم أن العديد من المظاهرات كانت تقودها جماعة الإخوان المسلمين، وقد شاركت جماعات سياسية اخرى. وقد طالب المحتجون، في جملة أمور، الفتح الكامل لمعبر رفح للسماح للمساعدات الانسانية والناس، وخاصة أولئك الذين يحتاجون إلى العلاج الطبي،³⁶⁰ وطرد السفير الإسرائيلي وسحب نظيره المصري، ووقف أي تطبيع لاحق، فضلا عن إلغاء من صفقة لبيع الغاز الطبيعي المصري لشركة الكهرباء الإسرائيلية. وقد ذهب بعضهم الى أبعد من ذلك، وطلب تأهيل معبر رفح لتمكينه من التعامل مع الحركة التجارية العادية.³⁶¹

³⁵⁷ اف ام مصر: ان حماس اعطت اسرائيل الحجة لمهاجمة غزة"، Associated Press ، 2 يناير 2009.

³⁵⁸ في 8 فبراير 2009 التقى العديد من الأحزاب السياسية، وأعضاء حركة كفاية وجماعة الإخوان المسلمين لإنشاء تحالف معارض. على الرغم من أن هذه المبادرات التي نوقشت منذ عام 2005، قد تم التخلي عنها حين اندلاع الحرب على غزة. صحيفة اليوم المصري، 9 فبراير 2009. ان هناك طريق طويل نحو أي شكل من أشكال الوحدة : لقد تم اضعاف المعارضة بقمعها والبقية منقسمة في عدة خطوط، ولا سيما بين العلمانيين والاسلاميين، وبين اتباع نهج حذر تجاه نظام (للامل المعقود على الإصلاح الداخلي في المستقبل، أو على الأقل على مكافئة "المعارضة المولية")، وموقف أكثر مواجهة. راجع تقارير مجموعة الازمات، إصلاح مصر، نفس المصدر. والاخوان المسلمين في مصر ، نفس المصدر.

³⁵⁹ صحيفة المصري اليوم، 3 يناير 2009. لقد اعتبرت صلاة الجمعة نقطة تجمع للمظاهرات، لا سيما وأن كثيرا من الأئمة استخدموا خطبهم للتعليق على الشؤون الإقليمية وتقديم الصراع الإسرائيلي الفلسطيني من وجهة نظر دينية.³⁶⁰ في أول أسبوعين من الحرب على وجه الخصوص سمح لعض الفلسطينيين (وخاصة الجرحى) بالعبور إلى مصر، وتم السماح لقليل من المساعدات الانسانية بالخروج. اما شاحنات المساعدات المقدمة من قبل الاتحاد الطبي العربي فقد تم ردها على أعقابها. مقابلة مجموعة الازمات، منظم مساعدات الاتحاد الطبي العربي، القاهرة، 26 يناير 2009. في يوم 11 نوفمبر 2008، قضت محكمة القاهرة الإدارية بأن مصر ملزمة قانونيا السماح بمرور المساعدات الانسانية الى غزة عبر معبر رفح. راجع وكالة أنباء عموم أفريقيا، في 14 نوفمبر 2008 واليوم المصري في 12 نوفمبر 2008. ولقد تم تجاهل الحكم ويرجع ذلك جزئيا إلى ان رفح يعتبر معبرا للمسافرين وليس مجهزة للتعامل مع كميات كبيرة من الحركة التجارية وكذلك لوجود قرار سياسي للحفاظ على معبر رفح مفتوحا لهذا الغرض بالذات، كما أوضح مسؤولون مصريون. مقابلات مجموعة الازمات، القاهرة، يناير وفبراير 2009.

³⁶¹ فيليب رزق ناشط الماني مصري وواحد من بين العديد من المنونين والناشطين الذين اعتقلوا في فبراير 2009 لتنظيم مسيرة الى غزة، وقال : "نحن لا نريد فقط العودة فتح معبر رفح باعتباره محطة الركاب، ولكن أن يكون مفتوحا أمام الحركة التجارية أيضا. ينبغي استخدام مركز الركاب بصورة طبيعية بوجود نظام للحصول على تأشيرة للدخول لكي يتسنى لكل من الطلاب، رجال الاعمال، وغيرهم ، من قطاع غزة الوصول إلى العالم الخارجي". مقابلة مجموعة الازمات، فيليب رزق، القاهرة، 21 فبراير 2009. وردد هذا الرأي أيضا من قبل بعض العاملين في مجال المعونة المبطين بسبب التأخير في تسليم المساعدات سواء أثناء النزاع وبعده. وحسب قول عامل في منظمة غير حكومية "يمكن أن يتعامل معبر رفح مع الحركة التجارية في غضون ستة أشهر ويمكن الحصول على التمويل بكل سهولة".

المنهمر بعد يومين من زيارة بارزة لوزيرة الخارجية ليفني إلى القاهرة والتي كانت تهدف إلى مناقشة انهيار الهدنة.³⁵¹ وبنظرة الى الخلف فان قادة حماس فسروا تحذير ليفني من القاهرة يعني "هذا يكفي"،³⁵² وان اسرائيل سترد على الهجمات الصاروخية من غزة كدليل ان مصر على علم مسبق بالعملية. مسؤولون من حماس ذهبوا الى ابعد من ذلك، بالادعاء أن مصر تسعى إلى تهدئتهم بالادعاء ان اسرائيل لن تهاجم على الفور.³⁵³ صحيح أم لا، فان هذه الادعاءات اخرجت السلطات المصرية. فعلى مدى الاسابيع التي تلتها، واجهت مصر حربا للمفاهيم في الداخل والخارج.

ان الصراع في غزة تزامن مع فترة حساسة في السياسة الداخلية. منذ عام 2004، شهدت البلاد أزمة سياسية من نوع ما، عن طريق التشكيك في حكم الرئيس حسني مبارك لمدة 28 عاما، وصعود الإخوان المسلمون اكبر قوة معارضة في البلد بعد الأداء القوي في الانتخابات البرلمانية لعام 2005، وتصاعد الغضب الشعبي على الإصلاحات الاقتصادية وارتفاع الاسعار - كل ذلك تعكسه وسائل الاعلام في كثير من الأحيان دون هوادة بشكل معادي للحكومة.³⁵⁴ ولقد ساهمت التطورات الإقليمية، وخصوصا الانتفاضة الفلسطينية الثانية، والغزو الأمريكي للعراق في تشكيل العديد من "اللجان الشعبية" مطالبة بمعارضة مصرية أقوى للسياسات الإقليمية لاسرائيل والولايات المتحدة. حتى داخل دوائر المؤسسات، فقد لام المعلقين القاهرة إزاء انحسار النفوذ الإقليمي والانحياز المفرط لواشنطن.³⁵⁵

وقبل عامين فقط من صراع غزة، كان على النظام ان يتحمل معارضة داخلية شديدة، عندما انتقد حزب الله في اثاره حرب 2006 وشاهد زعيم الحركة، حسن نصر الله، يشاد به في جميع أنحاء العالم العربي على انه الوريث الشرعي لجمال عبد الناصر.³⁵⁶ شعور مماثل استيقظ من خلال البيانات الرسمية التي لقت باللوم على حماس. وقال وزير الخارجية المصري احمد ابو الغيط مباشرة بعد اندلاع الحرب: "للاسف، لقد قاموا [حماس]

³⁵¹ انظر هاريتز، 23 يناير 2008

³⁵² اخبار البي البي سي، 25 ديسمبر 2008. قبل يومين، القدس العربي الذي ادعى بان مصرت اعطت الضوء الاخضر لاسرائيل.

³⁵³ انهم بعض زعماء حماس مصر بالخداع مدعين انها قامت بظمنتهم بان اسرائيل لن تشن أي عملية. انظر ملخص مجموعة الازمات، إنهاء الحرب في غزة نفس المصدر.

³⁵⁴ ان عمق الأزمة ظهر علنا لأول مرة في ديسمبر 2004 ، عندما نزلت مجموعة صغيرة من القوميين واليساريين الناشطين الى الشوارع للاحتجاج على اعادة انتخاب الرئيس في العام التالي. وشكلوا النواة لحركة كفاية. ولقد اعطت الانتخابات البرلمانية في عام 2005 دفعة قوية لجماعة الإخوان المسلمين، الذين حصلوا على 88 مقعدا (من أصل 454)، مقابل 17 في البرلمان السابق. انظر تقرير لمجموعة الازمات رقم 46، إصلاح مصر : البحث عن استراتيجية، 4 أكتوبر 2005 ، وتقرير مجموعة الازمات، الإخوان المسلمين في مصر . نفس المصدر.

³⁵⁵ احتج مصطفى الفقي، رئيس مجلس الشعب (البرلمان) للجنة الشؤون الخارجية واحد المعلقين البارزين للسياسة الخارجية المصرية، على خفض الدور الإقليمي لمصر في العام القادم: "أي عائدات اقليمية لجهود مصر أصبحت محدودة للغاية . لا توجد فرص لمصر لإقامة أي انفراج في المنطقة في أكثر المسائل إلحاحا". الأهرام الاسبوعية، 1 يناير 2009.

³⁵⁶ خلال حرب 2006 على لبنان، قامت الصحف المستقلة بتوزيع صور لنصر الله، بينما كان يقوم المتظاهرين مع المدنيين اللبنانيين بالاضافة الى حزب الله بجذب مدى واسع للتيارات السياسية.

3. مسألة سيناء

طوال الأزمة، اثير سؤال مهم بشأن الجهود التي تبذلها مصر لوقف تهريب الاسلحة من سيناء الى غزة. ولطالما اتهمت اسرائيل القاهرة بالتراخي،³⁶⁸ وقد نفت مصر بشدة اي نوع من الإهمال وقد استغل الكونغرس الاميركي هذه المسألة كشرط ليقوم بأشترط جزء (صغير نسبيا) من المساعدة العسكرية الاميركية بتصعيد الجهود المصرية.³⁶⁹ باقتراب الحرب من نهايتها، وصفت اسرائيل مذكرة تفاهمها مع الولايات المتحدة، بالإضافة إلى المشاركة الدولية الواسعة للحد من تجارة الأسلحة إلى غزة كواحدة من الانجازات المميزة.³⁷⁰

ان التهريب بين مصر وقطاع غزة يسبق في تاريخه الحصار المفروض على قطاع غزة - في السابق كان يركز على السلع غير المشروعة وتجنب الرسوم الجمركية - ولكن المشكلة تفاقمت

قلوب المصريين، الذين قدموا الكثير لقضية، وضحوا بحياتهم من أجل ذلك. ولو لم تكن الحروب المتعاقبة منذ عام 1948 من أجل فلسطين، لكان بلدنا وشعبنا يعيش بشكل أفضل كثيرا اليوم. وأقول بكل صدق أننا سنواصل دعم الشعب الفلسطيني وقضيته بأقصى الجهد. ومع ذلك، فإن الأولوية ستظل مصر... وقبل كل شيء".

³⁶⁸ لقد اتهم العديد من المسؤولين الإسرائيليين، بمن فيهم وزير الخارجية ومدير الأمن الداخلي، مصر بعدم بذل ما فيه الكفاية لوقف أو حتى غض الطرف من أجل تهريب الأسلحة. راجع وكالة انباء 28 Associated Press سبتمبر 2006، رويترز، 27 ديسمبر 2007. في ملخص لمجلس الوزراء، قال يوفال ديسكين رئيس منظمة المخابرات الداخلية الاسرائيلية - وأنه منذ انتهاء الحرب، وتجار الأسلحة في غزة هربوا 22 طنا من المتفجرات ومئات من قذائف الهاون، وعشرات من قذائف المدفعية المضادة للدبابات عبر الحدود المصرية. The Jerusalem Post، 31 مارس 2009. وقال ان تقييم اسرائيل للجهود المصرية قد تحسنت في الآونة الأخيرة، خاصة بعد أن أغلقت القاهرة عدة أنفاق في الفترة التي أعقبت الحرب.

³⁶⁹ على الرغم من ان الكونغرس ذكر سجل حقوق الانسان في مصر ومعارضة النظام المصري لإصلاح النظام القضائي، ولكن التهريب يأتي في المقام الاول. ولقد استخدمت الادارة سلطتها لتوفير 100 مليون دولار التي كان قد تم حجبها. راجع وكالة رويترز، 4 مارس 2009.

³⁷⁰ نص مذكرة التفاهم يمكن الاطلاع عليها على الموقع www.haaretz.com/hasen/spages/1056175.html / لقد نشرت في جزء كبير من الصحافة المصرية واعتبرت تدخلا سافرا في الشؤون الداخلية. وكما قال مسؤول ان " مذكرة تفاهم اسرائيل والولايات المتحدة لا تدخلنا في أي شيء. لقد كانت هدية الفراق الى الاسرائيليين من ادارة بوش ". مقابلة مجموعة الازمات، المسؤول المصري، القاهرة، 26 يناير 2009. ووفقا لبعض التقارير، ان صواريخ غراد mm122 الأكثر تقدما تفكك إلى أجزاء أصغر ويتم تهريبها عبر الحدود مع السودان ومصر من الصومال أو اريتريا، حيث تقوم السفن الإيرانية بتسليمها إلى المهربين. ان مثل هذا السيناريو تم نشره لأول مرة من قبل نائب مستشار الامن القومي لشؤون الشرق الاوسط السابق في ادارة بوش، اليوت ابرامز، فبراير 2009. وزعم ان الاسلحة الإيرانية تمر عبر الصومال أو اريتريا ثم تهرب عبر السودان ومصر الى غزة، في رحلة لأكثر من 2500 كيلومتر.

www.cfr.org/publication/18645/media_conference_call.html. نظرية مماثلة طرحت من قبل مسؤول امن دولي مطلع على عمليات التهريب من سيناء. مقابلة مجموعة الازمات، القاهرة، 26 يناير 2009. واقترح آخرون بأنه تهريب الأسلحة من سيناء إلى جنوب السودان عن طريق البحر وليس البر. التقارير التي تفيد بأن اسرائيل ربما تكون قد أصابت قافلة اسلحة في شمال شرق السودان وكانت في طريقها الى لغزة 17 يناير 2009 تعطي مصداقية لهذه النظرية، على الرغم من عدم ظهور اية تفاصيل او تأكيد لهذه المعلومات. صحيفة الشروق الجديد، 24 مارس 2009. وحسب قول وزير الخارجية المصري احمد ابو الغيط، ان مصر عرفت عن الضربة عند حدوثها ولكنها ظلت صامتة لتجنب احراج السودان. وكالة فرانس برس، 2 أبريل 2009، راجع أيضا الحاشية. 203 أعلاه.

أثناء الصراع، تم اعتقال أكثر من 860 من أنصار الاخوان المسلمين،³⁶² و العشرات من النشطاء الآخرين، بمن فيهم الصحفيين الذين يغطون الاحتجاجات والمدونين الذي يبدو انهم أستهدفوا فقط لكتابتهم ضد سياسة الحكومة على شبكة الإنترنت.³⁶³

على الرغم من الشعور الشعبي، فان النظام كان قويا. وبدا واثقا من تجاوزه موجة السخط وعلى قناعة بان الكثير على المحك لتغيير المسار (من حيث المصالح الإقليمية، الدولية والمحلية). وفي ذلك لم تكن المظاهرات كبيرة جدا وعلى الأرجح نتيجة لسياسة قمع الاحتجاجات الجائرة في السنوات الأخيرة وللانقسام مابين حماس وفتح.³⁶⁴

للرد على الانتقادات والتقليل من النداء الذي وجهته حركة حماس، استغلت الحكومة حادث مقتل مصري في حرس الحدود في 28 ديسمبر 2008 من قبل احد نشطاء حماس، لتحريض المشاعر ضد الحركة.³⁶⁵ وبالمثل، استغلت البسطاء من المصريين بإمكانية جر بلادهم الى الصراع.³⁶⁶ في أول خطاب رئيسي بعد الحرب لمبارك والذي بين فيه ان مصر قد خاضت بما يكفي من الحروب لفلسطين، " فإن الأولوية ستظل مصر... وقبل كل شيء ".³⁶⁷

مقابلة مجموعة الازمات، عامل اغائة دولي، القاهرة، 5 فبراير 2009. ولكن المسؤولين لا يزال مصريين على ما يلي: " موقف مصر من معبر رفح لم ولن يتغير: إنه اتفاق عام 2005. أي تغيير لهذا يجب ان يحدث ضمن إطار عملية السلام واتفاق الوضع النهائي والذي ينطوي عليه قيام دولة فلسطينية. إذا قمنا بفتح معبر رفح أو القيام بتوسيعه من محطة للركاب الى محطة تجارية الآن، فإن هذا سيسمح لاسرائيل بجعل مشكلة غزة من مسؤوليتنا. في رأينا، ان اسرائيل مسؤولة كقوة احتلال ". مقابلة مجموعة الازمات، المسؤول المصري القاهرة، 19 فبراير 2009.

³⁶² مقابلة مجموعة الازمات، عصام العريان، رئيس المكتب السياسي للاخوان المسلمين، 26 يناير 2009.

³⁶³ مقابلة مجموعة الازمات، فيليب رزق مدون وناشط، القاهرة، 21 يناير 2009. ولقد شجبت هيومن رايتس ووتش وجماعات حقوق الانسان المحلية الاعتقالات الجماعية. راجع " أزمة غزة: رد فعل الانظمة بالقمع الروتيني " هيومن رايتس ووتش، 21 يناير 2009. كما كان الاتجاه خلال الاحتجاجات الكبيرة في السنوات الأخيرة، فان قوات الأمن المركزي (قوات مكافحة الشغب) منعت نقاط التجمع الرئيسية في العديد من المدن وحددت المتظاهرين في مناطق الاحتجاج، كما كانت هي الحال مع نقابة الصحفيين في القاهرة.

³⁶⁴ ولقد وقعت خيبة امل واسعة في السياسة الفلسطينية منذ أن أخذ الانقسام بين حماس وفتح اتجاها إلى الأسوأ في عام 2006. الاحتجاجات في بداية الغزو الذي قاده الولايات المتحدة للعراق في عام 2003، ولو انها قامت بتغطية احداث أكثر بعدا، قد جذبت أعداد أكبر من ذلك بكثير وكانت أكثر عنفا.

³⁶⁵ تزعم تقارير صحفية أن جندي حرس الحدود قتل من قبل نشطاء من حماس في مسعى لتأمين دخول الجماعات المسلحة إلى سيناء. وقد نظمت الحكومة احتجاجات كبيرة لذكرى الجندي، والمتظاهرين يهتفون بشعارات مناهضة لحماس. راجع صحيفة المصري اليوم، 30 ديسمبر 2008

³⁶⁶ مصر قامت بما يكفي للفلسطينيين - اذا كانوا يريدون الحرب مع اسرائيل، فهذا اختيارهم. لقد اخترنا السلام مع اسرائيل منذ وقت طويل، وهذا خطأهم اذ لم يتخذوا قرارهم. أنا أكثر اهتماما بتكاليف المعيشة ". مقابلة مجموعة الازمات، سائق سيارة أجرة في مصر، القاهرة، 26 يناير 2009. وقد تم نشر حجج مماثلة في قطاع عريض من الصحافة. وكما علق احد الناشطين " كان هناك رد فعل متعصبة على الهجمات على مصر ". " كثير من الناس ازعجها تصوير مصر بشكل سيئ ومهاجمتها باستمرار على القنوات الفضائية، وهذا خدم النظام كثيرا ". مقابلة مجموعة الازمات، القاهرة، 17 فبراير 2009.

³⁶⁷ كلمة الرئيس حسني مبارك بمناسبة يوم الشرطة في 4 فبراير 2009، كما ورد في صحيفة اليوم المصري، 5 فبراير 2009. وقال مبارك " ان فلسطين في

من اسرائيل، أما الاسلحة التي دخلت فمعظمها جاءت من البحر.³⁷⁷ وحسب قول احد المسؤولين، "الحرب اثبتت ان حماس لا تملك ترسانة قوية مثلما ادعت اسرائيل. فلم تستخدم ولا مضادة واحدة للدبابات ولا للطائرات الهليكوبتر. اين هي كل هذه الاسلحة المتطورة؟"³⁷⁸ وفي الوقت نفسه فان القاهرة لطالما ذكرت ومنذ وقت طويل بان قواتها المنتشرة على طول الحدود مع غزة وفقا لمعاهدة السلام (المعدلة قبل قيام اسرائيل في عام 2005 بفك الارتباط من قطاع غزة الى 750 من الجنود وعشرة من العربات المدرعة) غير كافية لمراقبة منطقة الـ 14 كيلومترا ولعدد سكان رفح البالغ 30,000 (على الرغم من ان هناك قوات إضافية من الشرطة المدنية متمركزة هناك).³⁷⁹ وأخيرا، فقد رحبت مصر بمعدات التدريب الكشفي عن الانفاق من الولايات المتحدة وألمانيا، وبعد أيام من انتهاء الصراع وافقت على رفع مستوى معداتها³⁸⁰ على الحدود واتخاذ الاجراءات الصارمة ضد المهربين.³⁸¹

ويعكس الموقف القلق التنافسي المصري. وبالنتيجة، استخدمت الحكومة سياستها تجاه التهريب لإدارة العلاقات مع اسرائيل، الغرب، حماس، بدو سيناء والرأي العام المصري، والتي يسحب كل منها في اتجاه مختلف. ان قرار محاولة غلق الأنفاق أو، على العكس من ذلك، للسماح لهم بالعمل بحرية أكبر من شأنه ان يهدد تدهور العلاقات الى نقطة الانهيار مع واحد أو أكثر من هذه الاطراف المهمة، وهنا يكمن التضارب. ومن وجهة نظر مماثلة فان السبب الاخر لهذا المنحى المتعرج هو أن مصر تعتبر قطاع غزة كجزء من مجال نفوذها الاساسي وعبئ خطير لا ترغب في تحمل مسؤوليته.

باختصار، لا يمكن معالجة قضية التهريب خارج السياق المحلي (سخط البدو واقتصاد الانفاق)، إن الطلب الحقيقي في قطاع غزة للسلع الغير عسكرية، أو في قلق مصر من تكرار الأزمة الإنسانية في قطاع غزة كما حدث في يناير 2008 عندما تم اقتحام الحدود.³⁸² ان مسألة دخول الاسلحة الى غزة - وهي محط

بشكل كبير بسبب اغلاق اسرائيل للمعابر. ولقد ارتفع الطلب بشكل كبير، وان سكان غزة على استعداد لدفع مبالغ كبيرة للحصول على البضائع المهربة، سواء كانت أسلحة أو سلع استهلاكية. ان هوامش الربح مرتفعة نسبيا، والتجارة المربحة تعزز المنافسات القبلية التي كثيرا ما تخفي حرب عشائرية. وكما علق مسؤول أمني إلى أن زيادة التهريب ادت الى "تسبب الخصومات بين القبائل، و تحدي قبيلة الطرابيين المهيمنة سابقا على تجارة التهريب، بالإضافة الى ان بعض القبائل تقوم بترتيب المواجهات بين الحكومة وأعدائهم، وتأمير باغتيال منافسيهم".³⁷¹

ان صراع العصابات الإجرامية، وسرعة تدفق الرساميل والمحاولات التي تقوم بها القوات الحكومية للسيطرة على الوضع³⁷² زاد من اشتعال سكان شمال سيناء، والذين - كما رأينا أعلاه - بالفعل يشعرون بالظلم من الحملة الموجهة ضدهم في أعقاب الهجمات الانتحارية ضد المنتجعات.³⁷³ ان القلق ازاء سكان البدو ازداد في الأشهر الأخيرة. في أوائل نوفمبر 2008، غضب رجال القبائل من مقتل اربعة من اقاربهم وأنحوا باللائمة على الاجهزة الامنية فقاموا بخطف 76 من ضباط الشرطة.³⁷⁴ في وقت لاحق من ذلك الشهر، عقد البرلمان جلسة طارئة حول زيادة انتشار الاسلحة بين بدو سيناء وتزايد الاضطرابات قرب الحدود مع غزة.³⁷⁵ في ديسمبر، قامت القبائل الاربعة الرئيسية لشرق سيناء (السواركة، الطرابيين، الروميلات، والنتياه) بتقديم مطالب مشتركة للحكومة، طالبين السماح لهم بالتعامل من الان فصاعدا مع المخابرات العامة أو خدمات الجيش بدلا من وزارة الداخلية، والتي اتهمت بممارسة التعذيب النمطي، والاعتقالات الجماعية، وأخذ النساء والأطفال كرهائن.³⁷⁶

وطوال هذه الفترة، عرضت مصر عدة تفسيرات. وأكد المسؤولين أن معظم التهريب شمل السلع الاستهلاكية التي جاءت

³⁷¹مقابلة مجموعة الازمات، مسؤول امني دولي، القاهرة، 3 فبراير 2009. إن الطرابيين هو اتحاد القبائل البدوية الرئيسي والذين يمتد وجودهم من المملكة العربية السعودية والأردن من خلال اسرائيل وغزة ومصر وليبيا ويهيمنون على المنطقة المحيطة برفح والعريش في شمال سيناء.

³⁷²تحت تأثير الضغوط المكثفة من الولايات المتحدة وإسرائيل بفعل المزيد للسيطرة على التهريب، اتخذت مصر في عام 2008 عدة خطوات لاغلاق الانفاق وزيادة وجودها الأمني على الحدود. راجع *The Jerusalem Post*، 31 مارس 2008. لقد قامت القوات المصرية باغلاق العديد من الانفاق على مدار السنة، وتم الكشف عن مخابئ للأسلحة التي يعتقد انها مرتبطة بغزة. راجع صحيفة هآرتس، 11 أغسطس 2008، وكالة فرانس برس، 1 سبتمبر 2008. في أبريل 2009، أعلن مسؤولون مصريون لأول مرة عن اكتشاف ورشة في شمال سيناء في مدينة الشيخ زايد، بالقرب من رفح، والتي كانت تقوم بتصنيع صواريخ بدائية الصنع لتهريب الى غزة. رويترز، 10 أبريل 2009.

³⁷³راجع تقرير مجموعة الازمات، مسألة سيناء المصرية، نفس المصدر. منذ نشر ذلك التقرير، وقعت عدة حوادث مزعومة من وحشية الشرطة وازداد تدهور العلاقات بين سلطات تنفيذ القانون، وسكان شبه جزيرة سيناء. وقد اظهرت لقطات فيديو جثث ثلاثة من البدو و نشر اعترافات رجال الشرطة الذين يزعمون أنهم عذبوهم عبر شبكة الانترنت والهواتف النقالة، مما اثار موجة من الاضطرابات في منتصف نوفمبر 2008. في أكتوبر 2007، وفي حدث منفصل في مدينة العريش شوهد عناصر من قبيلة الفواخرية يداهمون مكاتب الحزب الوطني الديمقراطي الحاكم للاحتجاج على فشل الشرطة لحمايتهم من هجمات قبيلة الطرابيين.

³⁷⁴الإهرام الاسبوعية، 20 نوفمبر 2008.

³⁷⁵Associated Press، 25 نوفمبر 2008.

³⁷⁶اليوم المصري، 15 ديسمبر 2008.

³⁷⁷لقد ادعى المسؤولون المصريون منذ فترة طويلة ان حماس تتلقى الاسلحة على شاطئ غزة على البحر المتوسط، حيث يتم إعادة سحبها من قبل الصيادين بعد ان تلقى باجهزة عائمة خارج المياه الإقليمية. مقابلات مجموعة الازمات، المسؤولين المصريين في القاهرة في يونيو 2008 وفبراير 2009

³⁷⁸مقابلة مجموعة الازمات، مسؤول مصري، القاهرة، 26 يناير 2009.

³⁷⁹مقابلة مجموعة الازمات، المسؤول المصري، القاهرة، 26 يناير 2009. وفقا لخبير عسكري، للحجة ما يبررها، نظرا للحاجة لمدة لا تقل عن ثلاث نوبات، بالإضافة الى عدد الجنود الذين قد من يكون منهم مريضا أو في إجازة في أي وقت معين. مقابلة مجموعة الازمات، ملحق عسكري غربي، القاهرة، 21 يناير 2009. ورأى خبير آخر بان الطلب يعكس جدول أعمال مختلف: "إن مسألة حرس الحدود المصري ليست بأعدادهم. انها بشأن تأكيد السيادة.

وان المصريون يودون التشكيك بها، أو أكثر، ولكن الأرقام ليست هي الموضوع، وليس لها علاقة مع حماس. انه مشروع طويل الأجل للتأكيد بشكل كامل على سيادتهم على المنطقة (ج) من سيناء". مقابلة مجموعة الازمات، مسؤول امني دولي، القاهرة، 3 فبراير 2009.

³⁸⁰رويتزر، 31 يناير 2009.

³⁸¹وكالة الانباء الفرنسية، 9 فبراير 2009.

³⁸²من الصعب تصور حل لقضية التهريب، على وجه الخصوص، والتي لا تأخذ في نظر الاعتبار المسائل السياسية والاقتصادية والأمنية المعقدة التي يثيرها الوضع في شرق سيناء. تقرير مجموعة الازمات، مسألة سيناء المصرية، مصدر سابق. وقد حث التقرير الحكومة على تنسيق الجهود على المدى الطويل، لتأسيس خطة اقتصادية واجتماعية شاملة لسيناء بالتشاور مع قادة المجتمعات.

استغل النظام كلام نصر الله وكذلك الهجمات من الاعلام العربي لحشد وسائل الإعلام الوطنية، وفي بعض الجوانب، المشاعر المناهضة للشبيعة³⁸⁷.

لقد استهدف الغضب المصري اثناء وبعد الحرب كل من سوريا وقطر، وذلك للاشتباه بسعي كلاهما لاقفلة او التقليل الى الحد الأدنى من دور القاهرة والقيام بتشكيل محور ثلاثي جديد مع ايران.³⁸⁸ اتهمت مصر سوريا بتشجيع قيادة حماس في دمشق لافشال محادثات المصالحة في نوفمبر 2008³⁸⁹، و ردت بحدة على تغطية وسائل الاعلام السورية للحرب والتأييد الضمني لخطب نصر الله اللاذعة، وقد اثار سخط مصر الشديد قيام قطر باستضافة اجتماع للدول العربية في 16 يناير 2009.³⁹⁰ وحسب قول دبلوماسي مصري، "لقد اعتبرت مواقف كل من سوريا وقطر وايران أثناء الأزمة بمثابة اعلان حرب. فقد فعلوا كل ما بوسعهم لتسوية سمعة قادتنا وقيمنا. وكان ذلك بمثابة محاولة انقلاب ضد دورنا الإقليمي".³⁹¹

وإن دل هذا على شيء، فإن موقف قطر كان مثيرا للغضب واقل مفهومية.³⁹² وهذا أدى الى امتعاض المسؤولين من بلد بحجم قطر

من حكاهم " المنار، 28 ديسمبر 2008 كما نقل عن mideastnewswire.com، 2 يناير 2009. ان دعوة نصر الله كسرت المحرمات المحلية التي معظم الجماعات المعارضة - وخاصة الإخوان المسلمين - لاتزال تحترمها. وخلافا لبعض أعضاء حركة كفاية، فإن الإخوان المسلمين كانوا حذرين للغاية لتجنب اي تدخل عسكري في سياسات البلاد، راجع تقرير مجموعة الازمات، الإخوان المسلمين في مصر، مصدر سابق.³⁸⁷ خطاب نصرالله تسبب بحالة من عدم الارتياح داخل جماعة الإخوان المسلمين، على سبيل المثال. المرشد العام محمد مهدي عاكف، رحب بها، ولكن كان حريصا على عدم تكرار دعوته للتعبئة العامة، ناهيك عن التدخل العسكري : "ما قاله سماحة الشيخ حسن نصر الله هو الصحيح. إذا كان النظام المصري قد ادى واجبه وليس التحالف والتواطؤ مع الصهاينة، فإن ما حدث في غزة لم يكن ليحدث على الاطلاق... نحن على وشك البكاء، وقلوبنا تكاد تنفطر للموقف المشين الذي اتخذته مصر حتى الان ". المنار، 29 ديسمبر 2008، كما نقلت من قبل Mideastwire.com، 30 ديسمبر 2008.

³⁸⁸مقابلة مجموعة الازمات، مسؤولين مصريين، يناير وفبراير 2009.

³⁸⁹مقابلة مجموعة الازمات، مسؤول مصري، القاهرة، 26 يناير 2009.

³⁹⁰اجتماع الدوحة لم يكن مؤهلا من الناحية الفنية لاعتبارها قمة جامعة الدول العربية لعدم توفر النصاب القانوني. وحضر الاجتماع الرئيس اللبناني ميشال سليمان والرئيس السوداني عمر البشير والرئيس السوري بشار الأسد والرئيس الجزائري عبد العزيز بوتفليقة ونائب الرئيس العراقي طارق الهاشمي وممثلين رفيعي المستوى من بين موريتانيا، ليبيا، اليمن، جيبوتي، وجزر القمر والصومال، الرئيس الإيراني محمود أحمددي نجاد وشارك أيضا رئيس المكتب السياسي لحماس خالد مشعل. وزير الخارجية المصري احمد ابو الغيط اعترف أن مصر كانت قد عارضت اجتماع الدوحة، وقد ثنى العديد من الحضور. مقابلة مع تلفزيون اوربت الفضائي، 28 يناير 2009. تعليق نمطي في الصحافة الرسمية ادى الى تهيج الحكومة : " ان الخطة الكيدية لسورية وايران لعقد قمة طارئة تهدف ببساطة الى تعزيز هيمنة حماس على غزة وقتل المزيد من الضحايا. ثم دفع مصر للروض وفتح مجر رفح دون قيد أو شرط. ومن ثم ستظهر معادلة جديدة في العالم العربي : سوريا خلفا لمصر، وقطر خلفا للمملكة العربية السعودية، كم لو اننا نلعب لعبة كرة القدم، مع تبديل اللاعبين أوارهم كلما يتعب احدهم أو يصاب بجروح ". افتتاحية في صحيفة صحيفة الأخبار، 16 يناير 2009.

³⁹¹مقابلة مجموعة الازمات، دبلوماسي مصري، 1 فبراير 2009.

³⁹² ان العلاقات بين مصر وقطر قد تذبذبت في السنوات الأخيرة، وخاصة، بعد قيام قناة الجزيرة الفضائية بزيادة تغطيتها للشخصيات المصرية المعارضة، وأثناء الحرب، قامت بتغطية ما اعتبرته القاهرة بحرب اعلامية ضدها. ولقد نظرت مصر أيضا بعين الشك محاولات الدوحة لفتح مسار ثاني للوساطة بين

تركيز الاهتمام الاسرائيلي والغربي - ليست سوى قطعة واحدة من لغز أكبر بكثير.

4. الحرب الإقليمية الباردة

منذ حرب العام 2006 بين اسرائيل وحزب الله، ظهرت في الاق "جبهة المقاومة" بقيادة ايران، سوريا، حزب الله وحماس ضد "الجبهة المعتدلة" التي تمثلها مصر، المملكة العربية السعودية، الأردن، تحالف 14 مارس في لبنان، والقيادة السلطة الفلسطينية الحالية في الضفة الغربية. وفي هذا السياق، فإن اولوية القاهرة كانت الحفاظ على نفوذ اقليمي محوري، لمقاومة اية منافسة مفترضة، وعلى وجه الخصوص احتواء ايران. وكما اوضح احد المحللين ذو صلة وثيقة بالنظام: "مصر دولة أستقرار، وايران دولة ثورية. لهذا السبب وحده، فإن ايران تشكل تهديدا خطيرا".³⁸³

ان حرب غزة كانت مرحلة اخرى اكثر وضوحا في هذا الصراع. وان التهديد الايراني على ما يبدو تهديدا مبالغا فيه الى حد كبير. وقد أبرزت الحرب قيود هذا المفهوم: ان حماس لا تمتلك الترسانة العسكرية التي صورها البعض، ولا ايران ولا اي لاعب اقليمي استطاع تغيير موقف مصر باعتبارها الوسيط (بين اسرائيل وحماس، وكذلك بين الفلسطينيين)، وإلى درجة، ان الدعم الايراني قام بايذاء الحركة الاسلامية بقدر ما ساعدها وذلك عن طريق السماح للخلااء بتصوير ايران كغريبة عن ألكيان السياسي العربي السني.

ومع ذلك ومن وجهة نظر القاهرة، فإن سياسات طهران ودعم الجماعات المسلحة العربية تتحدى كل من النظام الإقليمي والاستقرار الداخلي. ان سياسة ايران الخارجية منحت القوة للدول العربية والحركات التي نهجها الإيديولوجي ومصالحها على العموم مخالفة للنظام المصري،³⁸⁴ وان دعمها لحماس جلب التحدي لمصر في عقر دارها.³⁸⁵ ادعت القاهرة ان ايران قامت في وقت سابق بنسف محادثات المصالحة الفلسطينية وانها الملامة بانتظام بتشجيع الجناح الخارجي المتطرف في حماس. ولقد وصفت موقف السيد حسن نصر الله الذي ادان فيه موقف مصر وبقوة طوال الأزمة ودعوته للشعب المصري إلى اتخاذ موقف ضد النظام، فضلا عن العمليات المزعومة لحزب الله من داخل مصر على أنه من أشنع مظاهر التخطيط الايراني.³⁸⁶ لقد

³⁸³مقابلة مجموعة الازمات، القاهرة، 22 يناير 2009.

³⁸⁴ نفس المصدر.

³⁸⁵وعلى الرغم من ذلك، ووفقا لدبلوماسي اميركي : "قبل عام قلل المصريين من شأن ارتباط ايران وحماس، والان يعربون عنه علنا". مقابلة مجموعة الازمات، القاهرة، 3 فبراير 2009. في يوم 3 فبراير 2009، ناقش ثمانية من وزراء الخارجية العرب (بما فيهم مصر) سبل "خلق اجماع عربي على إيقاف التدخل الغير مرحب وغير المرغوب به في شؤوننا من قبل أطراف غير عربية"، في اشارة واضحة الى ايران. وكالة الانباء الفرنسية، 3 فبراير 2009. ومنذ عام 2006، وفضلا عن ذلك، فإن بعض وسائل الاعلام المصرية - وخاصة تلك القريبة من النظام - عموما ما تتخذ موقف مناهض لايران واحيانا ضد الشبيعة.

³⁸⁶وقال نصر الله، "اليوم لا عذر لكل من الشعب المصري، الاحزاب، العلماء، شيوخ جامعة الأزهر، القوات المسلحة، والنخبة السياسية. هذا هو الذي سوف يغير التوازن. أن الذي سيغير المعادلة اليوم هو تغيير في الموقف السياسي المصري. هذا هو ما ينبغي أن يقوله الحكام العرب لحكام مصر وما ينبغي فعله. هذا هو ما ينبغي على الشعوب العربية والشعب المصري ان يطلبه

أخصيص، فقد ساعدتها المؤشرات القوية في ان الولايات المتحدة لن تسمح لأي طرف ثالث أن يحل محل القاهرة.³⁹⁸

لكن المعركة لم تنته بعد، والارتدادات المتعاقبة للحرب لم تنتشر بعد بشكل كامل. لقد ازداد الاستقطاب العربي الى مستويات غير مسبوقه، وتسعى المملكة العربية السعودية، المتخوفة من التبعات، الى الاهتمام باصلاح الاضرار مع سوريا. اما القاهرة فقد بقيت هادئة. بصورة خاصة، بين السوريين ووجهة النظر بان نجم مصر قد بدأ بالانطفاء. كما جاء على لسان احد المسؤولين، "يحرص المصريون على القول للعالم بأنهم يحملون المفتاح لغزة، والمصالحة الفلسطينية والقضية الفلسطينية بشكل عام. هل هذا دقيق؟ بالطبع لا : ان القضية الفلسطينية هي في حجم المنطقة نفسها".³⁹⁹ لقد بقي كل من مبارك ووزير خارجيته بعيدين عن حضور القمة العربية التي عقدت في الدوحة في أواخر مارس 2009 ، وهو ما يدل على أن غضبهم على قطر لم ينحسر بعد.⁴⁰⁰ لقد فعلت القمة في حد ذاتها الشيء القليل لاصلاح الشرخ الإقليمي. وأخيراً، تم تعليق مفاوضات المصالحة بين فتح وحماس في مطلع ابريل من دون أي انفراج، على الرغم من زيادة الاهتمام المصري ومشاركتها بدور أكثر من وسيط في جميع المناقشات.

المنعطف الأكثر مأساوية في الصراع حدث في أبريل 2009، عندما أعلنت مصر أنها كشفت شبكة واسعة لعمليات حزب الله المدعوم من قبل ايران على أرضها والناشطة بهدف جمع معلومات استخباراتية، تجنيد اعضاء جدد، تنفيذ هجمات ضد سياح إسرائيليين، تهريب أسلحة لحماس.⁴⁰¹ وفي خلال التبادل للكلمات الحادة، أعترف نصر الله بوجود اعضاء حزب الله في مصر، وقد سعى إلى قلب الطاولة بشرح انهم يفعلون ماكان ينبغي على القاهرة فعله باستمرار، الا وهو مساعدة الفلسطينيين في غزة.⁴⁰² ولقد انتقد كبار المسؤولين المصريين و وسائل الاعلام الرسمية المنظمة اللبنانية لتجاوزها الخط الأحمر، وقد

ليس فيه وقمنا بصد التحديات". مقابلة مجموعة الازمات، واشنطن، فبراير 2009.

³⁹⁸ وقال مسؤول امريكي "لقد ابلغنا قطر وتركيا بكلام لايقبل سوء الفهم حيث أننا لم نكن نرغب بباية محاولات لاخذ مكان مصر. هذا هو خط احمر". مقابلة مجموعة الازمات، واشنطن، ديسمبر 2008.

³⁹⁹ مقابلة مجموعة الازمات، دمشق، مارس 2009.

⁴⁰⁰ راجع الاهرام، 31 مارس 2009.

⁴⁰¹ ووفقا للمدعي العام في مصر، فقد تم اعتقال 49 رجلا (مصريين، لبنانيين وفلسطينيين) للاشتباه في إنشاء شبكة اراهبية لحزب الله، والمكلفة بجمع المعلومات عن منتجعات سياحية، ومنطقة رفح وقناة السويس. راجع "القاهرة تتهم حزب الله بالتخطيط لهجمات مصر"، رويترز، 9 أبريل 2009، والصحافة المصرية.

⁴⁰² في كلمة له بعد فترة وجيزة من الاعتقالات التي وقعت في مصر، وقال نصر الله، " لقد كان واجبنا أن ندين النظام المصري لرفضها فتح المعابر. مباشرة بعد هذا الموقف، بدأت حملة سياسية وتجارية ضخمة ضدي وضد حزب الله في مصر، بأوامر من السلطات المصرية والمخابرات. ومع ذلك ، فقد اعتبرنا هذه الحملة كرد فعل طبيعي وثمن لموقفنا ، ونحن على استعداد لدفعه". وفي اشارة الى واحد من هؤلاء المحتجزين من قبل مصر ، فقد تابع القول : "الأخ سامي وهو عضو في حزب الله، نحن لا ننكر ذلك. وكان يقوم بتقديم المساعدات اللوجستية إلى المقاومة الفلسطينية على الحدود المصرية الفلسطينية. وان جميع التهم الاخرى الموجهة اليه باطله. وإذا كان تقديم المساعدات للفلسطينيين هو جريمة، فأنني فخور به.... يجب توجيه الاتهام الى النظام المصري وينبغي تحميله الحصار على غزة ". كلمة تلفزيون المنار ، كما استشهد بها من قبل Mideastwire.com.

يقوم بدور رائد في إدانة إسرائيل،³⁹³ ويفرض نفسه والسعي للعب دور، والتحدث علنا عن تناقص مكانة مصر على الصعيدين الاقليمي والدولي. وفي الاجتماعات مع زعماء الولايات المتحدة وأوروبا، اعرب الرئيس مبارك عن غضبه تجاه القادة في قطر.³⁹⁴

ان المعركة الاقليمية من اجل النفوذ كانت واحدة من اهم المؤامرات الجانبية للحرب.³⁹⁵ لقد أستمتع ما يسمى بمحور الراديكالية بقوة دفع قوية و دعم من الرأي العام العربي ووسائل الإعلام. وفي اغلب الاحيان ومن وجهة نظر دفاعية، فان مصر في نهاية المطاف تقوم بالرفع من شأنها بخصوص المحادثات الاسرائيلية-الفلسطينية والفلسطينية-الفلسطينية، وتسعى لصد محاولات الاخرين (بما فيها تركيا وقطر وفرنسا) لزوج أنفسهم مقابل خيبة امل سوريا وحماس.³⁹⁶

من وجهة نظر مصر، تبدو الموازنة العامة مختلطة. فعلى الرغم من فقدان هيبتها في نظر الرأي العام العربي، فقد أعرب المسؤولين عن ارتياحهم بأظهار مركزيتهم، حيث أصبحت القاهرة محور محادثات غير مباشرة لوقف اطلاق النار وتبادل الاسرى وكذلك جهود المصالحة الفلسطينية.³⁹⁷ وفي هذا

الفصائل الفلسطينية. مقابلة مجموعة الازمات، مسؤول في الجامعة العربية، القاهرة ، 29 يناير 2009.

³⁹³قامت قطر باغلاق المكتب التجاري الاسرائيلي في الدوحة، الوحيد في منطقة الخليج، واستضافت اجتماع عربي طارئ وصف أفعال اسرائيل بأنها جرائم حرب وإبادة جماعية. وفي بداية الحرب، سبق وان اتهم أمير قطر الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني اسرائيل بارتكاب جرائم حرب. وكالة رويترز، 4 يناير 2009.

³⁹⁴ استعرب المسؤولين من الولايات المتحدة وفرنسا بروز هذه القضية في اجتماعات ثنائية. مقابلة مجموعة الازمات، واشنطن، باريس، يناير إلى مارس 2009. الرئيس الفرنسي ، الذي يتمتع بعلاقات وثيقة مع أمير قطر، ابلغه بعدم الضغط على باريس للاختيار بين القاهرة والدوحة، وحث قطر على إظهار المزيد من ضبط النفس. مقابلة مجموعة الازمات، دبلوماسي فرنسي، باريس، فبراير 2009. وقد عبر مسؤولون اميركيون و اعضاء الكونغرس أيضا عن قلقهم الشديد باسلوب قوي. مقابلات مجموعة الازمات، واشنطن، مارس 2009. وألغت قطر، تحت الضغط، قمة ثانية موازية بخصوص غزة وإعادة الاعمار والذي كان من المفروض ان تعقد بعد وقت قصير من تلك التي تستضيفها مصر في 2 مارس. كما قامت قطر بالتخفيف بشكل ملحوظ من لهجتها في الاسابيع الاخيرة.

³⁹⁵ "ان استقرار وشرعية النظام يعتمد على دور مصر الإقليمي" ، حسب قول محلل مصري حول كيفية اهتزاز موقف القاهرة عن طريق الاعتداء على هذا الدور خلال الأزمة. مقابلة مجموعة الازمات، محمد عبد السلام ، القاهرة ، 22 يناير 2009.

³⁹⁶ أعترف مسؤول كبير في حماس في المنفى، بان التوقعات الأولية بامكانية أن تلعب تركيا أو فرنسا دورا - في وقت كانت فيه، وعند اندلاع الحرب، قد انخفضت علاقاتها مع مصر - سرعان ما تبددت. وقال "عندما جاء الرئيس ساركوزي لأول مرة الى سوريا، وكنا نأمل أن تساعد مشاركته الفعالة، وانه قد يدفع الى وقف لاطلاق النار. ومع ذلك ، بعد زيارته الى القاهرة لاحقا، كان واضحا من ان دور فرنسا سيكون ثانويا للدور المصري. وان فرنسا يوما ما قد تلعب دورا هاما ، ولكن ليس الان ". مقابلة مجموعة الازمات، دمشق، يناير 2009. وقد ردد المسؤولون السوريون هذا الرأي، متحفظين على عدم قدرة أطراف ثالثة للمشاركة على نحو فعال. مقابلات مجموعة الازمات، دمشق ، يناير 2009.

³⁹⁷ أعترف دبلوماسي مصري بالحصيلة التي نالتها بلاده في صورة الرأي العام العربي لكنه أضاف : "ان الطريقة التي انتهت عليها الامور هي انتصار كبير للدبلوماسية المصرية. وقد اكدنا على دورنا المركزي بشكل واضح لا

المصالحة بالنسبة لعملية سلام ناجحة.⁴⁰⁶ في الوقت نفسه ، فهناك ما يشير الى التهرب من الاستعداد لإعادة النظر في الشروط الثلاثة للجنة الرباعية للتعامل وتمويل حكومة الوحدة الوطنية الجديدة (نبذ العنف، والالتزام بالاتفاقات السابقة، والاعتراف بإسرائيل). في وقت سابق، تلاعب بعض المسؤولين بفكرة "إعادة تغليف" هذه الشروط وذلك لتسهيل تشكيل حكومة جديدة.⁴⁰⁷ مع ذلك، وكعضاء في الكونغرس، بالإضافة الى، وهو الاهم، فان العديد من مستشاري عباس حثوا الادارة على الثبات. ويبدو أن الفكرة تبيدت.⁴⁰⁸

ولو انه ذو نظرة ايدولوجية اقل من سابقته ، وأكثر وعيا من الأثر السلبي لانقسام الشعب الفلسطيني، فان فريق اوباما بخصوص الشرق الاوسط على ما يبدو مقتنعا بأن أي ليونة في الموقف تجاه حماس توجه ضربة قاضية لكل الاطراف المعتدلة، بل وعلى ما يبدو أيضا بأن قوة حماس قد بولغ فيه ، وكذلك شعبيتها ايضا وأنه، مع تحقيق منجزات أكبر في الضفة الغربية والتقدم نحو بناء الدولة، فأنها سرعان ما ستعود الى حجمها الطبيعي. ان من المحتمل أن ينصب التركيز المبكر على الأوضاع في الضفة الغربية : الضغط على اسرائيل لتجميد المستوطنات،⁴⁰⁹ وإزالة المواقع الاستيطانية الخارجية الغير مصرح بها، والتخفيف بشكل واضح من الحواجز التي تعيق الحركة والمرور، واستئناف المفاوضات السياسية مع منظمة التحرير الفلسطينية.

على الرغم من انه جزء من عملية أنابوليس فقد زعمت ادارة بوش على انها تعمل لتحقيق نفس الأهداف، وان أعضاء فريق اوباما مقتنعون بأن الجهود كان فاترة في أحسن الأحوال، وتعاني من نقص المستوى العالي، من التعامل المستدام لتغيير الوضع على الارض. قال مسؤول كبير "لا نستطيع الحكم على ما حدث من قبل في ظل الادارة السابقة. لم يتم فعل شيئا لمساعدة عباس حقا. وهو مثل أي سياسي - بحاجة لظواهر امكانياته من اجل الحصول على الدعم".⁴¹⁰ وعندما تضاف الى العقبات السياسية

انضم اليهم عدد من القادة السياسيين الذين ادانوا دور ايران المزعوم.⁴⁰³ ولقد استخدم النظام هذه الأحداث للتأكيد على حجة "مصر أولا" والحق الضرر بالمكانة العامة لكل من حزب الله ونصر الله، والتي زادت بشكل ملحوظ بعد حرب لبنان عام 2006.

ان رد فعل الاخوان المسلمين كان دقيق نسبيا الى حد ما، وذلك لان من الواضح قلقهم من احتمال ربطهم باي نوع من انواع التدخل الاجنبي والذي قد يكلفهم سياسيا، ومع ذلك فقد اكدوا مجددا على أن حزب الله كان على حق بمساعدته للمقاومة، وان مصر كانت على خطأ بعدم القيام بذلك.⁴⁰⁴ أن من السابق لأوانه قياس النطاق الكامل لتداعيات هذا الحدث. فإن التداعيات الواسعة النطاق مست علاقات مصر مع ايران، وموقفها تجاه حماس وحزب الله في المنطقة. لقد تزامنت حالياً مع تصاعد الجهود المصرية من أجل الضغط على حماس سياسيا وماليا، للحد من تهريب الاسلحة والصناعات التحويلية، وربما لإجبارها على الاختيار بين القاهرة وطهران.⁴⁰⁵

ب. الولايات المتحدة

حرصا منها على استعادة صورة الولايات المتحدة في المنطقة، واقتناعا منها بالترابط بين الصراع العربي الإسرائيلي والتطورات الإقليمية الأوسع - بما فيها ظهور كل من الجهاديين والنفوذ الإيراني - وتصميما منها على دفع نحو تسوية شاملة بين العرب واسرائيل، فان الرئيس اوباما سرعان ابدى رغبته في كونه اكثر نشاطا، واسرع حركة من أي من سلفيه.

بتوليه المنصب، فان اوبالم يكن بحاجة الى وضع حد لحرب غزة وذلك لانه ترك مع تداعياتها. أول ماواجهته الادارة المعنية أثنان من القرارات بعد الحرب و هما: ماذا سنفعل بشأن إعادة الاعمار واي موقف سنعتمد من محادثات الوحدة. يتعامل الامران سواء بصورة مباشرة أو غير مباشرة مع موقف الولايات المتحدة تجاه حماس والذان لايشير اي منهما في هذه المرحلة الى موقف امريكي واضح. في إعادة الإعمار، أستوعب المسؤولين أهمية معالجة محنة الغزاويين وتعهدهوا بمساعدة كبيرة، ومع ذلك فأنهم مصممين تماما على منع الاسلاميين من الاستفادة .

وأشارت الإدارة، بأكثر إيجابية من سابقته، على الوحدة الفلسطينية، وقد ذهب بعض المسؤولين إلى حد الإقرار بأهمية

⁴⁰³ نشرت جريدة الجمهورية التي تسيطر عليها الدولة مقالا في اشارة الى حسن نصر الله بأنه "شيخ فرد"، وأضافت، "أقول لكم كل ما في مصر يعرف انك إيراني. هل هناك تعليمات من ايران الى جر مصر الى صراع؟" 12 أبريل 2009.

⁴⁰⁴ يكتنف الغموض هذا الموقف، إذ أنه بعد أيام قليلة من قيام المرشد العام للاخوان المسلمين، مهدي عاكف، بالدفاع عن حزب الله لدعمه لحماس على شاشة قناة الجزيرة الفضائية، انضمت الكتلة البرلمانية للاخوان المسلمين الى الحزب الوطني الديمقراطي في إدانة حزب الله بانتهاك السيادة المصرية.

⁴⁰⁵ وتشمل هذه اعتقالات مارس وأبريل المزعومة لرجل يقال إنه نقل 2 مليون دولار لشمال سيناء لتهريبها الى غزة، واطلاق النار من قبل ضباط الأمن على رجل بدوي في شمال سيناء واتهامه بقيادة شاحنة محملة بنخائر متجهة الى قطاع غزة، و الغارات المصرية ضد ورش العمل في سيناء والتي يزعم انها تقوم بتصنيع الصواريخ.

⁴⁰⁶مقابلة مجموعة الازمات، مسؤولين امريكان، واشنطن، فبراير - مارس 2009.

⁴⁰⁷مقابلة مجموعة الازمات، مسؤولين امريكان، واشنطن، فبراير 2009. ⁴⁰⁸في اجتماع مع مسؤولين أمريكيين في ذروة محادثات القاهرة، أصر مستشاروا الرئيس عباس على ان اي حكومة جديدة يجب ان تكون مستوفية للشروط، ضمينا فقد حثوا الولايات المتحدة على الانضمام الى الموقف نفسه. مقابلات مجموعة الازمات، مسؤولين امريكان، واشنطن، مارس 2009. وقام مسؤولون في السلطة الفلسطينية الاتصال مع حكومة نتنياهو، وبيان ان الشروط نفسها التي تطبق على الفلسطينيين (الاعتراف بإسرائيل والالتزام بالاتفاقات السابقة ونبذ العنف) ينبغي أن تنطبق على الحكومة الاسرائيلية (وقبول قيام دولة فلسطينية، والامتنال للاتفاقات السابقة و تجميد المستوطنات). مقابلة مجموعة الازمات، مستشار الرئيس، مارس 2009. وقد كررت وزيرة الخارجية هيلاري كلينتون مجددا إلى لجنة الشؤون الخارجية في مجلس النواب انه "ان نتعامل مع ولا بأي شكل من الأشكال في تمويل حكومة فلسطينية تضم حماس ما لم تقوم حماس بنبذ العنف والاعتراف بإسرائيل والموافقة على متابعة الالتزامات السابقة للسلطة الفلسطينية". رويترز، 22 أبريل 2009.

⁴⁰⁹السناتور السابق جورج ميتشل، المبعوث الاميركي، والمعروف أنه يؤمن إيمانا راسخا بأن بناء المستوطنات يتناقض مع عملية سلام مستدامة، وتبين انه شخصيا كتب الجزء الذي يتعامل مع المستوطنات من تقريره لعام 2001 وان ملتزم بهذا الرأي. مقابلات مجموعة الازمات، واشنطن، فبراير و مارس 2009.

⁴¹⁰مقابلة مجموعة الازمات، واشنطن، ابريل 2009.

ج. الاتحاد الأوروبي

بالنسبة للاتحاد الأوروبي، اشعلت الحرب اعادة جدية للتفكير. ان الرأي العام الساخط من العمليات الاسرائيلية اُزداد قناعةً بأن سياسة عزل غزة وحماس عادت بعكس النتائج المرجوة⁴¹⁵ وأُخرجت بشدة لتريكية وموقف الحكومة الاسرائيلية الجديدة، مما دفع المسؤولين الى اقتراح بان الوقت حان للتغيير. وقد اعترف بعض الممثلون عن بعض الدول الاعضاء وبصورة خاصة، بأن فرض شروط اللجنة الرباعية، بل وان نهج -الضفة الغربية أولاً- كان غير مدروسا، وبذلك ينبغي في حال تشكيل حكومة جديدة، تبني نهج اكثر واقعية من ذلك الذي تم تبنيه بعد اتفاقية مكة⁴¹⁶ كما أعربوا عن اعتراضهم على استمرار التمويل للفلسطينيين، باعتبار ان السبب الرئيسي لمعاناتهم لا يزال غلق المعابر من قبل إسرائيل⁴¹⁷ حتى ان بعض الدول الأعضاء الاكثر تعاطفا تقليديا مع اسرائيل، مثل جمهورية التشيك، وجدوا انفسهم مضطرين الى توجيه انتقادات شديدة، وخاصة بخصوص بناء المستوطنات، ودفع الحكومة الاسرائيلية الجديدة على تأييد مبدأ قيام دولة فلسطينية⁴¹⁸.

ومع ذلك فان هذا لا يعني بالضرورة تحولا في السياسة. لا تزال هناك انقسامات داخل الاتحاد الأوروبي وخاصة بخصوص كيفية التعامل مع حماس.. على الرغم من تدفق الوفود الأوروبية الى دمشق للقاء مشعل، فقد تم رفض الجهود التي تبذلها فرنسا على وجه الخصوص لاقتناع شركائها على اتباع نهج أكثر مرونة من حكومة موحدة ومعابر غزة. ان بعض المسؤولين ما زالوا يعتقدون أن الالتزام الصارم بالشروط الثلاثة ضروري بالنسبة لفتح ولبقاء عملية السلام⁴¹⁹، وهو موقف من الصعب تغييره على المدى البعيد بسبب دفاع مستشاري عباس عنه⁴²⁰ ولعل الأهم من

⁴¹⁵ ان سياسة فرض الحصار على غزة فشلت". مقابلة مجموعة الازمات، مسؤول من الاتحاد الأوروبي، بروكسل، مارس 2009. وكما اوضح احد مسؤولي اللجنة الأوروبية: "ان فكرة اضهاد الغزويين لكي يقوموا بالتصويت في المرة القادمة لفتح تعتبر هراء". مقابلة مجموعة الازمات، بروكسل، مارس 2009.

⁴¹⁶ مقابلات مجموعة الازمات، مسؤولين اوروبيين، يناير - مارس 2009، حسب قول احد المسؤولين في احدى الدول البارزة في الاتحاد الأوروبي، "اذا ما تم تشكيل حكومة موحدة، فهذا يعني ان حماس وافقت على السلطة الفلسطينية والذي يعني بدوره انها وافقت ايضا على اتفاق اوسلو والذي تستمد السلطة منه. وهذا يفي بالغرض بالنسبة لنا". مقابلة مجموعة الازمات، يناير 2009. وكما جادل احد مسؤولي اللجنة الأوروبية: " يجب ان نقوم بتشجيع اية حكومة موحدة بناء على افعالها، وليس التقييد بالشروط المسبقة". مقابلة مجموعة الازمات، بروكسل، مارس 2009.

⁴¹⁷ لماذا على الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي ان يدفعا؟ يجب على اسرائيل ان تتحمل المسؤولية - ان الفلسطينيين ليسوا بحاجة الى المزيد من المال، انهم بحاجة الى المواد، والقدرة على المضي قدما. ان كل خططنا المعقدة، مثل مشاريع بلير، وجدت فقط بسبب رفضنا لمواجهة المشكلة مقدما". مقابلة مجموعة الازمات، مسؤول الاتحاد الأوروبي، بروكسل، مارس 2009.

⁴¹⁸ مقابلة مجموعة الازمات، مسؤول الاتحاد الأوروبي، بروكسل، مارس 2009.

⁴¹⁹ مقابلة مجموعة الازمات، مسؤول الاتحاد الأوروبي، بروكسل، مارس 2009.

⁴²⁰ ان الرسالة التي وجهها إلى المجتمع الدولي حول الظروف الصعبة لتحقيق المصالحة هي قاسية، وان الرسائل التي ترسل إلى الاتحاد الأوروبي هي أكثر قسوة. ان أبعد ما يمكن ان تذهب اليه الولايات المتحدة هو تبني نهج على غرار النهج اللبناني - اي عدم التعامل مع اعضاء حماس في حكومة الوحدة الوطنية، ولكن فقط في حال طلبت السلطة الفلسطينية ذلك. ولكنهما لحد

الهائلة التي تواجه اي تحول تجاه حماس، فمن غير المحتمل أن يكون هناك اي تغيير ملحوظ في السياسة تجاه الإسلاميين في المستقبل المنظور.

ذلك لا يحدد بالضرورة ما ستفعله واشنطن، مع ذلك ، اذا ما تشكلت حكومة موحدة على غرار الخطوط العامة لتلك في العام 2007 أو من دون برنامج سياسي، لا سيما إذا كان في هذه المرة كل من العالم العربي، الاتحاد الأوروبي، والقيادة الفلسطينية يدعمون نهجاً جديداً⁴¹¹ في ظل هذه الظروف ، من المؤكد عدم تعامل الولايات المتحدة مع أعضاء حماس، لان الحكومة لن تمثل بشكل صارم للشروط الثلاثة للجنة الرباعية، كما سيكون الاستمرار في تقديم المساعدات المالية الى السلطة الفلسطينية مهدداً ويخضع للتدقيق المكثف في الكونغرس⁴¹². ولكن رداً على تأييد دولي واسع للتحالف الفلسطيني، ربما يتوجب على إدارة أوباما - وينبغي - اعتماد نفس الموقف للولايات المتحدة تجاه حكومة لبنان الموحدة: بدون الاتصال باي عضو من اعضاء حزب الله، ولكن الاعتراف بشرعية الحكومة، والتعامل مع الوزراء الآخرين والدعم المالي يجب ان يخضع لرقابة صارمة لضمان الاستخدام الصحيح.

على الرغم من تركيز الكثير من الجدل العام حول نموذج محتمل لحكومة موحدة وطنية وسياسية، ولكن بالنسبة للولايات المتحدة الرئيسية فان الحل سيكون الاعتماد على الخطوات المالية والامنية التي بدأتها حكومة سلام فياض في الضفة الغربية، مع تقديم مساعدة اميركية كبيرة. وقال مسؤول أمريكي :

لا يمكننا القبول باي حكومة فتح-حماس تقوم بالتراجع عن الخطوات الامنية التي أخذت. هذا هو أهم إنجاز في الفترة الحالية ، حتى اهم من مسألة الشفافية المالية، وذلك هو السبب في أننا نصر على أن يبقى رئيس الوزراء فياض. قد توافق كل من فتح وحماس، كل لأسبابه الخاصة به، لوقف هذا الجهد - السابق لاستعادة السيطرة، والأخير لتخفيف الضغط على الحركة. ولكن بالنسبة لنا، فهي خط أحمر⁴¹³.

ويبدو أن هذا يستبعد إمكانية تحقيق المصالحة الحقيقية التي تنطوي على إصلاح الأجهزة الأمنية في غزة والضفة الغربية، والأهم من هذا هو مشاركة حماس في الأجهزة الأمنية للضفة الغربية. فهذا لا يعني بالضرورة أنها لا تتفق مع صيغة الحد الأدنى للحفاظ على نطاق واسع على التقسيم الحالي للخدمات الأمنية في كلا المنطقتين⁴¹⁴.

⁴¹¹ للمناقشة حول الاراء بخصوص الحكومة الموحدة لعام 2007، راجع تقرير الشرق الاوسط لمجموعة الازمات رقم 68، بعد غزة، 2 اوغسطس 2007.

⁴¹² وفقا لقانون الاعتمادات الشامل لعام 2009، لا يمكن للادارة الاميركية تقديم المساعدة "لحماس أو أي كيان تحكمه حماس فعلاً أو أية حكومة تقاسم السلطة مع حركة حماس ما لم تعترف بحق اسرائيل في الوجود وتلتزم كل الاتفاقات السابقة". H.R. 1105.

⁴¹³ مقابلة مجموعة الازمات، مسؤول امريكي، واشنطن، مارس 2009.

⁴¹⁴ وقال مسؤول امريكي، من الممكن ان تكون اكثر تقبلا ، على الرغم من شكه في ان مثل هذه الصيغة المتوازنة للمصالحة تستطيع أن تتعايش مع استمرار اعتقال واحتجاز نشطاء من حماس في الضفة الغربية - وهي سمة هامة من سمات الواقع الراهن. مقابلة مجموعة الازمات، واشنطن، مارس 2009.

VI. الاستنتاج: ماذا بعد؟

ان عدم الرغبة في تقديم التنازلات اللازمة، بدأت كل من فتح وحماس التفكير في معالجة الوضع الراهن. سوف تستمر حركة فتح والسلطة الفلسطينية في رام الله في بناء دولتهم في الضفة الغربية مع الحكومة الجديدة التي يرأسها سلام فياض، ولكن في هذه المرة بمشاركة فصائل منظمة التحرير الفلسطينية. وقال مسؤول كبير في السلطة الفلسطينية "علينا التمييز بين مواصلة الحوار مع حماس وإدارة فلسطين. فعندما تكون حماس مستعدة للمشاركة في هذه الأخيرة، فستكون موضع ترحيب للانضمام".⁴²³ ان توسيع الحكومة يجب ان يعزز موقف فياض، مضيفاً الى الوزن السياسي لحكومته وتضائل الاقتناص من قبل فتح.⁴²⁴

على الرغم من المخاوف تجاه الحكومة الاسرائيلية الجديدة، فان السلطة الفلسطينية تراهن كذلك على الدعم الدولي والاقليمي القوي وضغوط الولايات المتحدة لاستئناف المفاوضات، وكحد أدنى، انتزاع تنازلات اسرائيلية ذات مغزى بشأن المسائل المتعلقة بالحركة والمرور والمستوطنات والأمن. وحسب تعليق مسؤول كبير: "اذا ما قمنا بتطوير الضفة الغربية كجزء من اتفاق سياسي مع إسرائيل - وليس بدلا منه - فان علاقتنا مع غزة ستعادل علاقة كوريا الجنوبية بكوريا الشمالية".⁴²⁵ وبوجود التقسيم الحالي لشبه الجزيرة الكورية ولأكثر من 60 عاما، فانه شئ ينبغي أن يدعو الى القلق، وليس الراحة.

حماس تقوم بحساباتها الخاصة. وانها تفتقر الى العمق الاستراتيجي الدولي والاقليمي لفتح، ولايتوفر تحت تصرفها سوى القليل من الادوات والمقدرة القليلة للمناورة. مع هذا، انها تظهر ثقة عالية بان استراتيجية عباس لتحقيق السلام (وان كانت غير نافعة بوجود اولمرت في دفة السلطة) ستفشل وكذلك فانها ترى فرصة اقل في تحقيق خرق ما مع نتنتياهو. اما الاسلاميون فانهم يمنون النفس بان الفلسطينيين يرون حماس على انها حامية الحقوق الوطنية ولذا فانهم يعفونها من مسؤولية المصاعب في

⁴²³مقابلة مجموعة الازمات، رام الله 16 أبريل 2009. ان الصعوبات القانونية التي تنطوي عليها مثل هذه الخطوة، قال المسؤول انه لن يردع: "ان معركتنا مع حماس هي معركة سياسية وليست قانونية. الانقلاب كان غير قانوني، وكل ما يحدث في غزة هو غير شرعي. ان القانون مهم اذا تحترمه حماس، ولكن اذا كانت حماس لا تحترمه وتخرقه، فاننا سوف نضع القانون على جانب. ان الذي لا يحترم الشرعية لا يمكنه طلب القانون".

⁴²⁴ان فياض سيبحث تعيين ممثلي الفصائل المؤهلين مهنياً والموافقين على التنازل عن التطلعات الشخصية والسياسية. مقابلة مجموعة الازمات، احد مستشاري فياض، القدس، أبريل 2009.

⁴²⁵مقابلة مجموعة الازمات، مسؤول كبير في السلطة الفلسطينية، رام الله، أبريل 2009. نفس المقارنة للكوريين اشار اليها بشكل لافت للنظر مسؤول اميركي. مقابلة مجموعة الازمات، واشنطن، مارس 2009. ان البعض حول الرئيس الفلسطيني يدعو إلى المزيد من المواجهة تجاه حكم حماس في غزة، على سبيل المثال، حجب دفع الرواتب. وحسب قول مسؤول كبير في السلطة الفلسطينية "منذ يونيو 2007، لم يكن لدينا استراتيجية بشأن غزة. نحن بحاجة إلى أن نكون أكثر نشاطاً، وخلق طابور خامس وحشد المناصرين لدينا هناك لكي لا تبقى حركة حماس مرتاحة". مقابلة مجموعة الازمات، رام الله، أبريل 2009. في حال البدء في هذا النهج، فان السلطة الفلسطينية ومقرها رام الله قد تجازف بردود فعل خطيرة في صفوف الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة لتحقيق مكاسب غير مؤكدة.

ذلك، هو رغبة البعض فقط ببعض التوتر مع الولايات المتحدة، وخاصة في بداية رئاسة باراك أوباما. وحسب قول مسؤول من الاتحاد الأوروبي:

سيكون من الصعب أن نختلف مع أوباما.... لمدة سبع سنوات، اثارت انفرادية الولايات المتحدة و عدم رغبتها في المشاركة سخط الاتحاد الأوروبي. والآن، وفي هذه المرحلة وعندما اصبح لدينا اخيرا رئيسا ممكن التعامل معه، فانه لن يكون بإمكان الاتحاد الأوروبي الخروج مقدماً. ليس لاننا نريد ان نفعل ما يقولونه وانما لانريد ان نختلف.⁴²¹

وقد اوضح اخر، "ان بإمكان الاتحاد الأوروبي دعم نهج جديد ولكنه لا يستطيع فرض واحد".⁴²²

وفي النهاية، وكما كان الحال في ظل رئاسة بوش، فان أوروبا على ما يبدو مفقودة - في السابق كان بسبب الإحباط من سياسات أميركا، والآن بسبب ارتياحها لتلك السياسات. وبسبب التردد في اتخاذ المواقف المستقلة، فإن الاتحاد الأوروبي يجد نفسه مرة أخرى لا يؤدي اي دور يذكر.

الان لم تطلب ". مقابلة مجموعة الازمات، قول مسؤول من المفوضية الأوروبية في بروكسل، مارس 2009.

⁴²¹مقابلة مجموعة الازمات، بروكسل، مارس 2009.

⁴²²مقابلة مجموعة الازمات، مسؤول للجنة الأوروبية، بروكسل، مارس 2009.

في القطاع الامني واصلاح منظمة التحرير الفلسطينية هو غير واقعي، على الاقل في المستقبل المنظور.

ولكن هناك خيارات اقل طموحا. فبإمكان المرء تصور وحدة محدودة الشكل، اتفاقاً على مبادئ عريضة (غير منفذة) لمنظمة التحرير الفلسطينية والاصلاح الامني، تشكيل حكومة تكون ولايتها الاساسية الاشراف على اعادة اعمار غزة والتحضير للانتخابات المزمع اجرائها، اتخاذ القرار للدخول في مفاوضات اسرائيلية - منظمة التحرير الفلسطينية وتقديم اتفاقاً للاستفتاء الشعبي. ان حكومة التكنوقراط المسماة من قبل فتح وحماس يمكن ان يكون لديها برنامج يعكس اتفاق مكة الفضفاض او ان لا يكون لديها برنامج بالمرّة. وفي كلتا الحالتين فان النتيجة ستكون نوعاً من الكونفدرالية تستبقي لكل من حماس وفتح منطقة نفوذها في غزة والضفة الغربية، ولكن بتسهيل اعادة البناء وأستئناف المفاوضات مع اسرائيل.

بالنسبة للمجتمع الدولي فان تلك الحكومة يمكنها ان تواجه عقبتين تقفان بوجه استراتجية سلام ذات معنى: مخاطر الوجود الدائم للعنف وغياب ميكانيكية قانونية ذات سلطة للتفاوض وتأييد اتفاقاً نهائياً وبدلاً من شروط الثلاثة للجنة الرباعية التي لا يتوقع قبولها من قبل حماس والتي ستبدو على اية حال جدلية فحسب وبالتالي غير ذات معنى عملي، فان الهدف يجب ان يكون اكثر واقعية واثق صلة وهو فرض وقف اطلاق نار مقرون باعادة تأكيد سلطة رئيس منظمة التحرير الفلسطينية لاجراء مفاوضات مع اسرائيل واعتماد الاستفتاء الشعبي كاجراء لتثبيت الاتفاق.

هناك تفاهم اكثر ضيقاً كذلك، وان كان اقل ترغيباً. لحين الوصول الى تشكيل حكومة مشتركة فبإمكان الفلسطينيين انشاء لجنة توجيهية للاشراف على اعادة اعمار غزة. حيث يذهب الاقتراح المصري في هذا الاتجاه وان كان اكثر طموحا لتأكيد ولاية عباس والسلطة الفلسطينية ومقرها رام الله لترؤسها مما يجعله اكثر صعوبة لتقبل الاخرين.⁴²⁸ هناك نموذج اخر اقرب للقبول يركز على اعادة الاعمار تترأسه شخصيات مستقلة مقبولة من كلا الطرفين. وسيضم شخصيات تكنوقراطية مختارة من قبل فتح ولكنهم ليسوا منها وكذلك شخصيات تكنوقراطية مختارة من حماس ولكن ليسوا منها واعضاء من وكالات الامم المتحدة والمنظمات الدولية لاضفاء المصداقية مع مجتمع المانحين واعضاء من القطاع الخاص الفلسطيني.⁴²⁹ تقوم هذه اللجنة بتحديد الاولويات وتتعامل مع الحالات اللوجيستية وأبقاء سلطات الضفة الغربية وغزة على اطلاع بالامر. وتقوم كذلك بالتنسيق في ان اعمال اعادة الاعمار تتم كما هو مخطط لها وان المستفيدين يستخدمون المواد حسب الاغراض المخصصة لها

غزة. حيث ذكر احد قيادي حماس "ان الفلسطينيين يعيشون ومنذ 60 سنة في مخيمات اللاجئين وان الاعتداء الاسرائيلي الاخير هو لم يكن الاسوء مما واجهناه. واننا سنضحي بالغالي والنفيس للحفاظ على مبادتنا".⁴²⁶ واخيراً انهم يبدون مقتنعون انه بمرور الوقت فان الاتحاد الاوروبي والولايات المتحدة سيكونون مجبورين بتبني الواقع والعمل مع حماس على انها السلطة الفعلية على الارض.⁴²⁷

أن الرغبة في التغيير الجذري بين الاطراف الدوليين ايضا قد بدأت بالوهن. وبدلاً من ذلك، وبالرغم من النتائج غير المرضية في المرة الاخيرة فان اصداء نغمة الضفة الغربية اولا بدأت تتردد على شكل همسات في بداية الامر عند استيلاء حماس على غزة. وفي يونيو 2007، أستند الامل على اصلاح حقيقي في الضفة الغربية وبعث روح التعاون بين اسرائيل والسلطة الفلسطينية ومقرها رام الله. في هذا الوقت، فان الامر برمته يقع على اوباما. الادارة الامريكية الجديدة حسبما يفيد البعض ستقوم بما لم تستطع ان تقوم به سابقها في مساعدة عباس و اظهار انه يستطيع التنفيذ، الضغط على اسرائيل لتجميد المستوطنات وتحسين الاوضاع في الضفة الغربية، وفرض مفاوضات الحل النهائي قابلة للتصديق. وقد بدأت فعلاً بشن حرب كلمات ليس ذي جدوى مع وزير الخارجية الاسرائيلي ليبرمان حول أي من الاطر التفاوضية الفاشلة (خارطة الطريق أم أنابوليس) التي ينبغي أن تشكل التعامل الدبلوماسي.

هل على المرء ان يستعيد كل الاسباب للتشكيك في حكمة هذه النظرية؟ فبدون أي تغيير في المشهد الفلسطيني الداخلي فان غزة قد تصل مرة اخرى الى درجة الغليان بينما يعاني اهلها تبعات العزل والحرمان وخطر التعرض لمواجهة عسكرية مخيفة اخرى. حماس وهي تستشعر سخط شعبي ولا ترى في الافق اي بارقة أمل في الموقف الفلسطيني الداخلي فانها قد تحاول مرة أخرى الى تغيير الموضوع واقتناص الاهتمام باطلاق هجمات ضد اسرائيل. عباس ومنظمة التحرير الفلسطينية، لا يزالوا يقودون كيان فلسطيني ممزق، سيكونون في وضع صعب للاستمرار بمفاوضات ذات معنى مع الحكومة الاسرائيلية مفترضين ان رئيس الوزراء تنتباهو لديه الارادة والقدرة لذلك.

المفاوضات الفلسطينية الداخلية من المقرر ان تبدأ من جديد في اواخر ابريل وهذه هي فرصة اخرى لتصحيح المسار. هنالك سيناريوهات كثيرة محتملة، اضافة الى الفشل. اشهر من الخلافات توحى بان مصالحة حقيقية تؤدي الى تشكيل حكومة وطنية مستندة الى برنامج سياسي واضح والموافقة على اجراء انتخابات جديدة وتوحيد الضفة الغربية مع غزة والتعاطي بحرفية

⁴²⁸مقابلات مجموعة الازمات، مسؤول من وزارة الخارجية المصرية، احد قادة حماس، القاهرة، غزة، ابريل 2009.

⁴²⁹في المقابلات، اقترح كل من قادة حماس والسلطات في غزة، ان بإمكانهم العيش مع مثل هذا النظام. وقد ابلغ وزير الأشغال العامة في غزة وفد من القطاع الخاص، "ان مطالبنا تقتصر على أن نبقي على اطلاع". وان الحكومة سوف تبقى على مسافة معينة من معايير الحدود إذا اقتضى الأمر، لن تمس اي من المواد المستوردة، ولن نقوم بفرض اية ضريبة على الشركات المنجزة للعمل. مقابلة مجموعة الازمات، رئيس القطاع الخاص في غزة، مدينة غزة، ابريل 2009.

⁴²⁶مقابلة مجموعة الازمات، مدينة غزة، مارس 2009. خلال محادثات القاهرة، علق احد المفوضين الاسلاميين: انا لست تاجر يتاجر بالحقوق الوطنية. لن اقوم ببيع تراثي مقابل المساعدة". مقابلة مجموعة الازمات، القاهرة، مارس 2009.

⁴²⁷في مقابلة، قال مشعل "اننا نسمع لغة جديدة من الرئيس باراك اوباما فيما يتعلق بالمنطقة. التحدي بالنسبة لجميع الأطراف لجعل هذه مقدمة لتغيير جدي في السياسة الامريكية والاوربية. وبداية رسمية لحماس، انها مجرد مسألة وقت". La Repubblica، 22 مارس 2009.

وبالتالي تطمين اسرائيل في حال حصول اي سوء استخدام ممكن.
430

ان ما يجمع كل هذه الاحتمالات هو انها افضل من الحال الحاضر
وانها جميعا تتطلب قدرا من الشجاعة وبعد النظر من قبل
الفلسطينيين واسرائيل والمجتمع الدولي.

مدينة غزة/رام الله/ القدس/ واشنطن/ بروكسل،
23 نيسان/أبريل 2009

⁴³⁰كما تقف هي الامور حاليا، ما يقرب من 700 تاجر فقط من التجار
المدرجة اسمائهم على القائمة التي تديرها السلطة الفلسطينية بامكانهم استيراد
أي مواد الى غزة. اسرائيل تدفق في كل تاجر ولا يمكن لاي احد تربطه
علاقات مع حماس او انه على علاقة وطيدة بالتهريب عبر الانفاق استيراد أي
شيء. مقابلات مجموعة الازمات، غزة، مارس 2009. وهناك نظام مماثل
يمكن وضعه، يتيح لإسرائيل السيطرة على التجار / المقاولين الذين بامكانهم
جلب المواد الخام.

الملحق أ
 خارطة قطاع غزة

